بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة دراسات موصلية

مجلة علمية محكمة

يصدرها مركز دراسات الموصل

تعنى ببحوث الموصل الأكاديمية في العلوم الإنسانية

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ. د. ذنون يونس الطائي

الأعضاء

- أ.د. خليل محمد الخالدي / قسم الاجتماع / كلية الاداب.
- أ.م.د. بتول حمدي البستاني/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- أ.م.د. يوسف جرجيس جبو/ قسم التاريخ/ كلية التربية / الحمدانية.
- أ.م.د. حسين ظاهر حمود/ قسم الحضارات القديمة/ كلية الآثار.
- أ.م.د. ميسون ذنون العبايجي/قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية/مركز دراسات الموصل
- أ.م.د. احمد جار الله ياسين/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- م. د. أحمد قتيبة يونس/ سكرتير التحرير/ مركز دراسات الموصل.

الهيئة الاستشارية

- أ.د. عماد الدين خليل / أستاذ متمرس/ قسم التاريخ / كلية الاداب.
- أ.د. احمد قاسم الجمعة/ أستاذ متمرس/ قسم التاريخ/ كلية الاداب.
- أ.د. هاشم يحيى الملاح/ أستاذ متمرس/قسم التاريخ / كلية الاداب.
- أ.د. غانم محمد الحفو / أستاذ متمرس/قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- أ.د. صلاح حميد الجنابي/ أستاذ متمرس/قسم الجغرافية/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- أ.د. علي كمال الدين الفهادي/ قسم اللغة العربية/ كلية الاداب.
- أ. د. داؤد سليم عجاج/ قسم الجغرافية/ كلية التربية للعلوم الانسانية.

الترقيم الدولي ISSN 1815-8854
العدد (٤٤)
السنة / ١٣
١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

توجه المراسلات
باسم رئيس التحرير

العنوان
جامعة الموصل
مركز دراسات الموصل
ص.ب: ١١٣٤٨
فانوس: ٠٧٤٨١٧٠٥٩٢٥
E-Mail :
admin.smo@uomosul.edu.iq

ترتب البحوث وفق اعتبارات منهجية
تمت الطباعة في
وحدة الحاسبة
في مركز دراسات الموصل

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق ببغداد
٧٢٧ لسنة ٢٠٠١

شروط النشر

١. تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية الأكاديمية التي تهتم بشؤون الموصل في جوانبها المختلفة.

٢. ينبغي أن يكون البحث مستوفياً لشروط البحث العلمي الأكاديمي.في ايراد المصادر والمراجع وتوثيقها في الهوامش مع الاهتمام باللغة والطباعة

٣. أن لا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى، وان هيئة التحرير غير ملزمة برد البحوث إلى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٤. أن لا تزيد عدد صفحات البحث عن (٢٠) عشرين صفحة مطبوعة وبثلاث نسخ ومحملة على قرص (CD)

٥. يعرض البحث على خبراء متخصصين الذين يقررون صلاحية نشره من عدمه.

٦. تصدر المجلة بصورة دورية ولصاحب البحث المنشور نسخة مستلة من بحثه.

مجلة دراسات موصلية

مجلة فصلية محكمة يصدرها

مركز دراسات الموصل

تعنى ببحوث الموصل الأكاديمية في العلوم الإنسانية

❖ أ.م.د. يوسف جرجيس جبو:	كورة نينوى وأعمالها في العصور الإسلامية دراسة تحليلية في معالمها العمرانية	١-٢٩
❖ م.د. هدى ياسين يوسف:	الجوانب الإدارية والاقتصادية في الموصل من خلال كتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) لابن الشعار الموصلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)	٣١-٥٢
❖ أ.م.د.نبهان حسون السعدون:	الإيقاع الروائي في الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل -دراسة تحليلية-	٥٣-٧٣
❖ م.د.اخلاص محمود عبد الله:	هواجس الذات وسؤال البكاء قراءة في نص (القصيدة) للشاعرة بشرى البستاني	٧٥-٩٦
❖ م. عبد الرزاق صالح محمود:	الواقع الصحي لنزلاء سجن بادوش المركزي في محافظة نينوى -دراسة تقويمية-	٩٧-١٣٣
❖ م. مرح مؤيد حسن:	اختلالات العمل في المشاريع الصغيرة- دراسة ميدانية للمنطقة الصناعية-الجانب الأيسر من مدينة الموصل أنموذجا	١٣٥-١٦٦
❖ م.م. داليا طارق عبد الفتاح:	التكيف الاجتماعي لدى طالبات الاقسام الداخلية دراسة ميدانية في جامعة الموصل	١٦٧-١٨٤

كورة نينوى وأعمالها في العصور الإسلامية
دراسة تحليلية في معالمها العمرانية

أ.م.د. يوسف جرجيس جبو*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٣/١٠/٦
تاريخ قبول النشر ٢٠١٤/٣/٢

ملخص البحث:

ركز هذا البحث على إظهار المعالم العمرانية لأحد أهم أعمال الموصل الرئيسة وهي كورة نينوى والتي تتمثل بالقرى والتجمعات السكانية والضياع والمزارع والأديرة والأودية والتلال التي تناولتها المصادر بالاشارة إليها، فذكرها ياقوت بأنها خير أعمال الموصل وقد تحقق البحث من العديد من هذه المعالم كما بين وثبّت معالم أخرى كما توفرت للبحث جهود وإمكانيات لإبراز معالم جديرة بالدراسة والتحري دون أن تتطرق إليها الدراسات الحديثة.

Ninevah kura and its division during Islamic period analytic study of its architecture.

Assist. Prof. Dr. Yousif Jirjees Jebbo

Abstract

Ninevah kura was one of the most important administration center. This incluedesa large number of villiages and group populations which broght a large in com to the center. Yakoot said that ninevah architecture and business were the most benefitiat. This paper has somehistorical places and discussed many historical texts dealing with ninevah architecture.

* استاذ مساعد/ قسم التاريخ/ كلية التربية- حمدانية/ جامعة الموصل.

مقدمة:

كانت الموصل، في حقب العصور الاسلامية المتقدمة، تضم معظم مناطق شمال العراق، وقد اوردت المصادر التاريخية والبلدانية، نصوصاً واضحة تتعلق بذلك، منها ما ذكره ابن خرداذبة ت ٣٠٠ هـ/ ٩١٣م، من ان كور الموصل هي: تكريت والطيرهان والسن، وحديثة الموصل **ونينوى** وحبتون، وباجرمى والمفلة – المعلة – والحناية، وباعذرا وباهدرا وبانقلى، وحزة وباجلى وبابغاش، ومرج جهينة ورامين – داسن – والحضر[١]. ونقل ياقوت الحموي من مصادر سابقة لعصره، فقال: "قالت القدماء من اعمال الموصل، الطيرهان والسن والحديثة، والمرج وجهينة والمحلبية، **ونينوى** وبارطلى وباهدرا، وباعذرا وحبتون وكرمليس والمعلة ورامين – داسن – وباجرمى ودقوقا وخانيجار"[٢].

وفي حقب الزنكيين، لم يعد يُسمع بتسميات كُوَرْ تعود إلى حقب العصور الاسلامية الاولى، وخاصة فيما يتعلق بجهات شرق الموصل، وبالتحديد مناطق كورة نينوى، اذ اختفى ذكر كور: بارطلي وباعذرا وكرمليس، واخذت كورة نينوى، او اعمال نينوى، تنفرد بتسميات تلك المناطق.

ومما يلاحظ ان ياقوت الحموي الذي يأتي في مقدمة المصادر التاريخية الغنية بمادتها العلمية في هذا الموضوع، قد نَوّع في استخداماتهِ للمصطلحات والتسميات الادارية، فاستخدم تعابير عديدة، للدلالة على المناطق الواقعة في شرق الموصل، ومن ذلك اصطلاح **اعمال نينوى**، في بلاباذ وخرستاباذ، وخيرين والزرّاعة، وصرعون، والفضلية وقصر ريان وكرمليس[٣]. كما استخدم تسميات أخرى، مثل: **أعمال الموصل**، أو **أعمال الموصل في شرق دجلة**، أو **أعمال شرق الموصل**، أو من **اعمال الموصل الشرقية**، وذلك للدلالة على أعمال نينوى، مثل: باعذرا، وترجلة، وتل أسقف، وقبيصة، وكرمية[٤]، واستعان البحث أيضاً بمصادر أخرى منها: الكامل في التاريخ لإبن الاثير والرؤساء للمرجي والديارات للشابشتي، وقد تفردت هذه المصادر وغيرها بمادة متنوعة في مواردها وغنية في مادتها. كما ألحق بالبحث بضعة خرائط لزيادة الغنى والتوضيح، وقد حدد البحث أزمنته التاريخية بالعصور الاسلامية الممتدة من الفتح الاسلامي وحتى الغزو المغولي لتمكين البحث من اعطاء صوة واضحة أو متكاملة في مساحته الزمنية والموضوعية مع الاستعانة بمراجع اخرى محدودة خارج نطاق تلك العصور.

وتمثّلت أعمال نينوى، في شرق الموصل، وحدود هذه الاعمال، تتمثل بجبل عين الصفرة وجبل مقلوب، كما تتمثل بنهر الزاب الكبير ونهر دجلة، وكانت هذه الاعمال تضم عدداً كبيراً من القرى والبلدان، والتي كانت تدر لخزائن الأمراء في الموصل، دخلاً كبيراً، وخراجاً وفيراً، ولهذا وصف ياقوت هذه الاعمال، بقوله: "**أعمال نينوى، خير أعمال الموصل**"(٥).

ان سبب الاهتمام بهذا الموضوع، هو قلة العناية، وعدم وجود دراسات تاريخية جادة، على الرغم من اهميته، ووقوع البعض بالاخطاء، عند التقصّي لبعض ما تعلق بالمعالم العمرانية من القرى والتجمعات السكانية في كورة نينوى، بسبب عدم بذل الجهد الكافي في عملية التقصي تلك، خاصة اذا لم يرد ذكرها في معجم البلدان، فوقف اولئك الباحثون عاجزين عن توضيح ما تعلق بتلك القرى والأعمال(٦). ذلك ان ياقوت الحموي، لم يصنف معجمه، لبلد دون غيره، لذا فإنه من الطبيعي، ان لا ترد كثير من القرى والمواضع، في هذا المعجم، فلجأ بعض الباحثين إلى التشبث بمواضع وقرى تقترب او تتشابه مع غيرها في التسمية، أو إلى حل مثل ذلك الإشكال بعبارة "**لم يعثر عليها في معجم البلدان**"(٧) أو بعبارة "**لا ترد في البلدان**"(٨) أو "**لم نعثر على هذا الاسم في ياقوت**"(٩). ومن أمثلة ذلك أيضاً، عدم تمكن محقق كتاب تاريخ الموصل لأبي زكريا الازدي، وهو د. علي حبيبة من ضبط أسماء تلك القرى، وتوضيحها في الهوامش بصورة صحيحة، فعلّق على قرية القادسية الواقعة على نهر الخازر في شرق الموصل، بهامش يشير إلى أنها من القرى الواقعة في جهات سامراء(١٠)، وذلك لوجود قرية بهذا الاسم هناك. كما علق على قرية **تل كيفا** الواقعة في الطرف القريب من شمال الموصل، على انها حصن كيفا، الواقعة في أعالي دجلة، وفي شمال شرق ماردين بتركيا الحالية. كما انه لم يتمكن من التعليق، على كثير من القرى والتجمعات السكانية التي ذكرها الازدي، والتي لها صلة بكورة نينوى، مثل: بابودي، بابيرى، باجربق، باجلدا، بارستق، باساطا، باشبيتا، باعذرا، باوردا، بحواثا، تل خوسا، تل كيفا، تل كشاف، دير طيمونة – طيونة–، رأس الايل، سفطا، القادسية، الناعور(١١). أن عدم ضبط النصوص المتعلقة ببعض معالم العمران المتصلة بكورة نينوى والتشوهات التي اصابت مثل تلك النصوص قد انتقلت إلى كثير من البحوث والدراسات الحديثة التي اعتمدت عليها(١٢).

ومما زاد في أرباك الباحثين، فإن بعضاً من تلك القرى والمعالم العمرانية، ترد في المصادر التاريخية بصيغ مختلفة، أو أن تسمياتها تتعرض للتبدل بمرور الزمن، فعلى سبيل المثال، لم يتمكن محقق تاريخ الموصل لأبي زكريا الأزدي، من التعليق بشيء ذي فائدة، على كل من باسحق وباتلى، لا لشيء سوى لأن مثل هذه التسميات قديمة وهي من تسميات كل من باعشيقا وبارطلى، إذ وردت بتلك الصيغ في بعض المصادر المتقدمة(١٣).

وقد تفاوت ذكر اعمال نينوى وقراها، بين اشارات عابرة في بعض المصادر، وتكرار ورود بعضها الاخر في مصادر اخرى، فضلاً عن ذلك فقد أرتبط ذكر كثير من قرى نينوى ببعض الحوادث التاريخية، او باحدى الشخصيات من تراجم واعيان.

وأود أن أشير هنا إلى انه قد تكون هناك، بعض الدراسات التي تناولت جوانب من ريف الموصل ومعالمه العمرانية خلال العهود الاموية والعباسية حيث تشوبها العيوب والاخطاء الكثيرة، كما في رسالة الماجستير العائدة للسيد عبد الماجود أحمد السلمان، ثم هناك دراسات عن بعض القرى أو الأديرة التابعة لكورة نينوى إلا أن هذه الدراسات منعزلة وغير متسقة بعضها مع بعض دون أي رابط بين هذه الجزئيات والكيان الكلي لكورة نينوى فضلاً عن ان مؤلفيها ليسوا من المؤرخين مع اهمال او عدم مراجعة المصادر العائدة للحقب والعصور الاسلامية، مما أدى بها إلى القصور في اعطاء الصورة الحقيقية لهذه الكورة واعمالها.

يشكل هذا البحث، اسهامة تاريخية متواضعة، في ابراز المعالم العمرانية، إذ قدم صورة واضحة عن أحد أعمال الموصل الرئيسة، كما ناقش الكثير من النصوص التاريخية عن هذه الاعمال، وتحقق من مواضع عمرانية عديدة ودقق في غيرها؛ إذ اكثر مادة هذا البحث، ملتقط من نصوص متناثرة في المصادر والكتب، وقد تطلب ذلك جهداً كبيراً جداً، وهي جديرة بأن تقدم للباحثين والقراء، فهما أوضح وأدق للمعالم العمرانية في كورة نينوى.

١. المعالم العمرانية لتل التوبة وأطرافه

أ: معالم تل التوبة:

وهو تل اشوري قديم كان يضم بعضاً من المواقع المهمة لمدينة نينوى، في اواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقد قامت الاميرة جميلة الحمدانية أخت ناصر الدولة الحمداني (٣٢٠– ٣٥٣هـ) ببناء مسجد وإلى جانبه دوراً للمجاورين، اوقفت عليه اوقافاً جليلة. وصار يعرف بمسجد التوبة أو مسجد يونس، وهناك معالم عديدة اخرى مهمة، منها **مشهد، او**

رباط كبير ضم دُوراً وسقايات وأماكن للوضوء، وهو يعود إلى زمن السلاجقة، وكان يتبرك به اهل الموصل، إذ يخرجون اليه في ليالي الجمع والأعياد، ويقومون بزيارة المشهد. كما كان البعض منهم يقضي ليلته في الرباط المجاور له، وقد شارك الرحالة ابن جبير في مثل تلك الزيارة، اذ قضى هناك ليلة الجمعة في ١٦ صفر سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م[١٤]. وإلى جوار هذا المشهد كانت **مقبرة تل التوبة** وممن دفن فيها: ناصر الدولة الحمداني (ت ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)، وقرواش بن المقلد العقيلي (ت ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م). والوزير فخر الدولة بن جهير (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٨٩م)، وخضر بن نصر بن عقيل الاربلي (ت ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)[١٥].

وإلى جانب المشهد أيضاً كان يقع **دير يونس**، الذي قال عنه ياقوت: ينسب إلى يونس بن متى عليه السلام وهو في جانب دجلة الشرقي مقابل الموصل. كما حدد موضعه عمرو بن متى الطيرهاني بقوله: "**الذي على جانب سور نينوى الغربي المقابل لابواب الموصل الشرقية**"[١٦]، وقد اورد الشابشتي تفاصيل كثيرة عنه[١٧]، ولا اثر لهذا الدير في الوقت الحاضر.

ب: قرى مجاورة لتل التوبة:

وهي قرى كانت تقع مجاورة أو قريبة من تل النبي يونس، مثل: باجبارة، خصّا، إبيان، الكار، قبيصة. فأما **باجبارة** فكانت: احدى القرى الرئيسة المجاورة للنبي يونس، وقد ورد ذكرها في كثير من المصادر التاريخية والبلدانية، منها على سبيل المثال ما ذكره ياقوت في قوله: "**قرية في شرقي مدينة الموصل، على نحو ميل، وهي كبيرة عامرة، فيها سوق وكان نهر الخوصر قديماً يمر بها، تحت قناطرها، وهي باقية إلى هذه الغاية، وجامعها مبني على هذه القناطر، رأيتها غير مرة**"[١٨].

وقد ذهب سليمان الصائغ إلى أنها كانت تقع في موضع قرية يارمجة الحالية[١٩]. بينما رأى الصوفي أن قرية الجيلة في – حي السكر – بالموصل قد شيدت على انقاضها[٢٠]، وجمع سعيد الديوه جي، بين قريتي باجبارة وبافخارى، وعدّهما قرية واحدة[٢١]. وذهب صاحب اللؤلؤ المنثور إلى انها خربت في اواسط القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري[٢٢].

واستناداً إلى ما ذكره ياقوت الحموي، في وصفه الدقيق لهذه القرية، وما ذكره عمرو بن متى الطيرهاني، عند حديثة عن أحد اعلام هذه القرية، والذي اصبح بطريركاً للنساطرة في المدائن زمن الخليفة المأمون سنة ٢٠٥ هـ/٨٠٩ م، إذ جاء في كتابه قوله "**باجبارة: وهي على جانب**

نهر دجلة، ما بين سور نينوى والموصل"[٢٣]، وهذا التحديد يوضح موضع القرية في المنطقة المعروفة اليوم بحي السلام. حيث كانت تقوم هناك حتى سبعينات القرن الماضي، قرية السادة المؤدية إلى حي الوحدة بالموصل اليوم.

وقد عانى أهل باجبارة، من وطأة وصاية وحكم بدر الدين لؤلؤ، (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م – ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩م)، بسبب تضييقه عليهم في طلب الاموال، مما دفعهم للميل إلى جانب، مظفر الدين كوكبري صاحب اربل، لذا استعان بدر الدين لؤلؤ، بجماعات العدوية الذين أصبحوا يسمون فيما بعد بـ الايزيدية المنتشرين في جهات عين سفني عليهم، إذ حرّض احد رؤسائهم، في مهاجمة القرية فخرّبها وقتل أكثر سكانها، وذلك سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، كما سبى نسائها واطفالها، وقد ورد ذكر هذه الحادثة، في نسخة من كتاب النفس والقيامة، وهو من تأليف موسى بن كيفا، بخط محبوب الباشبيتي في اواخر شهر اذار سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م[٢٤].

وقد أثرّت هذه الحادثة تأثيراً كبيراً على القرية، فتراجعت كثيراً في الحقب التالية، الا انها لم تندثر، الا بعد عقود طويلة منذ ذلك التاريخ، حيث ورد ذكرها في بعض أشعار صفي الدين الحلي، الذي عاش في حقبة النصف الاول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[٢٥]. وينسب إلى هذه القرية عدد من الاعلام المشهورين منهم: الزاهد سلمان بن يحيى الباجباري؛ وابو الطيب رزق الله التغلبي الباجباري؛ وبطريرك النساطرة ايشوع برصوم الموصلي[٢٦].

أما القرى الاخرى المجاورة لتل النبي يونس فمنها: قرية **خُصّا** التي ذكرها الازدي في حوادث سنة ١٢٨ هـ/ ٧٤٥ م، المتعلقة بالخليفة الاموي، مروان بن محمد، عند ملاحقته لشيبان الخارجي[٢٧]. وكانت هذه القرية، تبعد عن الموصل مسافة فرسخ واحد أي بحدود (ستة كيلومترات)؛ كما ذكرها ياقوت بقوله "**قرية شرقي الموصل، وفيها جمالون يسافرون إلى خراسان**"[٢٨]. وهذا يعني انها كانت، بمثابة محطة لانطلاق القوافل إلى أربل، ثم اذربيجان وخراسان، ومنها سافر ياقوت إلى بلاد الترك في اواسط آسيا سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٥م، منها عاد أيضاً سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م[٢٩].

كذلك كانت قريتا: **الكار الاعلى والكار الاسفل** تقعان على سور نينوى، وينتسب اليهما بعض الزهاد[٣٠]. وبالقرب من هذه المواضع، كانت قرية **قبيصة**، وهي الاخرى من اعمال شرقي

مدينة الموصل، بينهما مقدار فرسخين. ثم **إبيان** التي انفرد بذكرها، ياقوت الحموي، حيث قال: **هي قرية يونس بن متى عليه السلام**[٣١].

ج: **معالم على اطراف نهر الخوصر**:

وهي مجموعة من القرى القريبة من نهر الخوصر الذي كان مجراه في كورة نينوى، ومن هذه القرى: **الدسكرة، باريما، بلبخت، خرستاباذ، صرعون خراب، الفضلية، الزرّاعة.**

إذ جاء ذكر قرية **الدسكرة**، في حوادث سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م، ثم في عهد الخليفة المأمون، حينما قصد والي الموصل، بعضاً من بني شيبان، في شرق المدينة، فكبسهم في قرية الدسكرة[٣٢]، ورأى الصوفي إنها تصحفت إلى بزكرة، الواقعة قرب وادي الخوصر، شمال الموصل بمسافة ١٥ كم[٣٣]. وهذا الرأي لا يستند على اساس علمي دقيق.

أما **باريما:** فتعني بيت الرفعة، وتقع شمال شرق الموصل، عند خورسيباد الاشورية، وذكرها ياسين العمري بقوله: "**عامرة شرقي الموصل وبالقرب منها ماء الناوران**"[٣٤].

أما قرية **بلبخت:** ورد ذكرها في وقفية للبطريركة النسطورية، لسنة ٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦م، وتقع قريبة من موضع الشلالات بالموصل، ويطلق عليها في الوقت الحاضر اسم بايبوخ[٣٥]. على الطريق المؤدي إلى بلدة الشيخان قريبة من جهة الموصل. كما يقع إلى جوارها قرية **خرستاباذ:** التي ذكرها ياقوت وعدّها "**قرية في شرق دجلة، من اعمال نينوى، ذات مياه وكروم كثيرة، شربها من فضل مياه راس الناعور المسمى بالزرّاعة، وإلى جانبها مدينة يقال لها صرعون خراب**[٣٦]، وهذه الأخيرة هي مدينة سرجون الاثرية، وهي خورسيباط. ووصف ياقوت **الزرّاعة** بقوله: "**وهي قرية كبيرة... من أعمال نينوى قرب باعشيقا**". كما أورد القزويني ذكر **الزرّاعة** أيضاً: في مادة رأس الناعور: **شرقي الموصل، قرية تسمى زرّاعة، لها عين فوارة غزيرة الماء، فيها من اللينوفر شيء كثير، يباع بثمن جيد ويزيد من غلة تلك الضيعة**[٣٧]، وهي غير قرية الزرّاعة القريبة من نهر الخازر[٣٨].

٢. معالم قريبة من نهر دجلة:

تقع هذه المعالم في شمال مدينة الموصل وجنوبها، وهي قسمين رئيسين:

أ: **قرى شمال الموصل**:

وهي قرى: **تلكيفا، بابنيثا بابيرا، بقاق، بعويرا، بعويزا، بيسان، أوانا، باطط، دير اسطون، اسطوان،** وتقع معظم هذه القرى قريبة من الطريق المؤدي إلى مدينة دهوك وبمحاذاة دجلة؛ فأما

تل كيفا: فتعني تسميتها السريانية تل الحجارة. ذكرها الأزدي في حوادث سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، عند حديثهِ عن هزيمة مروان بن محمد، اخر خلفاء الامويين، امام جيوش العباسيين في معركة الزاب، حيث قال: "**واخبرني جماعة من بني الحارث بن كعب عن اشياخهم، ان طريق مروان بن محمد، اخر خلفاء بني امية، كان إلى الزاب بين باسحق وتل كيفا**"(٣٩). ولم يُحسن محقق تاريخ الموصل، وهو د. علي حبيبة ضبط هذا النص وتوظيفه، فأشار إلى ان المقصود بتل كيفا، هي حصن كيفا في اعالي الجزيرة الفراتية(٤٠)، وفي تركيا اليوم. وهذا يعني ان الطريق الذي سلكه الخليفة مروان بن محمد، قبل انتكاسته في معركة الزاب، كان يقع بين بعشيقة وتلكيف، أي في طريق الشيخان، الذي كان يؤدي إلى قنطرة الجومل، إذ قدمت جيوش الامويين وسلكت هذا الطريق، باتجاه إلتقاء الزاب بدجلة. وقد تعرضت القرية للنهب سنة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م. وفي ايام الجليليين، كانت من أوقاف جامع النبي جرجيس(٤١).

كما تقع **بابنيثا:** في شمال شرق الموصل، بمسافة ٥٠ كم، وَعُرفت بمرور الزمن باسم بابنيت، ذكرها ابن الاثير، في حوادث سنة ٤٤١ هـ/ ١٠٤٩م، واشار إليها ياسين العمري، وقد غطت القرية اليوم، مياة بحيرة سد الموصل(٤٢). كما كانت **بابيرا أيضاً:** من قرى الموصل في جهاتها الشمالية، وإلى هذه القرية، ينتسب الشاعر المشهور، أبو العتاهية، وذكر الازدي في حوادث ٢١١ هـ/ ٨٢٦م، ذلك بقوله: "**وفيها مات ابو العتاهية، وذكر انه ينتمي إلى عنزة، وانه من بابيرى من قرى الموصل**"(٤٣)، كما قال عنها توما المرجي: "**قرية بيث بوري الواقعة في اعمال نينوى**"(٤٤). وما تزال القرية تحتفظ باسمها، وتقع على مسافة ٦ كم جنوب شرق بقاق، غرب الطريق المؤدي إلى دهوك، من جهة الموصل.

وفي شمال الموصل، وعلى الطريق المؤدي إلى دهوك، جنوب بلدة فائدة بـ ٧كم، كانت تقع **بقاق،** ورد ذكرها في بعض المصادر، بصيغة بيت قاقي(٤٥)، وذلك في حقبة القرن السابع الميلادي/ الأول الهجري، واشار اليها ياسين العمري، بقوله "**عامرة شرقي الموصل**"(٤٦).

وعدت قريتي **بعويرا وبعويزا:** بين تلكيفا والموصل(٤٧)، وتعني تسمية الاولى المعبر، وتقع حيث الطريق المؤدي إلى دهوك، قريبة من جهة حي العربي وكانت موجودة في خمسينات القرن العشرين.

أما **بعويزة:** فتعني موضع القوة والعزّة، وذكرها الازدي بصيغة باعوسا، وكانت من ضياع بني صدقة الازديين، في مطلع القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي(٤٨)، ولا تزال القرية تحتفظ بتسميتها حتى الوقت الحاضر. وتقوم عند اطراف مدينة الموصل من جهة حي البلديات والكفاءات الثالثة. وبالقرب من هذه المواضع يقع دير مار كوركيس، ويشرف اليوم على حي العربي، يمين الطريق الذاهب إلى دهوك؛ وكان في الاصل كنيسة لقرية بعويرا(٤٩).

وقريباً من هذه الجهات، كانت **بيسان:** فذكرها ياقوت: "**وبيسان أيضاً قرية من قرى الموصل، لها مزرعة كبيرة**"(٥٠)، وتعني تسميتها بيت السكون والوداعة، والقرية موجودة اليوم في المنطقة الواقعة بين حي العربي وقرية الرشيدية.

وتقع **أوانا:** التي ذكرها المرجي عند ترجمته لأحد الاعلام، بقوله "**وانتقل إلى جوار مدينة بلد، في حدود قرية أوانا، في مقاطعة بيث نوهدرا**"، وتسمى اليوم بصيغة وانة، وهي مركز ناحية تابعة لتلكيف، مقابل بلد (اسكي موصل)، وهي بمعنى النعجة، في تسميتها السريانية(٥١).

كما وردت **تل صلما:** في اخبار القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، قرب قريتي شورزاق وبابنيث، على طريق الموصل–دهوك، وفي السريانية صلما بمعنى الوجه(٥٢). وكانت **المغيثة أيضاً:** من كورة نينوى قرب قرية بابنيث، في شرق دجلة، بينهما فرسخ واحد، ذكرها ابن الاثير في حوادث سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م(٥٣)، واصبحت اليوم ضمن بحيرة سد الموصل.

ب: مواضع وقرى جنوب الموصل:

وتتمثل بمواضع وقرى: **بافخاري وقصر حرب والسلامية ودير الجب:** فأما **بافخاري** وهي من اعمال نينوى، على نهر دجلة(٥٤)، ذكرها الازدي، بانها من قرى المنائح، وسكنها بعد الفتح، بنو مالك الهمدانيين، الذين قدموا من الكوفة، ومن هذه القرية خرج، احد زعماء الخوارج وهو حمدان بن مجالد بن يحيى ابن مالك الهمداني، على أبي جعفر المنصور سنة ١٤٨ هـ/ ٧٦٥م(٥٥). وفي حقب الزنكيين، منحها امراء الاتابكة لعائلة ابن الاثير الجزري قرية **قصر حرب**، وهي نسبة إلى حرب بن عبدالله، أحد قادة أبي جعفر المنصور، وذلك سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، فشيد قصراً هناك سمي بـ (قصر حرب)، وفي هذا القصر ولدت زبيدة بنت جعفر التي اصبحت فيما بعد زوجة هارون الرشيد. وفي حقب الزنكيين كانت من قطائع أبناء الاثير

الجزريين، وفيها شيد مجد الدين بن الاثير رباطاً له، وفيها قضى أخاه عز الدين ابن الاثير، شطراً من حياته يؤلف كتابه الكامل في التاريخ(٥٦).

أما قرية **السلامية:** فكانت على نهر دجلة، وقريباً من اثار النمرود؛ وقد عُدّت في حقب العباسيين المتأخرة، احدى أكبر قرى الموصل، حيث قال عنها ياقوت: "**قرية كبيرة من نواحي الموصل، على شرق دجلتها، بينهما ثمانية فراسخ، وهي من قرى الموصل الحسنة في نزهتها وفيها كروم ونخيل وبساتين؛ وفيها عدة حمامات، وجامع ومنارة، بينها وبين الزاب فرسخان، وبالقرب منها مدينة يقال لها اثور**"(٥٧)، وهذه الأخيرة هي النمرود اليوم، وقد اشتهر من أبناء السلامية غير واحد، وذكر ياقوت بعضهم. كما نجد في بعض المصادر التاريخية، خبراً يعود إلى سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣م، إشارة تتعلق بارتحال الاشرف امير سنجار، من مظفر الدين كوكبري صاحب أربل(٥٨).

ومن الأديرة الشهيرة في هذه المنطقة **دير الجب**، إذ ذُكر بأنه: "**دير في شرقي الموصل بينها وبين اربل، مشهور يقصده الناس لاجل الصرع، فيبرأ منه بذلك كثير**"(٥٩)، وهو يسمى دير مار بهنام، عُدّ أحد أشهر اديرة العراق، ويقع تحديداً في مركز ناحية النمرود،– الخضر والبساطلية– جنوب الموصل بـ ٣٥كم، ويحتوي بناؤه على كنوز فنية رائعة تعود إلى حقب الزنكيين، واجريت عليه ترميمات عديدة ومهمة، وله مكتبة عامرة بالكتب والمخطوطات، ويرتاده زوار كثيرون من العراق ومن الأجانب(٦٠).

٣. معالم عمرانية عند جبلي عين الصفرة وبعشيقا:

وهي تمثل مجموعة من القرى والضياع المحيطة، بجبال بعشيقة وعين الصفرة والمقلوب، وهي: **بعشيقا وبحزاني، والفضلية، باجربق وقصر ريان وباصفرا وترجلة ودير الخنافس.**

أ. عند جبل باعشيقا:

كانت **باعشيقا** بلدة قديمة تعود إلى أيام الآشوريين، أزدهرت في العصور اللاحقة، ورد ذكرها بصيغة بيت شاهاق ثم باسحق بمعنى بيت المسحوقين أو المنكوبين، كما حافظت على نشاطها وحيوتها خلال العصور الاسلامية المختلفة(٦١)، وقد تكرر ورودها في المصادر التاريخية، وخاصة تاريخ الموصل للازدي، بصيغة باسحاق(٦٢)، كما فصلّ في ذكرها ياقوت الحموي بقوله: "**من قرى الموصل وهي مدينة من نواحي نينوى، في شرق دجلة، لها نهر جار**

يسقي بساتينها، وتدار به عدة أرجاء، وبها دار امارة، ويسقي النهر في وسط البلد، والغالب على شجر بساتينها الزيتون، والنخيل والنارنج، ولها سوق كبيرة، فيه حمامات يباع فيها البز، وبها جامع كبير، حسن النضارة، وبها قبر الشيخ ابي محمد الراذاني الزاهد، وبينها وبين الموصل ثلاثة فراسخ او اربعة، واكثر اهلها نصارى، وإلى جانبها قرية كبيرة، ذات اسواق وبساتين متصلة"[٦٣]. والنهر الذي ذكره ياقوت الحموي، والذي يسقي بساتينها لا يعدو أن يكون عين ماء، ثم أن الزيتون لا يزال يغلب على شجر بساتينها، اما النخيل والنارنج فلا وجود لهما اليوم، كما لا يزال قبر الشيخ ابي محمد الراذاني الزاهد المسلم، يقصده الأيزيدية اليوم، للطواف[٦٤].

وفي تاريخ الموصل للأزدي، إشارات عديدة عنها، ومن ذلك ما تعلق بشأن هزيمة مروان بن محمد، آخر خلفاء الأمويين، في موقعة الزاب، إذ جاء فيه: "**واخبرني جماعة من بني الحارث بن كعب، عن اشياخهم، ان طريق مروان بن محمد، اخر خلفاء بني امية، كان إلى الزاب بين باسحق وتل كيفا**"[٦٥]، ولشهرة باعشيقا فان العديد من النصوص في تاريخ الازدي تسند اليها. منها ما جاء في حوادث سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م: "**وممن سكن الموصل من بني مالك بن فهم، العقا بن الحارث بن مالك بن فهم، وهو من اصحاب باعقا، قرية على شط الزاب؟ (الخازر) بقرب باسحق ومنهم بقية هناك**"، كما ذكر في حوادث السنة نفسها: "**ولبني حمام بالموصل، ضيعة تعرف بالحميمة، ويضاف اليها دير طيمونة(*) قريبة من باسحق**"[٦٦].

وإلى جوار باعشيقا كانت تقع **بحزاني:** إذ ورد ذكرها بصورة غير مباشرة، في مادة باعشيقا لدى ياقوت دون ان يسميها، بقوله: "**وإلى جانبها قرية اخرى كبيرة، ذات اسواق وبساتين متصلة**"[٦٧]. وبالقرب من باعشيقا، وعلى سفح جبلها، قرية **الفضلية** أيضاً، وذكرها سبط ابن الجوزي ضمن حوادث سنة ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧ م، حيث انقطع فيها احد الصالحين الزهاد، إذ جاء "**وكان قد انقطع عن الناس، في قرية من بلاد الموصل يقال لها الفضلية**"[٦٨]، كما ذكرها المستوفي صاحب تاريخ أربل، عند حديثه عن احد الزهاد المعروفين، وهو ابن الحداد[٦٩]. أما ياقوت الحموي، فقد أشار إلى الفضلية، بقوله "**قرية كبيرة كالمدينة، من نواحي شرق الموصل، واعمال نينوى قرب باعشيقا، متصلة الاعمال، بها نهر جار وكروم وبساتين، وبها سوق وقيسارية وبازار، تشبه باعشيقا الا ان باعشيقا، اكثر دخلاً واشيع ذكراً**"[٧٠]. ويرى الصوفي

أن قرية الزرّاعة او رأس الناعورة، هي الفضلية (الفاضلية) الواقعة على بعد ٢٦ كم من الموصل[٧١]، لكنه رأي بعيدٌ عن الصواب؛ لأن ياقوت قد أشار إلى قرية الزرّاعة أو رأس الناعورة، في أثناء حديثه عن خرستباد، وان الزرّاعة أو الناعورة ما هي إلا قرية الناوران. أما الفضلية فهي قرية الفاضلية شمال بعشيقة وعلى جبلها نفسه. كما كانت **قصر ريان**: التي ذكرها ياقوت: "**في شرق دجلة الموصل، من أعمال نينوى، قرب باعشيقا، بها قبر الشيخ الصالح، ابي احمد عبدالله بن الحسين بن المثنى المعروف بابن الحداد، وكان اسلافه خطباء المسجد بالموصل، وله كرامات ظاهرة**"[٧٢]، ولا يعرف موضعها اليوم.

وَعُدّت **باجربق** أيضاً: من اعمال نينوى، على مسافة ٢٠كم من الموصل جنوب غرب باعشيقا، بـ ٥ كم، ويطلق عليها اليوم اسم أبو جربوعة، وهذه القرية هي غير قرية باجربق التي في بقعاء الموصل، والتي ذكرها ياقوت[٧٣]. وقد خلط بعض المؤرخين، بين كلتا القريتين بسبب إحدى التراجم المنسوبة إلى باجربق، حيث نُسِبَ جمال الدين عبد الرحيم بن عمر المعروف بالباجربقي الموصلي، وهو فقيه شافعي حضر إلى دمشق، واقام بها سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، إذ أحال بعض الباحثين المحدثين هذه الترجمة، وأعيان آخرين من أسرته إلى باجربق الواقعة شمال بقعاء الموصل، وهو وهم واضح، اذا علمنا إن فضل الله الصقاعي الدمشقي، صاحب الذيل على وفيات الاعيان، لابن خلكان، والذي كان له صلة ومعرفة، بتلك الاسرة الباجربقية في دمشق، ومعاصراً لها، إذ ذكر جمال الدين عبد الرحيم الباجربقي بقوله: "**من الفضلاء والكبراء، حضر إلى دمشق، واقام بها، توفي سنة تسع وتسعين وستمائة، ونسبته إلى قرية تعرف بباحربق، من أعمال نينوى الخراب، المضافة إلى الموصل**"[٧٤]. وأعمال نينوى تقع في شرق الموصل اما بقعاء الموصل فتقع في غربها وشمالها، حيث المناطق الواقعة اليوم بين ناحية ربيعة والقامشلي السورية.

ب: عند جبل عين الصفرة

تأتي قرية **باصفرا** عند مقدمة الجبل، وعلى يسار الطريق المؤدي إلى أربيل، من جهة الموصل، قبل عبور نهر الخازر، وقد ورد ذكرها في حوادث سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، وذلك عندما هاجمتها جيوش مظفر الدين كوكبري، فقد فتك بثلاثمائة رجل من اهلها وكانوا من النصارى[٧٥]، ابان حقب الصراع مع الزنكيين في الموصل. كما اشار ابن العبري في حوادث

سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م، إلى اعتداء المغول على اهلها، بعد ان حاصروهم وذلك عندما انهزم كثير من اهلها إلى اربيل، اذ لقيهم احد قواد المغول وهو فوتكوبك، فاجهز عليهم قاطبة[٧٦].

وكانت **ترجلة:** على مسافة ٣٠كم من الموصل، إذ ورد ذكرها في حوادث سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، بسبب تعرضها لهجمات المغول[٧٧]، واشار اليها ياقوت بقوله: "**قرية مشهورة بين اربل والموصل، من اعمال الموصل، وكانت بها وقعة بين عسكر زين الدين مسعود بن زنكي بن اق سنقر، وبين يوسف بن علي كوجك صاحب اربل سنة ٥٠٨ هـ، وكان الظفر فيها ليوسف، وبترجلة عين كثيرة الماء كبريتية**"[٧٨]. وعين الماء هذه لاهل كرمليس اليوم.

ومن أديرة هذه المنطقة دير **الخنافس:** ويسمى دير مار دانيال الاعلى، ويقع على جبل عين الصفرة قريباً من قرية باصفرا، وقد تصحف عند ياقوت الحموي إذ حدد موقعه معتمداً على آخرين، فقال: قال الخالدي: "**هذا الدير بغربي دجلة**"، وبعد هذا التصحيف وصفه بقوله: "**وهو دير صغير لا يسكنه اكثر من راهبين فقط، وهو نزه لعلّوه على الضياع وإشرافه على أنهار نينوى والمرج، وله عيد يقصده اهل الضياع، في كل عام مرة، وفيه طلسم ظريف، وهو أن في كل سنة، ثلاثة أيام تسودُ حيطانه وسقوفه، من الخنافس الصغار اللواتي كالنمل..**"[٧٩].

كما تصحف ذكره عند الشابشتي إذ وصفه بأنه دير كبير وكثير الرهبان وحدد موقعه بين بلد والموصل، والصواب انه كان صغيراً كما قال ياقوت وضمن كورة نينوى[٨٠].

٤. معالم مجاورة للطريق بين الموصل واربل:

وتمثل عدداً، من القرى والمزارع والضياع القريبة من الطريق بين الموصل واربل، مثل: **اللك، باخديدا، بلاباذ، كرمليس، برطلة، بادانيال، ثم باشبيتا، بازوايا وباشمنايا.**

أ. محطات على الطريق القديم:

وتتمثل بقرى **اللك وباخديدا وبلاباذ.** فأما اللك: فذكرها ياقوت بقوله: "**واللك أيضاً قرية قرب الموصل، من أعمال نينوى، في الجانب الغربي**"، وكانت تقع على الطريق، بين الموصل وأربل، وقد قصد ياقوت، باعمال نينوى في الجانب الغربي، من تلك الاعمال[٨١].

وعلى مقربة من هذا الطريق كانت **باخديدا:** وذكرها ياقوت بقوله: "**قرية كبيرة كالمدينة، من اعمال نينوى، في شرق مدينة الموصل، والغالب على اهلها النصرانية**"[٨٢]. وتعني تسميتها

وفق الصيغة التي أوردها ياقوت (بيت عطية الله)، كما أنها قد تعني أيضاً بيت الحدأة او بيت الشباب او بيت النهد والضرع، أما أهلها فيسمونها بصيغة بغديدا، كأنها تصغير من اسم بغداد، وهي بلدة قره قوش، والتسمية الاخيرة تسمية تركية ألحقت بها، بعد الغزو التيموري، في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، كما أطلق عليها في مطلع القرن العشرين اسم الحمدانية(٨٣)، وهي اليوم مركز قضاء الحمدانية احد اقضية الموصل.

وإلى الشرق من باخديدا تأتي إحدى محطات البريد باسم **بلاباذ:** وهي في الأصل من مدن الآشوريين الصغيرة، وكان يطلق عليها يومذاك اسم أمكربيل، وتعني (رضي بعل) وأطلق عليها بالسريانية اسم (باعلوتا) أي بيت الأصنام. حيث يقع موضع أمكربيل او "**بعل اباذ**"(٨٤). وقد ذكرها ياقوت وعدّها أول محطة رئيسة على الطريق، بين الموصل واربيل، فجاء في مادة **بلاباذ** "**قرية في شرق الموصل، من اعمال نينوى، بينها وبين الموصل، رحلة خفيفة تنزلها القفول، ولها خان للسبيل، وهي بين الموصل والزاب**"(٨٥). ثم إلى الشمال من باخديدا كانت هناك قريتان باسم: **بادانيال العليا وبادانيال السفلى:** وهما أيضاً إلى الجنوب من جبل عين الصفرة، والعليا أكثر شهرة وتقعان على يسار الطريق، الذي يربط بين الموصل واربيل في الوقت الحاضر، وقد تردد ذكرهما، في بعض المصادر قبل الغزو المغولي، وفي حقب ما بعد ذلك، ويرد ذكر أحد الأمراء من بادانيال العليا وهو الأمير مسعود، لكن ذِكر القريتين يختفي بعد ذلك التاريخ، ليظهر في حقب العثمانيين بصيغة بدنه عليا وبدنه سفلى(٨٦).

ب: معالم قريبة من الطرق الحالي:

كانت برطلة من القرى الرئيسة في هذه الجهات، ويعود تاريخها إلى حقب وعصور الآشوريين، وأطلق عليها في العصور الإسلامية الأولى، اسم باتلى، وإلى اليوم يسميها أهل الموصل بصيغة مشابهة لهذه التسمية، فقد وردت في حوادث سنة ٦٦هـ/٦٨٥م في ثورة المختار الثقفي(٨٧)، كما ذكرها الأزدي في حوادث سنة ١٨١هـ/٧٩٧م، وكانت من جملة القرى الكثيرة، التي خرّبها أحد ولاة الموصل بسبب الضرائب الثقيلة، التي كانت تؤخذ من أهلها، وذلك في عهد هارون الرشيد، وهو يحيى بن سعيد الحرشي، سنة ١٨١هـ/٧٩٧م، بقوله: "**وعسف الحرشي أهل الموصل عسفاً شديد**"، **وطالبهم بخراج سنين مضت، فجلا عن البلد كثير من أهله إلى اذربيجان، ورحل أهل باسحاق – بعشيقة – من بني الحارث بن كعب إلى اذربيجان**

وخربت وكانت مدينة، واهل القادسية من رستاق الخازر وأهل قرى غير هذه واخرب باتلا وخرستاباذ، وهاعله، وبافكي وغيرها من القرى، فلم تعمر إلى هذه الغاية ورحل اهلها وبادوا، فضربه الناس مثلاً وقالوا: لم يرضوا بمنجاب، فجاءهم الحرشي[٨٨]. وقال عنها ياقوت: "**قرية كالمدينة في شرقي دجلة الموصل، من اعمال نينوى، كثيرة الخيرات والاسواق والبيع والشراء، يبلغ دخلها كل سنة عشرين الف دينار احمر، والغالب على أهلها النصرانية، وبها جامع للمسلمين، وأقوام من أهل العبادة والزهد، ولهم بقول وخس جيد، يضرب به المثل وشربهم من الآبار**"[٨٩]، وكان **دير الشهداء الأربعين** يقع في أطراف برطلة في الجنوب الغربي واطلاله ماثلة على الطريق المؤدي إلى أربيل[٩٠].

وتردد ذكر قرية **باشبيتا:** وهي بمعنى قرية السبي أو النهب، إلى الجنوب من برطلة، وكانت في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، من ضياع بني صدقة الأزديين[٩١]. كما ورد ذكها في حوادث سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وذلك حينما ترك أهلها القرية وأقاموا في برطلة بسبب بعض حوادث الفتن[٩٢]، ثم ورد ذكرها أيضاً في قصيدة صفي الدين الحلي[٩٣]، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي/ الثاني عشر الهجري، ذكرها ياسين العمري بقوله: "**قرية عامرة، أهلها نصارى وليس عندهم بيعة وصلاتهم في برطلة**"[٩٤]، وبعد ذلك التاريخ سكنتها جماعات الشبك.

ومن القرى المهمة في هذه الجهات **كرمليس** وهي على مسافة ٢٧ كم جنوب شرق الموصل وقد وردت في مصادر كثيرة. كما ذكرها ياقوت بقوله: "**كانها من كرم وليس: قرية من قرى الموصل، شبيهة بالمدينة، من اعمال نينوى، في شرق دجلة كثيرة الغلة والاهل، وبها سوق عامر وتجار**"[٩٥]. زارها الرحالة كارستن نيبور في ١٧ آذار سنة ١٧٦٦م وقال بصددها: "**وكانت هذه مدينة كبيرة في سالف الازمان، أما اليوم فيتراوح عدد بيوتها بين الستين والسبعين بيتاً مبنية بالكلس والحجر وأكثرها مقببة**". كما أشارت إليها المصادر التاريخية في حقب ما بعد الغزو المغولي[٩٦].

وورد ذكر **بزواي** بصيغة بزوان وهو تصحيف من الناسخ، فقد جاء في حوادث سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م، "**وفيها مات المعافى بن داؤد الموصلي، وكان له فضل وعبادة، وكان ينزل في بزوان**"[٩٧]. كما ورد ذكرها أيضاً في قصيدة الكان وكان لصفي الدين الحلي[٩٨].

٥. معالم عند نهري الخازر والزاب الكبير:

بعض هذه المعالم والقرى كانت تقع على نهر الخازر، او قريبة منه، مثل: **القادسية، المعروبة، تل عيسى، باعقا، اسطوان، تل خوسا، بيث ادري.**

أ. **القادسية والقرى المجاورة:** تقع على نهر الخازر، أو قريبة منه، وردت في مادة بافكي عند ياقوت بقوله: "**ناحية بالموصل من أرض نينوى، قرب الخازر، تشتمل على القرى، يجمعها هذا الاسم، ومن قراها: تل عيسى، وهي قرية كبيرة، وبيت رثم، والقادسية، والزرّاعة، والسعدية**"[٩٩]، وقد مرّ ذكر القادسية في تاريخ الأزدي في حوادث سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧م بسبب عسف والي الموصل الحرشي، ومطالبته بخراج سنين مضت[١٠٠]، وقد علق محقق الكتاب وهو د. علي حبيبة تعليقاً غير صائباً، في هامش النص حين عدَّ القادسية، من نواحي دجيل بين حربى وسامراء ولم يتمكن من تحديد موضع القادسية حيث نهر الخازر، فتصور أنها في جهات سامراء[١٠١]، معتمداً على معجم البلدان الذي لم يذكرها في مادة مستقلة لكنه أوردها عرضاً ضمن ناحية بافكي، لكن ياقوت ذكرها أيضاً في المشترك وضعاً بقوله: "**القادسية بين الموصل واربل على نهر الخازر من أعمال الموصل وهي ملك لصاحب أربل مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك**"[١٠٢]. وقرية القادسية اليوم من قرى ناحية العشائر السبع التابعة لقضاء عقرة وبلغ نفوسها "١٠٩" نسمة في تعداد عام ١٩٥٧[١٠٣].

ب. إلى الجنوب من قرية القادسية وعلى نهر الخازر أيضاً، كانت **المعروبة:** وقد أشار إليها ابن الأثير، في حوادث سنة٢٩٢ هـ/ ٩٠٤م في عهد الخليفة العباسي المكتفي، إذ كان قد ولى إمارة الموصل لأبي الهيجا عبدالله بن حمدان التغلبي، فأتاه الصريخ: "**من نينوى بان الأكراد الهذبانية بقيادة زعيمهم، محمد بن بلال، قد اغاروا على نينوى فسار أبو الهيجا مع جيشه، وعبر الجسر إلى الجانب الشرقي، يعقب الاكراد فلحقهم بالمعروبة، على نهر الخازر فقاتلوه**"[١٠٤]. ورأى الصوفي أن المعروبة هي الآن قرية المنكوبة، الواقعة على ضفة الخازر الشرقية[١٠٥]. وموضع الجسر الذي ذكره ابن الاثير لم يكن بعيداً عن موضعه في الوقت الحاضر.

أما **باريشا:** فكانت من قرى نينوى، القريبة من نهر الخازر، وهي بمعنى الرافد الرئيس، نزلها إبراهيم بن الاشتر سنة ٦٧ هـ/٦٨٦م، بعد قدومه من الكوفة[١٠٦]. ويبدو لي أن باريشا هذه هي بلدة بردة رش مركز ناحية (العشائر السبعة).

كما كانت **تل خوسا:** من أعمال الموصل، عند الزاب الأعلى، وكانت من أملاك، معن بن مالك بن سليمة، الساكنين بالموصل عند باب سنجار. ثم **باعقا:** على نهر الخازر، قرب باسحق، وهي لبني مالك بن فهم ممن سكن الموصل من الأزديين[١٠٧].

وقد شكل **جبل مقلوب** حداً فاصلاً بين منطقتي كورة نينوى ومرج الموصل وأهم مظاهر العمران عليه هو **دير الشيخ متي** وهو الدير الوحيد الذي لا يزال قائماً على هذا الجبل. وذكره ياقوت بقوله: "**على جبل شامخ، ومن استشرفه نظر إلى رستاق نينوى والمرج، وهو حسن البناء وأكثر بيوته منقورة في الصخر**". كما ذكره ابن فضل الله العمري في مسالكه[١٠٨].

٦. العمران القريب من جبلي مقلوب وألقوش:

يمثل هذا العمران القرى والمواضع القريبة من جهات جبل مقلوب، وجبل القوش وهي: **باطنايا، باقوفا، باكلبا، القوش، تل اسقف، اسطوان، باعقا، باجلدا، بارستق، بيباني، بيت آسا، بيوز، عين سفني.** وسنتناول هذه القرى والأديرة بشيء من الإيجاز وعلى النحو الآتي.

أ: تأتي **تل اسقف** القريبة من تلكيف، في مقدمة هذه القرى، ويرجع تاريخها إلى عهود الآشوريين، وينتصب في وسطها تل اثري يعود إلى تلك العهود، وكانت تشتهر إلى وقت قريب بصناعة الفخار، وذكرها ياقوت بقوله: "**قرية كبيرة من أعمال الموصل، شرقي دجلتها**"[١٠٩]. وقد ذكرها الرحالة باجر سنة ١٨٥٢م وقدر نفوسها بحوالي ١١٠ عائلة[١١٠].

كما كانت **باطنايا:** في قلب المنطقة السهلية من هذه المنطقة، وهي من أعمال نينوى، وتعني تسميتها بيت الغيرة أو بيت العَمَشْ أو بيت الطين، وذكرها صفي الدين الحلي في قصيدة الكان وكان، والتي ضَمّنها أسماء كثير من قرى الموصل[١١١]. ثم **باقوفا:** وهي قرية قديمة، وتعني تسميتها الآرامية موضع الأخشاب أو الموضع المستدير (كوفه)، وقد ذكرها بعض المؤرخين في حقبة القرن السابع الميلادي. كما وردت في حقب القرن السادس عشر الميلادي، وذلك بتاريخ ١٥٦٥م. وفي القرن الثامن عشر الميلادي، كانت وقفاً على جامع النبي يونس بالموصل، وقد

دمرت القرية في غزوة نادر شاه على الموصل[١١٢]. أما **باكلبا:** فتقع عند الروابي المعروفة بالكنود، على مسافة ١٠ كم جنوب القوش، قرب قرية الشَرَفيّة، وعُدّت مزرعة من باعذرا[١١٣].

ب: كانت **القوش:** ضمن تلك المعالم الواقعة شمال شرق الموصل بمسافة ٤٥ كم، في لحف جبلها، إذ يقوم على صدره ديرها الشهير باسم الربان هرمزد، والذي كان السبب في ذكرها في بعض المصادر كالتاريخ السعردي، ثم جاء ذكرها في كتاب المجدل بقوله: "**ربان هرمزد القديس، صاحب دير ألقوش ببلد الموصل**". وفي حقب القرنين السادس عشر والسابع عشر، اشتهرت كثيراً، وهي اليوم مركز ناحية ويقدر عدد نفوسها بـ ٥٠٠٠ نسمة[١١٤].

وفي الجبل على مسافة كيلومترين شمال شرق بلدة القوش، يقع **دير الربان هرمزد**، وهناك اشارات كثيرة عنه، بدءاً من منتصف القرن السابع الميلادي/ الأول الهجري، وظل قروناً طويلة مأهولاً، كما تعرض للسلب والنهب ابان عهد المغول والتيموريين[١١٥].

وتقع **بابوسا:** في لحف هذا الجبل أيضاً وتسمى بوزايا أو بوزان، وينتسب أحد الرهبان النساطرة في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري، الذي أرخ لحياته يوحنا بن كلدون[١١٦].

كما وردت **باجلدا:** في حوادث سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥ م، وعدّت مزرعة من باعذرا، إذ كانت عندها وقعة بين احد قادة الخوارج، وهو حسان بن مجالد بن يحيى وقائد جيش العباسيين في الموصل، وهو الصقر بن نجدة في زمن الخليفة المنصور[١١٧].

جـ: ومن قلاع الموصل في هذه الجهات، **قلعة الجراحية** الشهيرة: والتي توفي فيها محبوساً، الأمير العقيلي قرواش بن مقلد سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، إذ حمل ودفن على سفح تل التوبة، وخرائب القلعة موجودة عند قرية الجراحية الحالية التي تقع في منتصف المسافة بين القوش والشيخان[١١٨].

وأورد الأزدي ذكر **بارستق:** في حوادث سنة ٢٠٠هـ/٨٠٥ م[١١٩]، ويطلق عليها في الوقت الحاضر اسم بيرستك، وتقع على مسافة بضعة كيلومترات، من مركز قضاء الشيخان، وكانت خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، قرية كبيرة فيها جامع وزاوية للشيخ عدي بن مسافر الأموي، وإلى جانبها قرية، روق بني فضل[١٢٠].

أما **عين سفنة:** فهي بلدة عين سفني الحالية وهي مركز قضاء الشيخان، وتقع على مسافة ٥٠ كم شمال شرق الموصل، وتعني تسميتها السريانية، عين الأخشاب والأوتاد، وورد ذكرها في عدد من المصادر الإسلامية، بسبب شهرة أحد أعلامها المنسوب اليها(١٢١).

كذلك تقع قرية **بيوز:** في شرق ألقوش باتجاه عين سفني بمسافة ١٩كم، وتشير بعض المراجع إلى حدوث وباء سنة ١٧٣٨م ابتدأ بعقرة ووصل الموصل وخلف ٤٠,٠٠٠ ضحية، وفي ٢٠ آب من السنة نفسها، وصل الوباء إلى قرية بيوز، وتسبب في وفاة ٣٤٠ شخصاً. وفي سنة ١٩٣٩م، كانت القرية تضم ١١٠ عائلة(١٢٢).

٧. مواضع غير واضحة المعالم:

أ: قرى غير معروفة: مثل **طكشور، بابودي، قصور خيرين، باعيثم، باطط..** وغيرها. وتأتي **طكشور** في مقدمة هذه المواضع وهي من أعمال نينوى، ذكرها ابن العبري في حوادث سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م بقوله: "**اقبل بعض اللصوص وحاصروا قرية طكشور ببلد نينوى، وقاومهم القرويون وقتلوا منهم عشرة، وقتل من أهل القرية خمسة رجال، وخطف اللصوص سبع فتيات وثلاث فتيان**"(١٢٣)، ويبدو أن أهالي القرية قد تركوا قريتهم بعد هذا الحادث، لأننا نجد ذكراً لهم في قرية باصيادي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٧م، وفيما يخص موضع القرية، فليس بإمكاننا تحديده وقد ذهب أحد الباحثين في احتماله، إلى أنها قد تكون قرية طاق ريشو، الواقعة شمال غرب جبل مقلوب، ضمن قضاء الشيخان حالياً(١٢٤).

ويذكر الأزدي في حوادث سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦ م، قرية **بحواثا** التي هي بالسريانية قرية الظهور، أو القرية المشرفة، وكان يسكنها بنو ثوبان الأزديين. أما **بابودي:** فكانت ضيعة للعطاف بن سفيان الأزدي الموصلي قبل مجيء العباسيين وحتى عام ١٨١هـ/٧٩٧م(١٢٥)، الذي كان قد ثار على السلطة العباسية، زمن هارون الرشيد، وبقيت هذه القرية، تجري في الصوائف حتى منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي(١٢٦).

ومن المعالم الأخرى **قصور خيرين** التي وردت بصيغة خيرين: وكانت "**قرية من أعمال نينوى من أعمال الموصل تسمى قصور خيرين**"(١٢٧). وكذلك **باشمنايا** التي ذكرها ياقوت بقوله: "**كانت من قرى الموصل من أعمال نينوى، في الجانب الشرقي من دجلة**"، انتسب إليها بعض المشاهير من الأعلام(١٢٨). ثم **باعيثم:** التي ذكرها صفي الدين الحلي في قصيدة من الكان

وكان[١٢٩]. ثم **باطط:** وكانت تقع شمال شرق الموصل ضمن منطقة بحيرة سد الموصل، ودليل المواقع الأثرية يشير إلى قدمها ووجودها في الحقب العباسية[١٣٠]. كذلك كانت **بامردني:** "قرية من ناحية نينوى من أعمال الموصل بالجانب الشرقي" وإليها ينسب بعض التراجم الأعلام[١٣١].

ب: أديرة متفرقة:

عرفت كورة نينوى بالأديرة الشهيرة والعامرة، وفضلاً عن الأديرة التي تم ذكرها في الفقرات السابقة، يمكن للمتتبع أن يلحظ أديرة أخرى منها: **دير باريشا** بأرض الموصل، على نهر الخازر[١٣٢]، ثم **دير مار شليطا،** عند قرية اوانا[١٣٣]، **ودير العمود** (اسطوان) على مسافة ٤٠كم شمال الموصل، عند قرية بقاق على طريق دهوك[١٣٤]. ثم **دير منصور،** في شرق الموصل، وقد تصحف موقعه عند ياقوت، فذكر إنه مطل على نهر الخابور، والصواب على نهر الخازر، وكان ديراً عامراً في أيامه[١٣٥].

الخاتمة:

- قدم البحث بالشرح والتوضيح ثم بالتحليل والمقارنة أكثر من ثمانين معلماً من معالم العمران، معظمها نواحي وقرى ومزارع وضياع وتجمعات سكنية وأديرة، مع معالم أخرى طبيعية من تلال وأودية وأنهر.
- تأتي القرى والتجمعات السكانية في مقدمة المعالم العمرانية لكورة نينوى وتتمثل بالقرى الكبيرة الشبيهة بالمدن مثل: **باخديدا، باعشيقا، بارطلي، كرمليس، السلامية. ثم القرى والضياع والمزارع مثل: ابيان، القوش، اوانه، بابوسا، بابنيت، بابيرى، بابودي، باجربق، باجلدا، بادانيال عليا– سفلى، بادرايا، بارستق، بارشيا، بازوايا، باسط، باشبيتا، باشمنايا، باخط، باعذرا، باعيثم، باعشقا، بافخارى، بامردني، باوردا، بحزاني، بحواثا، بعويزا، بقاق، بيسان، بيوز، خرستاباذ، حصا، خيرين، رأس العين، الزراعة، سفطا، السلامية، صرعون خراب، طكشور، الفضلية، القادسية، قبيصة، قصر ريان، قصور خيرين، الكار الأعلى، الكار الأسفل، لك، المعروبة، الناعور، نينوى، واسط.**
- هناك معالم عمرانية اخرى كالنواحي والحصون مثل: **بافكي، كشاف، آثور** أو معالم طبيعية مثل التلول والأودية والأنهار وغير ذلك. ومنها: **تل التوبة، خوصر، بريشو، الخازر، الزاب**

الكبير. ثم الأديرة كمعالم عمران، وهي: **دير اسطون، دير الجب، دير باريشا، دير طيمونة، دير يونس، دير شيخ متي، دير الخنافس، دير الربان هرمز، دير مار شليطا، دير منصور.**

- قدم تحديداً لموضع قرية باجبارة، في مدخل حي الوحدة والمعروف اليوم بحي السلام، حيث كانت قرية السادة، كما أظهر عن وجود محطة رئيسة ظاهر تل النبي يونس لنقل المسافرين إلى بلاد الشرق، ولأجل ذلك قال ياقوت الحموي في مادة الموصل: "**فهي محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي... مفتاح خراسان ومنها يقصد إلى اذربيجان..**". وهذه المحطة ساهمت في تعزيز وظيفة المدينة ومكانتها التجارية.
- ثبت البحث موضع قريتي **الكار الأعلى والأسفل** على سور نينوى في مقابل الموصل. كما أوضح إن قرية **صرعون خراب وخرستاباذ** كانتا عاصمة الآشوريين دور شروكين أي مدينة سرجون والتي أصبحت بعد سقوطهم تسمى خرستاباذ وصرعون خراب ثم خورسباط، كما أصبحت **الزرّاعة ورأس الناعور** تسمى الناوران.
- بَيّنتْ هذه الدراسة لأول مرة أن الطريق الذي سلكه الخليفة الأموي مروان بن محمد إلى الزاب إذ جرت المعركة الفاصلة مع العباسين هو الطريق بين باعشيقا وتل كيفا وهو طريق الشيخان الحالي، ثم المار بشرق الموصل حتى نهر الزاب.
- أقام ابن الأثير ببعض قرى كورة نينوى على نهر دجلة وهما **بافخارى وقصر حرب** التي كانت تمتلكها أسرته إذ أنجز كتابه الكامل في التاريخ، وقبل ذلك بقرون قضت زبيدة بنت أبي جعفر المنصور طفولتها في هذه الجهات قبل أن تصبح زوجة للخليفة الرشيد. وهاتان القريتان تُسميَّان اليوم: قز فخره والقصر.
- قصد ياقوت بآثور التي ذكرها في معجم البلدان، آثار النمرود في كالح. كما قصد بأثور أيضاً إقليم الموصل فلا يزال البعض من السكان يطلقون مثل هذه التسميات على الموصل واقليمها.
- تحقق البحث من القرى الأخرى المجاورة لباعشيقا وهي: **بحزاني والفضلية** المعروفة اليوم بالفاضلية، ثم **باجربق** التي هي اليوم قرية أبو جربوعه غرب باعشيقا بـ ٥ كم.
- أشار البحث إلى أن قرية **القادسية** التي ذكرها الأزدي لا تزال تعرف بهذا الاسم وتتبع ناحية العشائر السبع ضمن قضاء عقرة. وليست تلك التي في جهات سامراء أو غيرها. أما

بابوسا فقد تحقق البحث من كونها القرية المعروفة اليوم بـــ بوزان، وهي حقائق لـــم يـــشر اليها أي من الباحثين.

- هناك مواضع غير واضحة في معالمها مثل قرى **طكشور وبابودي وقصور خيرين وبـــاطط وباشمنايا وبحواثا وبامردني** لانقطاع اية اشارات او ذكر لها في المصادر اللاحقة.

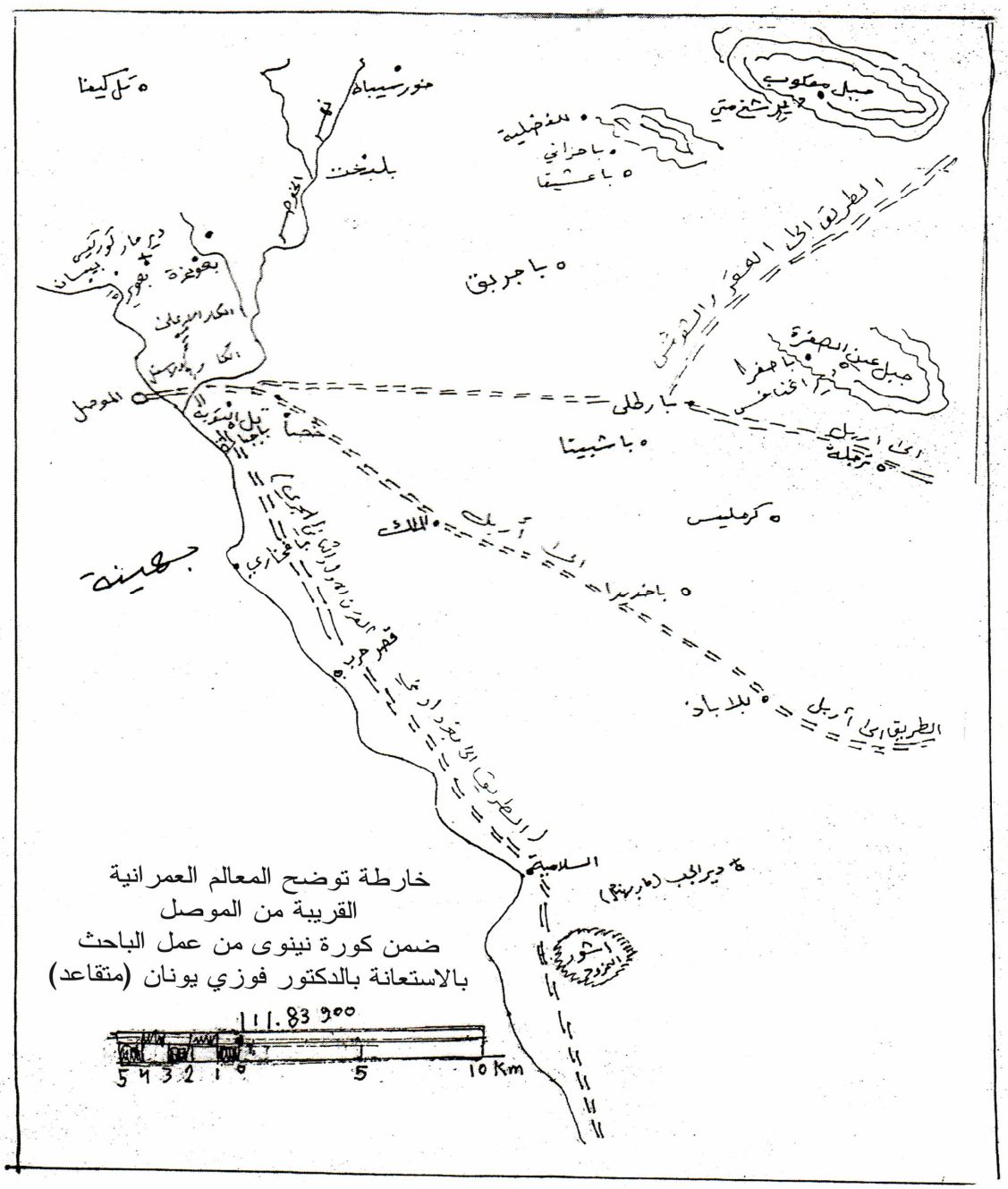

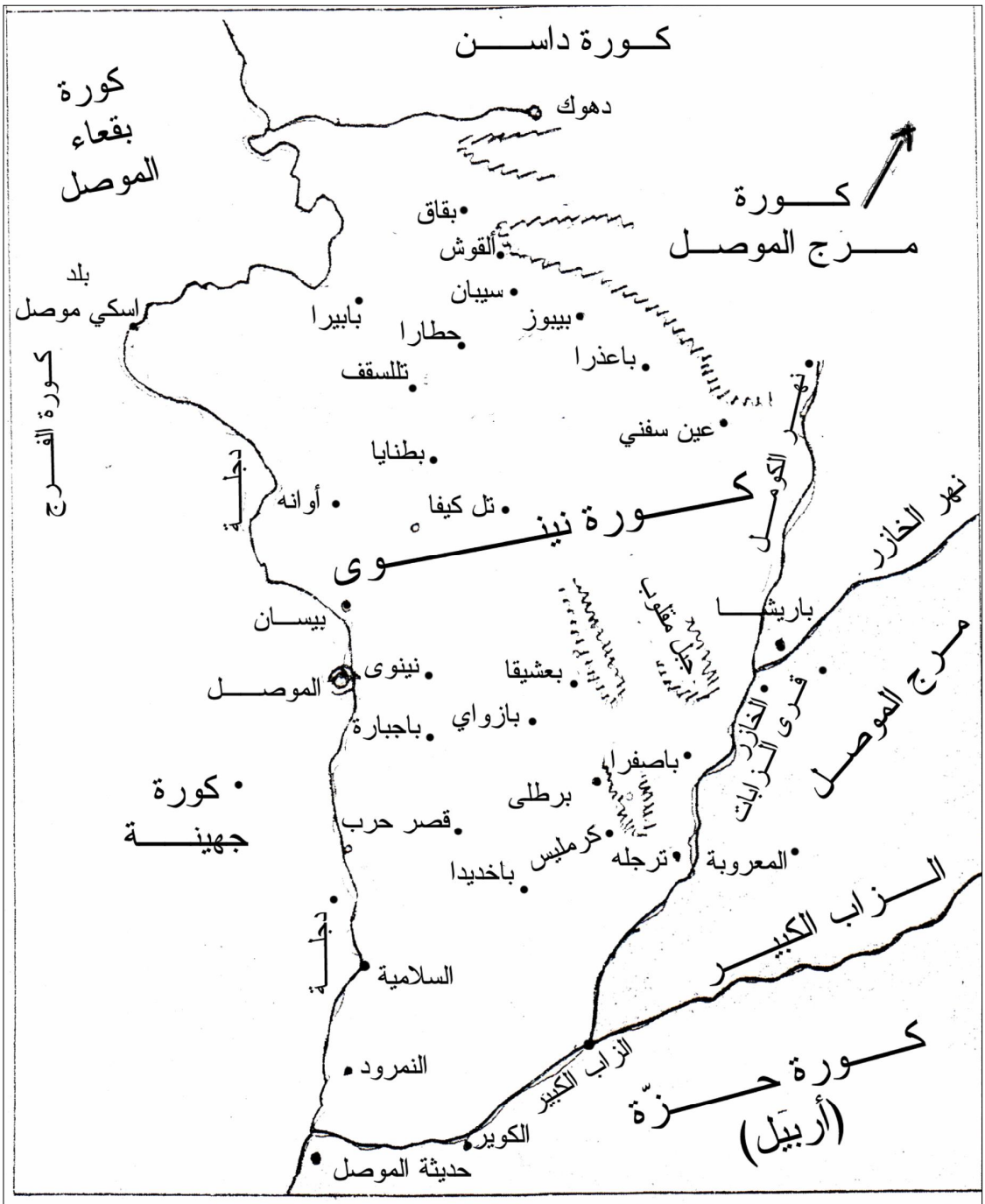

كورة نينوى: أعمالها وحدودها بالاعتماد على مصادر البحث

الهوامش:

(١) المسالك والممالك، ليدن ١٨٨٩م، اعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى، بغداد، ص٩٤.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٥، مادة الموصل، ٥/ ٢٢٣.

(٣) معجم، مواد المتن اعلاه، ١/ ٤٢٦؛ ٢/ ٣٥٨، ٤١١؛ ٣/ ١٣٥، ٤٠١؛ ٤/ ٢٦٧؛ ٥/ ٣٥٧، ٤٥٦.

(٤) ياقوت، معجم، المواد في المتن اعلاه. ٢/ ٢٢، ٣٩؛ ٤/ ٣٨، ٤٥٧.

(٥) ياقوت، معجم، مادة صرعون، ٣/ ٤٠١.

(٦) كامل مصطفى الشيبي، ديوان الكان وكان، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧، ص١٥٠؛ وينظر تعليقات سعيد الديوه جي في كتابه تاريخ الموصل، مثل المغلة ورامين، ص٤٥٨ وغيرهما.

(٧) ينظر هوامش باسحق، أبو زكريا الازدي، تاريخ الموصل، تحقيق د. علي حبيبة، القاهرة، ١٩٦٧.

(٨) سالم احمد محل، منطقة الموصل تحت وطأة الاحتلال الساساني، ضمن موسوعة الموصل الحضارية، جامعة الموصل، ١٩٩١، ١/ ١٤٧، والهوامش المتعلقة بها.

(٩) النويري، نهاية الارب، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة (١٩٨٥)، ٩٢/٢٧؛ كامل مصطفى الشيبي، ديوان الكان وكان، ص١٥٠.

(١٠) تاريخ الموصل، هوامش قريتي القادسية وتل كيفا، ٢/ ٩٤، ٩٦، ١٢١، ٢٨٧.

(١١) تاريخ الموصل، ٢/ ٩٤، ٩٦، ١٢١، ١٢٥، ٢٠٤، ٢٣٩، ٢٧٣، ٢٨٧.

(١٢) ينظر: د. صالح احمد العلي، امتداد العرب في صدر الاسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٣٢، ١٩٨١، ج٣– ٤، ص٤٧، ٥٢؛ عبد الواحد ذنون طه، المظاهر الحضارية في الموصل في العهد الاموي، موسوعة الموصل الحضارية، ٢/ ٥٠.

(١٣) ينظر الهوامش المتعلقة بهذه القرى: تاريخ الموصل، ٢/ ٢٨٧.

(١٤) المقدسي، احسن التقاسيم، تعليق محمد احمد الضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢، ص١٣٢؛ رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ص٢١١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، تل توبة، ٢/ ٤١؛ سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي، بغداد، مطبعة شفيق ١٩٥٨، ص١٦٣. لمزيد من التفاصيل حول النبي يونس وصلته بنينوى، ينظر:

H. clay trumbull, jonah in Nineveh, journal of biblical literature 1892, v, II, p. 53.

من المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني:www.ivsl.org

(١٥) سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي، ص١٧٨.

(١٦) معجم البلدان، دير يونس، ٢/ ٥٤٣؛ أخبار بطاركة كرسي المشرق (المجدل)، رومية، ١٨٩٦، ص٥٩– ٦٠.

(١٧) الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بغداد، ١٩٦٦، ص١٨١– ١٨٣؛ شمس الدين محمد محمود، البدور المسفرة في نعت الاديرة، تحقيق هلال ناجي، بغداد، ١٩٧٥، ص٢٣.

(١٨) معجم، باجبارة، ١/ ٣١٢- ٣١٣..
(١٩) ينظر ذلك عند كوركيس عواد، تحقيقات بلدانية، مجلة سومر، م١٧ لسنة ١٩٦١، ص٦-٧.
(٢٠) خطط الموصل، ٨٩/٢.
(٢١) العمري، منية الأدباء، حاشية المحقق، ص١٣٦.
(٢٢) أفرام الأول برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم السريانية، بغداد، ١٩٧٦، ص٥٠٤.
(٢٣) معجم، باجبارة، ١/ ٣١٢؛ المجدل، ص٦٦.
(٢٤) اغناطيوس يعقوب الثالث، دفقات الطيب، مطبعة الراسي، زحلة، ١٩٦١، ص٩٤؛ افرام برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص٥٠٤.
(٢٥) العاطل الحالي والمرخص الغالي، تحقيق ولهلم هونرباخ، فيسبادن، ١٩٥٥، ص١٥١.
(٢٦) ابن الصابوني، اكمال الاكمال، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، ١٩٥٧، ص١٥٢؛ ابن المستوفي، تـــاريخ اربل، تحقيق سامي الصقار، بيروت ١٩٨٠، ٢١٩/١.
(٢٧) تاريخ الموصل، ٢/ ٧٤.
(٢٨) معجم، خصا، ٢/ ٣٧٤- ٣٧٥.
(٢٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق د. احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٦، ٦/ ١٢٧- ١٤٣.
(٣٠) ياقوت، معجم، الكار، ٤/ ٤٢٨؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار مكتبة المثنى بغداد، ٧٤/٣؛ السيوطي، لب الألباب في تحرير الأنساب، طبع بالاوفسيت في مكتبة المثنى، بغداد، ص٢١٧.
(٣١) معجم، قبيصة، ٤/ ٣٠٨؛ ابيان، ١/ ٨٥.
(٣٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، ١٩٦٦، ٣٩٥/٤، ٣٨٥/٦.
(٣٣) خطط الموصل ١٠٦/٢.
(٣٤) منية الأدباء. تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل، ١٩٥٥، ص١٣٥.
(٣٥) بطرس نصري الكلداني، ذخيرة الاذهان، الموصل، مطبعة الدومنيكان، ١٩١٣، ٨٥/٢.
(٣٦) معجم، خرستاباذ، ٢/ ٣٥٨.
(٣٧) معجم، الزرّاعة، ٣/ ١٣٥؛ عجائب المخلوقات دار افاق، بيروت، ١٩٨١، ص٢٣٠.
(٣٨) ياقوت، معجم، بافكي، ١/ ٣٦٢.
(٣٩) تاريخ الموصل ٣١/٢.
(٤٠) يوسف جرجيس، ملاحظات على تاريخ الموصل لابي زكريا الازدي، مجلة المورد لسنة ٢٠٠٠؛ ضبط النص والتعليق عليه، دراسة في تاريخ الموصل لابي زكريا الازدي. مقبول للنشر في مجلة التـــاريخ والاثار لسنة ٢٠٠٠.
(41) Fiey, Assyrie chretienne, Byrouth Impremerie chatholicuo v.II pp. 354 – 359.
(٤٢) الكامل، ٥٥٣/٩؛ منية الأدباء، ص١٣٤؛ احمد الصوفي، خطط الموصل، ١١٠/٢.

(٤٣) تاريخ الموصل، ٣٧٣/٢.

(٤٤) كتاب الرؤساء، ٩٩.

(٤٥) اغناطيوس يعقوب الثالث، دفقات الطيب، ص٥٤.

(٤٦) منية الأدباء، ص١٣٥.

(47)Fiey, Assyrie, v.II p. 470.

(٤٨) تاريخ الموصل، ٣٧٢/٢، العمري، منية الأدباء، ١٣٤؛ مديرية الآثار العامة، المواقع الأثرية في العراق، بغداد ١٩٧٠، ص٢٣٤، ٢٣٦ اضبارة ٨١، ٢١.

(٤٩) ماري بن سليمان، اخبار بطاركة كرسي المشرق (المجدل)، رومية، ١٨٩٩، ص٩٩.
Fiey, Assyrie, v.II p. 531.

(٥٠) معجم، بيسان، ١/ ٥٢٨.

(٥١) الرؤساء ص٩٧؛ مديرية الاثار العامة، المواقع الاثرية، اضبارة ١١٠، ١١١ ص٢٣٥، ٢٣٦.

(٥٢) اغناطيوس يعقوب الثالث، دفقات الطيب، ص٥٤؛ Fiey, Assyre v.II, p. 473.

(٥٣) الكامل، ٥٥٣/٩.

(٥٤) ياقوت، معجم، بافخاري، ١/ ٣٢٦.

(٥٥) تاريخ الموصل، ٢٠/ ٢٠٣، ٢٦٩.

(٥٦) الكامل، ٥٨٤/٥.

(٥٧) معجم، السلامية، ١/ ٢٣٤.

(٥٨) معجم، السلامية، ١/ ٢٣٤.

(٥٩) أبو الفرج الاصبهاني، الديارات، تحقيق جليل العطية، منتدى سور الازبكية، (ب ت)، ص٢٥؛ معجم البلدان، دير الجب، ٢/ ٥٠٣.

(٦٠) افرام عبدال، اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد، الموصل١٩٥٥؛ البير ابونا، ديارات العراق، بغداد، ٢٠٠٦، ص١٦٨– ١٧١؛
Fiey, Assyrie, v.II p. 565-609.

(٦١) اغناطيوس يعقوب الثالث، دفقات الطبيب، ص٥٥.

(٦٢) تاريخ الموصل، ٢/ ٩٤، ٩٦، ١٣١؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٣٢.

(٦٣) معجم، باعشيقا، ١/ ٣٢٥.

(٦٤) العمري، منية الادباء ص١٣٣؛ احمد الصوفي خطط الموصل ١٠٢/٢.

(٦٥) تاريخ الموصل ١٣١/٢.

(*) ورد مصحفاً والصواب دير طيونة أي دير دير الطين وهو دير باطنايا شمال تلكيف.

(٦٦) تاريخ الموصل ٩٤/٢.

(٦٧) معجم، باعشيقا، ١/ ٣٢٥؛ وينظر أيضاً: العمري، منية الأدباء، ص١١٧ وغيرها.
(٦٨) مرآة الزمان، ٢٧٣.
(٦٩) تاريخ اربل، ق١/١٠١، ٢/١٢٨.
(٧٠) معجم، الفضلية، ٤/ ٢٦٧.
(٧١) خطط الموصل ٢/١٠٣، ٣٥٨.
(٧٢) معجم، قصر ريان، ٤/ ٣٥٧.
(٧٣) معجم، باجربق، ١/ ٣١٣.
(٧٤) ابن فضل الله الصقاعي، تالي كتاب وفيات الاعيان، تحقيق جاكلين سوبلة، دمشق ١٩٧٤، ص١٢٣. وقد تصحفت باجربق ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٧، ١٤/ ١٤.
(٧٥) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، نشره اسحق ارملة في مجلة المشرق البيروتية في الاعداد ١٩٥١- ١٩٥٦، مجلد عام ١٩٥٤، ص٤٣٩.
(٧٦) تاريخ الدول السرياني، العدد ١٩٥٦، ص٣٩٢.
(٧٧) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨، ص٢٤٩.
(٧٨) معجم، ترجلة،٢/ ٢٢.
(٧٩) معجم البلدان، دير الخنافس، ٢/ ٥٠٨.
(٨٠) الديارات، ص٣٠٠؛ البير ابونا، ديارات العراق، ص ١٤٣-١٤٤.
(٨١) معجم، لك، ٥/ ٢٢.
(٨٢) معجم، باخديدا، ١/ ٣١٦.
(٨٣) للتفاصيل ينظر: د. بهنام سوني، بغديدة في مصادر سريانية وكرشونية وعربية واجنبية، روما، ١٩٩٨؛ عبد المسيح المدرس، قره قوش في كفة التاريخ، مطبعة الاديب، بغداد، ١٩٦٢.
(٨٤) بلاباذ، دائرة المعارف الإسلامية ترجمة الشنتناوي واخرون، طبعة طهران، ٤/٢٥٦.
(٨٥) معجم، بلاباذ، ١/ ٤٢٦.
(٨٦) بطرس نصري، ذخيرة الأذهان، ١/٥٧٣، ٦٥٦؛ افرام عبدال، اللؤلؤ النضيد، الموصل ١٩٥١ ص٢١٨؛ المديرية العامة للاثار، المواقع الاثرية، ص٢٣٧، اضبارة ٤٠٩، ٤١٠، ٤٧٢؛ كوركيس عواد، تحقيقات بلدانية، مجلة سومر، م١٧ لسنة ١٩٦١، ص٤١.
(٨٧) ابن الاثير، الكامل، ٤/٢٢٩.
(٨٨) تاريخ الموصل ٢/٢٨٧.
(٨٩) معجم، برطلى، ١/ ٣٨٥.
(٩٠) البير ابونا، ديارات العراق، ص١٥٤. Fiey, Assyrie, v.II p. 435.

(٩١) الازدي، تاريخ الموصل، ٢/ ٣٧٢؛ كوركيس عواد، تحقيقات بلدانية، ص٥٠.

(٩٢) سوادي عبد محمد، إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، بغداد، ١٩٧١، ص٤٩.

(٩٣) العاطل الحالي، ص١٥١.

(٩٤) منية الأدباء، ص١٣٤.

(٩٥) معجم، كرمليس، ٤/ ٤٥٦.

(٩٦) للتفاصيل عن العديد من الرحالة الذين زاروا كرمليس ينظر: حبيب حنونا، تاريخ كرمليس، مطبعة اوفسيت المشرق، بغداد ١٩٨٨.

(٩٧) الازدي، تاريخ الموصل، ٢/ ٣٣٨.

(٩٨) العاطل الحالي، ص٩٨.

(٩٩) معجم، بافكي، ١/ ٣٦٢.

(١٠٠) تاريخ الموصل، ٢٨٧/٢.

(١٠١) تاريخ الموصل ٢٨٧/٢ هامش ٣.

(١٠٢) المشترك وضعاً والمفترق صفعاً، تحقيق وستنفلد (غوتنكتن ١٨٤٦) ص٣٣٧.

(١٠٣) د. يوسف جرجيس، ملاحظات على تاريخ الموصل، ص٦٩.

(١٠٤) الكامل، ٧/ ٥٣٨.

(١٠٥) خطط الموصل، ٩٨/٢.

(١٠٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩، ٨٦/٦؛ الازدي، تاريخ الموصل، ٩٤/٢.

(١٠٧) الازدي، تاريخ الموصل، ١٢٩/٢.

(١٠٨) معجم البلدان، دير متي، ٢/ ٥٣٢؛ مسالك الابصار، ٢/ ٢٩؛ للتفاصيل يعقوب الثالث، دفقات الطبيب؛ البير ابونا، ديارات العراق، ص١١٥. Fiey, Assyrie, v.II p. 759- 770.

(١٠٩) معجم، تل اسقف، ٢/ ٣٩.

(110) Fiey, Assyrie, v.II p. 478.

(١١١) العاطل الحالي ص١٥١ بطرس نصري، ذخيرة الاذهان ٢٠٤/١.

(١١٢) سليمان الصانع، تاريخ الموصل، القاهرة ١٩٢٣، ٢٢/١؛ الصوفي، خطط الموصل ١٠٧/٢.

(١١٣) كوركيس عواد، تحقيقات بلدانية، ص١٥.

(١١٤) ايشوع دناح البصري، الديورة، ترجمة: بولس شيخو، مطبعة النجم، الموصل ١٩٣٩، ص٦٣؛ كوركيس عواد، تحقيقات بلدانية، ص٤٥.

(١١٥) عمرو، المجدل، ص١١٨؛ Fiey, Assyrie, v.II p. 533- 548.

(١١٦) تاريخ يوسف بوسنايا، تحقيق يوحنا جولاغ، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٠٠؛ المديرية العامة للاثار، المواقع الاثرية، ص٢٨٣؛ اضبارة ٧٦٧.

(١١٧) الازدي، تاريخ الموصل، ٢/ ٢٤.

(١١٨) ابن الاثير، الكامل، ٦٣/٨؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٧، ٢٦٧/٥.

(١١٩) تاريخ الموصل ٣٣٩/٢.

(١٢٠) المرجي، كتاب الرؤساء، ص٥٨، ١٢٨؛ التادفي، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، القاهرة، المطبعة العامرة، ١٣٠٣ هـ، ص١٠٩.

(١٢١) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، تحقيق محمد عبد القدوس، لاهور ١٩٤٠، ١٩٩/٥؛ كوركيس عواد، تحقيقات بلدانية، ص٨٩.

(١٢٢) يوحنا بن كلدون، تاريخ يوسف بوسنايا، ص٦؛ المديرية العامة للاثار المواقع الاثرية، ص٢٨٣، اضبارة ٧٦٧.

(١٢٣) تاريخ الدول السرياني، نشره اسحق ارملة في مجلة المشرق، ١٩٥٦ ص٢٥٧.

(124) Fiey, Assyrie v.II pp. 707 – 716.

(١٢٥) تاريخ الموصل، ٢/ ٩٤.

(١٢٦) الازدي، تاريخ الموصل ٢٧٩/٢.

(١٢٧) ياقوت، معجم، خيرين، ٢/ ٤١١.

(١٢٨) معجم، باشمنايا، ١/ ٣٢٣.

(١٢٩) العاطل الحالي، ص١٥١.

(١٣٠) المرجي، كتاب الرؤساء، ص١٤٨؛ المديرية العامة للآثار، المواقع الأثرية، ص٢٣٤، اضبارة١٠٥.

(١٣١) ياقوت، معجم البلدان، بامردني، ١/ ٣٣٠.

(١٣٢) ورد هذا الدير مصحفاً بصيغة باربيثا والصواب كما أثبتناه في المتن، ينظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق احمد زكي باشا، القاهرة، ١٩٢٤، ١/ ٣٧٠؛ البير أبونا، ديارات العراق، ص١٣٠.

(133) Fiey, Assyrie, v.II p. 556- 559

(134) lbid, v.II p. 620- 625

(١٣٥) معجم البلدان، دير منصور، ٢/ ٥٣٨.

الجوانب الإدارية والاقتصادية في الموصل من خلال كتاب
(قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) لابن الشعار الموصلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)

م.د.هدى ياسين يوسف الدباغ*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٣/١١/٢١ تاريخ قبول النشر ٢٠١٤/٣/٢

ملخص البحث:

يتناول البحث الجوانب الإدارية والاقتصادية في الموصل من خلال كتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) لابن الشعار الموصلي، على الرغم من أن هذا الكتاب اختص بالأدب والشعر، إلا انه أشار إلى الجوانب الإدارية أيضا، وقد تنوعت تلك الوظائف الإدارية، ومنها على سبيل المثال:وظيفة القضاء،وكتّاب الإنشاء، وخزانة الكتب، والوظائف المالية وغيرها، أما الجوانب الاقتصادية، فذكر ابن الشعار، المهن والأعمال التي كان يمارسها أهل الموصل، من اجل الحصول على مورد لمعيشتهم، مثل التكسب بالشعر والخياطة والوراقة وغيرها، كما انه أشار إلى الحالة الاقتصادية للشخصية التي يترجم لها.

Administrative and Economic Aspects in Mosul Through the Book (Qala'id Al-juman)by Ibn AL-Sha'ar Al-Mausili

Lect. Dr.Huda Yaseen Al-Dabbagh
Studies Centre Of Mosul

Abstract

The research deals with the administrative and economic aspects in Mosul through the book(Qala'id Al- juman Fi Fara'id Shu'ara Hadha Al-Zaman)by Ibn Al-Sha'aar Al-Mausili.In spite of this book specialized on literature and poetry,it indicated to those aspects,whereas the functions diversified as:jurisdiction,composers bookcasing,financial functions,and ete.As to the economic aspects,Ibn Al-Sha'aar mentioned lifeways,professions,and works which`the people of Mosul were practicing to get their livelihood such as earning by

* مدرس/ مركز دراسات الموصل/ جامعة الموصل.

poetry,weaving, scribing and ete.He also indicated to the economic state of the personality he wrote its biography.

مقدمة

من بين كتب التراجم المهمة في التاريخ الإسلامي كتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان)لابن الشعار الموصلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) الذي تميز بقيمته التاريخية الكبيرة وغزارة معلوماته، وأرخ ابن الشعار لشعراء عصره ممن عاشوا في القرن (السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد) وأدركوا القرن (السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد) فجمع أشعارهم ودون أخبارهم، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب، اختص بالشعر والأدب إلا انه كان من بين الشعراء الذين ترجم لهم ابن الشعار، العديد من الشخصيات التي تولت مناصب إدارية، فضلا عن العديد من أصحاب المهن والحرف، أو ممن اتخذوا من الشعر وسيلة للحصول على مكاسب مادية.لذلك فأن أهمية هذا الكتاب لا تقتصر على وصف الحياة الأدبية وإنما ضمت العديد من الجوانب السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية. وكانت التراجم التي ذكرها ابن الشعار تنتسب الى مدن وبلدان متعددة ومنها مدينة الموصل.

من هنا جاءت الرغبة في دراسة الجوانب الإدارية، والاقتصادية، في الموصل من خلال كتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) لنتعرف من خلال هذا البحث على أنواع الوظائف الإدارية التي كانت موجودة في تلك الحقبة التاريخية، ومن هم الأشخاص الذين كانوا يشغلون تلك الوظائف، وهل كان هناك مواصفات معينة للشخصيات التي شغلت تلك الوظائف، كذلك التعرف على الجانب الاقتصادي من خلال التعرف على موارد كسب العيش أو الرزق، وما هي أنواع المهن التي كان يمارسها أهل الموصل.

وقد تم تقسيم البحث إلى عدة الفقرات رئيسة فضلا عن المقدمة والخاتمة. وهي: أولا:ابن الشعار: اسمه ونسبه وولادته، ثانيا: نبذة عن حياته ونشأته ورحلاته ووفاته. ثالثا: عصره. رابعا: نبذة عن كتابه (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان). خامسا: الجوانب الإدارية في كتاب (قلائد الجمان) والذي يتضمن:١-مزايا وصفات الشخصيات الموصلية التي تولت مناصب إدارية.٢-المناصب الإدارية التي شغلوها، وهذه الفقرة تقسم بدورها إلى :ا-القضاء والوظائف المرتبطة به، ب-الأعمال المتعلقة بالديوان، ج-الوظائف المالية، ء-

الخطابة، هـ-خزانة الكتب، و-أخرى متفرقة. سادسا: الجوانب الاقتصادية في كتاب (قلائد الجمان) ويتضمن: ١- الاسترزاق بالشعر ٢-المهن والحرف.

أولا: ابن الشعار: اسمه ونسبه وولادته:

هو أبو البركات المبارك بن أبي بكر، احمد بن حمدان بن احمد بن علوان بن ماجد بن حسين بن علي بن ماجد ويكنى بكمال الدين الموصلي[١] ولد في الموصل سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م)[٢]

ثانيا: نبذة عن حياته، ونشأته، ورحلاته، ووفاته:

قبل الحديث عن حياة ابن الشعار ونشأته لابد من أن نشير إلى أن معلوماتنا قليلة جدا عن أسرته، والده لم يكن غنيا بل كان رجلا بسيطا شعارا[٣]، واخذ ابن الشعار هذه المهنة عن والده، فسمي بذلك، ولما كان سوق الشعارين في الموصل والذي لا يزال اسمه قائما إلى اليوم هو مكان أصحاب هذه المهنة، فلا شك أن ابن الشعار وأبيه كان مقامهما في هذا السوق. وقد اتجه الأخير إلى طلب العلم منذ صغره في مدينة الموصل لاسيما علوم القران واللغة والنحو، وتتلمذ على يد العديد من الشيوخ ومنهم، النحوي مكي بن ريان بن شبه الماكسيني (ت٦٣٠هـ/١٢٠٦م)[٤]، وأيضا الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن رشيد الموصلي المعروف بابن الصّقيل (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)[٥] كما حصل على إجازات علمية من علماء الموصل وشيوخها ومنهم: الشيخ عبد المحسن بن عبد الله بن احمد الطوسي الموصلي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) وهو من خطباء الموصل المشهورين[٦]، والشيخ عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر الرسعني (كان حيا سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م) الذي كان فقيها ومحدثا وشاعرا، وكان ابن الشعار يتردد عليه للدراسة والتحصيل وحصل منه على إجازة عامة[٧]، أما الشيخ عبد الله بن الحسن بن أبي سنان الموصلي (ت٦٢٥هـ/١٢٢٧م) فقد اخذ منه ابن الشعار علمي الحديث والتفسير، ومنحه إجازة عامة[٨].

ولم يكتف ابن الشعار بما حصل عليه من علوم ومعارف في مدينة الموصل بل كانت له رحلة إلى عدد من المدن والبلدان مثل مدينة تكريت[٩]، ومدينة بغداد التي زارها في العديد من المرات[١٠] ومدينة اربل التي رحل إليها ثلاث مرات[١١]، كذلك كانت له رحلة إلى بلاد الشام، زار خلالها مدينتا حلب ودمشق التي تردد عليها مرات عدة[١٢] كما كانت له زيارة

لبعض مدن الجزيرة الفراتية مثل مدينتي الرقة[١٣] وحران[١٤]، ويمكن تحديد سنوات رحلة ابن الشعار مابين (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) إلى سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) أي انه أمضى ثمانية وعشرين سنة في رحلاته، حصل من خلالها فوائد كثيرة حافلة بالنشاط العلمي الذي أثمر في انجازه الكبير بتأليف كتاب (قلائد الجمان) فضلا عن تلقيه علوم الحديث والفقه والتفسير والأدب والنحو على يد العديد من الشيوخ والعلماء، كما حصل على إجازات علمية منهم[١٥] توفي ابن الشعار في حلب سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وله تسع وخمسون سنة[١٦].

ثالثا:عصره

عاش ابن الشعار في النصف الأول من القرن (السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد)، وتمثل هذا القرن بوجود قوى تمثلت بالخلافة العباسية في بغداد، والدولة الاتابكية في الموصل واربل، والدولة الأيوبية في بلاد الشام، وقد عاصر ابن الشعار في الموصل حكم الملك الاتابكي نور الدين ارسلان شاه الأول ابن عز الدين مسعود الأول (٥٨٩-٦٠٧هـ/١١٩٣-١٢١٠م) وكان عصره عصر حروب بين الاتابكة أنفسهم في الموصل والمدن المجاورة لها، مما أدى إلى إضعافهم[١٧] وعند وفاته عهد بالملك لابنه القاهر عز الدين مسعود الثاني (٦٠٧-٦١٥هـ/١٢١٠-١٢١٨م) وكان عمره عشر سنين، وكان الوصي عليه، وتولى تدبير أمره مملوكه الارمني بدر الدين لؤلؤ، الذي سلك مختلف الطرق في القضاء على أبناء الاتابكة واحدا بعد الأخر، ففي سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، توفي الملك القاهر وعهد بالملك بعده لابنه نور الدين ارسلان شاه الثاني (٦١٥-٦١٦هـ/١٢١٨-١٢١٩م) إلا انه قتل بتدبير من بدر الدين لؤلؤ لينفرد بالسلطة ثم جاء بعده أخر الملوك الاتابكة الذين قضى عليهم بدر الدين لؤلؤ وهو ناصر الدين محمود بن القاهر عز الدين مسعود الثاني (٦١٦-٦٣١هـ/١٢١٩-١٢٣٢م) وكان طفلا لا يتجاوز عمره ثلاث سنين، ليحكم بدر الدين حتى وفاته سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٨م)[١٨].

وقد انصرف بدر الدين لؤلؤ خلال فترة إمارته إلى دفع الأخطار التي كان يسببها المغول على أطراف إمارته، فاتبع سياسة استرضاءهم ومهادنتهم وتقديم الأموال لهم لحماية إمارته.[١٩] أما في بلاد الشام، فقد كانت العلاقة بين حكام بلاد الشام والصليبيين في حروب

مستمرة، وتعرضت العديد من مدن الشام لغارات الصليبيين المتكررة، ولم تخل تلك الحروب من فترات المهادنة[٢٠]، علما أن هذه الحقبة تميزت بانحسار النفوذ الصليبي، واتساع السيطرة المغولية وتعرضت العديد من المدن في بلاد الشام والجزيرة لهجمات المغول، وانتهى الأمر باستيلاهم على بعض مدن الجزيرة مثل حران، وميافارقين، وذلك في سنتي (٦٥٧هـ/١٢٥٨م) و (٦٥٨هـ/١٢٥٨م) ودخل هولاكو ديار بكر قاصدا حلب سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٨م) ثم احتلها في سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٨م)[٢١].

ولم تمنع تلك الحروب رحلة الناس والعلماء من مكان إلى أخر، وشهدت هذه الحقبة تعدد المراكز العلمية مثل الموصل، وحلب، ودمشق، والقاهرة، التي نافست بغداد على مكانتها ودورها العلمي، وساعد على ازدهار هذه الحركة انتشار المدارس، وتشجيع الحكام الاتابكة الزنكيين، والأيوبيين للحركة العلمية وتقريبهم للعلماء والأدباء والمثقفين، وإغداق الأموال عليهم، وأصبحت الموصل وبلاد الشام مركزا علميا وفكريا كبيرا خرّج واستقبل عددا كبيرا من العلماء والأدباء وفي شتى المجالات[٢٢].

رابعا: نبذة عن كتابه (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان)

يعد كتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) المشهور ب(عقود الجمان في شعراء هذا الزمان) لابن الشعار الموصلي، من أبرز أثاره الأدبية والتاريخية[٢٣]، وألفه بعد أن فرغ من تأليف كتابه الآخر (تحفة الوزراء) وذلك في سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م)[٢٤] وعمل على جمع الشعراء ممن عاش في القرن (السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد)وأدركوا القرن (السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد)[٢٥] وكتاب (قلائد الجمان) أشبه ما يكون بدائرة معارف لشعراء عصره، إذ لم يكتفِ بنقل الأخبار الأدبية لمن ترجم لهم، وإنما حاول أن يذكر كل شاردة وواردة عنهم، ولذلك فانه ترجم لرجال العلم، وأرباب الدولة والقضاة الذين كانوا يقولون الشعر، وعليه فإن أهمية هذا الكتاب لا تقتصر على وصف الحياة الأدبية فحسب، وإنما تكمن أهميته في ذكر الجوانب السياسية والإدارية والدينية والاقتصادية والعلمية وغيرها، وبذلك يعد موسوعة قيمة لا يستغني عنها الباحث في التاريخ والأدب[٢٦]، والكتاب في الأصل عشرة أجزاء ضخمة، فقد منهما الجزءان الثاني والثامن[٢٧].

خامسا:الجوانب الإدارية في كتاب(قلائد الجمان)

أشار ابن الشعار إلى الجوانب الإدارية في الموصل وذلك من خلال التراجم التي أوردها عن الشخصيات الموصلية التي ترجم لها، وكان عددها خمس وعشرون شخصية، ذكر من خلالها الوظائف الإدارية التي كانوا يشغلونها، وتنوعت تلك الوظائف وتعددت، فكان منهم من شغل وظائف مالية، أو وظائف تتعلق بالقضاء، والخطابة، وكتابة الإنشاء، والإشراف على الديوان وغيرها، وهناك من الشخصيات الموصلية من شغل أكثر من وظيفة إدارية، نظرا لما كان يمتلكه من مواهب وقدرات، أهلته لذلك. ومن الجدير بالذكر، أن معظم الوظائف الإدارية التي ذكرها ابن الشعار في كتاب (قلائد الجمان) كانت في زمن الحكام الاتابكة وبدر الدين لؤلؤ، وذلك لكونه عاش في تلك المدة التاريخية. ويمكن تقسيم الجانب الإداري إلى عدد من الفقرات الرئيسة وهي:

١ـ مزايا وصفات الشخصيات الموصلية التي تولت مناصب إدارية.

قبل الحديث عن الوظائف الإدارية لابد من أن نشير إلى أن الملوك والحكام الاتابكة، ومن بعدهم بدر الدين لؤلؤ حرصوا على العناية بأمر الوظائف والموظفين، وذلك من خلال حرصهم على اختيار الموظفين الأكفاء ومنهم الشخصيات الموصلية، التي كان يتم اختيارها وفق مواصفات ومزايا معينة أهلتها لتولي تلك المناصب، مثل العلم والمعرفة والأمانة والأخلاق العالية وغيرها من الصفات، إذ كان معظمهم إما من القراء أو الفقهاء أو المحدثين أو المدرسين الأدباء، وكان البعض الأخر ينتمي إلى عوائل عريقة اشتهرت في ميدان من ميادين العلم والمعرفة أو اشتهر أفرادها بتولي مناصب معينة. وقد زودنا ابن الشعار بمعلومات عن مزايا ومواصفات الشخصية الإدارية.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:القاضي والفقيه المدرس الشافعي، عبد الكريم بن محمد بن علوان بن مهاجر (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الذي ولاه بدر الدين لؤلؤ منصب القضاء في الموصل، قال عنه ابن الشعار[٢٨]: ((القاضي الفقيه المدرس الشافعي كان والده من جلة الفقهاء الشافعية بالموصل وعلمائهم، وابنه أبو الفضل اخذ الفقه من والده، وقام مقامه في التدريس بعده...وهو من أكبر بيت في الموصل في الجاه وكثر المال واليسار والعلم...)).

وعلي بن يوسف بن محمد المعروف بابن العطار (ولد سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) الذي ولاه بدر الدين لؤلؤ على الزكاة، وحفظ بيت المال، لما رآه الأخير فيه من العقل والأمانة والعفة عن الأموال فضلا عن صفات أخرى أهلته لتولي هذا المنصب الحساس في الدولة، وعن ذلك قال ابن الشعار[٢٩]: ((...ولاه المولى الملك الرحيم بدر الدين أبو الفضائل وثبت الله دولته على الزكاة، وحفظ بيت المال، لما رآه من عقلاء الرجال، عفيفا عن الأموال. وهو من رؤساء الموصل المعتبرين وكبرائها المشهورين، عديم المثل، غزير العقل، من ذوي الأحوال مشهور بمحاسن الفعال، أحسن الناس خلقا، وأكرمهم خلقا، محبوب إلى أهل مصره اجمع الناس على مدحه وشكره، يجمع كيسا ولطفا وبشاشة وظرفا، ذو معروف وسخاء، وطلاوة وحياء، وديانة ظاهرة ومروءة وافرة، لم يتعرض بسوء لأحد في حال ولايته، وذلك لكمال عقله ونزاهته، يحب أهل الخير والصلاح، وذوي الفضل...)).

والمثال الأخر يتعلق بابي السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن أبي الكرم المعروف بضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م) وهو احد أبناء الأثير المعروفين تولى عدة مناصب إدارية في زمن الدولة الاتابكية ومنها كتابة الإنشاء كما سنبين ذلك لاحقا، وقال عنه ابن الشعار[٣٠]: ((كان له اليد الباسطة في الترسل وكتابة الإنشاء، وكان حاسبا كاتبا ذكيا فاضلا عالما في عدة علوم، مشاركا فيها، كالفقه، والأصولين، والحديث والقرآن، والعربية واللغة، وصحة الحديث وسقمه، ومشايخه، وصنف في كل ذلك تصانيف مفيدة نافعة، هي مشهورة بالموصل، مرغوب فيها، وكان ذا عقل تام، ورأي سديد...))أما أبو الحسن القاضي الشهرزوري علي بن الحسين (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م)، فكان ينتمي إلى عائلة معروفة اشتهرت بتولي القضاء في الموصل وقال عنهم ابن الشعار[٣١]:((والده تقلد القضاء بالموصل وكذلك كان عمه وجده وأسلافه وهم أهل بيت عريق في القضاء أشهر من أن ينبه عليه، والقضاء يتردد فيه على قديم الزمان وحديثه))

ومن الشخصيات التي شغلت مناصب إدارية، إبراهيم بن عبد الكريم أبو إسحاق الموصلي (٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، الذي كتب الإنشاء بديوان الموصل لحاكمها بدر الدين لؤلؤ، وناظر الفقهاء، وتميز في مجال العلم والأدب حتى تميز على اقرانه معرفة وذكاء، وكان فاضلا عاقلا ورعا حسن الأخلاق كما ذكر ابن الشعار[٣٢]. واحمد بن إبراهيم أو العباس بن أبي

إسحاق الموصلي (ولد سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م) الذي كان من أبناء الرؤساء المتصرفين بالموصل، وعرف أبو العباس بصلاحه، وقد استدعي لتولي ديوان الاستيفاء[٣٣] بعد موت والده لكنه رفض ذلك لتدينه وورعه ونزاهة نفسه، إلا انه تولى منصبا إداريا أخر[٣٤].

٢ـ المناصب الإدارية التي شغلوها:

أـ القضاء والوظائف المرتبطة بها:

يأتي في مقدمة الوظائف الإدارية في الموصل التي ذكرها ابن الشعار في كتاب (قلائد الجمان) وظيفة القضاء والمهام المرتبطة به، وهو من الوظائف الحساسة التي تهدف إلى الفصل في النزاعات والخصومات بين الناس طبقا للأحكام الشرعية المعتمدة على الكتاب والسنة[٣٥]، وقد تولى العديد من الشخصيات الموصلية، منصب قاضي، أو نيابة القضاء، أو ممن اتصفوا بالعدل، أو ممن يكتب الشروط[٣٦] أو المفتي، وكان عددهم سبعة أشخاص من الذين ذكرهم ابن الشعار وهم: قاضي الموصل علي بن الحسين بن علي بن القاسم الشهروزي[٣٧]، وطاهر بن ثابت بن أبي المعالي، أبو الطيب البوازيجي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الذي كان يعمل في خدمة القاضي حجة الدين أبي منصور ولازمه، وفوض إليه الأخير عقود الانكحة، وكان يأذن له في سماع الشهادة، والحكم في بعض القضايا، وبقي على ذلك مدة ثم ولاه نيابة القضاء، واستقل بسماع البينات، وقبول الكتب الحكمية والحكم، والتثبت، والإشهاد عليه بذلك، وكان يفتي أيضا[٣٨] وعبد الله بن الحسن أبو محمد العدل الموصلي (ت٦٢٥هـ/١٢٢٧م) كان أيضا من العدول، وقد أشار ابن الشعار إلى مكانته المتميزة عند القضاة والرؤساء[٣٩]. والقاضي عبد الكريم بن محمد بن علوان بن مهاجر، الذي قلده بدر الدين لؤلؤ القضاء بالموصل سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)[٤٠] أما علي بن مسلم بن كامل أبو الحسن الموصلي (كان معاصرا لابن الشعار) فكان من العدول في الموصل وكان يكتب الشروط بها[٤١]، والشخصية الأخرى التي شغلت منصب كاتب العدل، العباس بن عبد المطلب أبو المحاسن العدل المعروف بابن زبلاق (معاصرا لابن الشعار) الذي كان من العدول وكتب الشروط، وكان والده أيضا من العدول وجلس مكان والده، وكان معروفا بذكائه وفطنته، كما كان ذو بديهة حاضرة في عمله، وتميز على نظرائه كما قال ابن الشعار[٤٢]، ومن المهام

الأخرى المرتبطة بالقضاء التي شغلها أهل الموصل، وظيفة الإفتاء، وشغل هذا المنصب من أهل الموصل، علي بن المعافى بن إسماعيل بن الحسين، أبو الحسن الموصلي (ولد سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م)، وكان مفتي البلد، واليه يرجع في الفتاوى، وبقوله يأخذ الناس[٤٣].

ب- الأعمال المتعلقة بالديوان

يأتي في المرتبة الثانية من الأعمال المتعلقة بالجانب الإداري التي شغلها أهل الموصل لاسيما بالديوان، (كتابة الإنشاء)، وبلغ عددهم ستة كتاب، ذكرهم ابن الشعار وهم:نصر الله بن محمد بن محمد الوزير الكاتب المنشئ المعروف بضياء الدين بن الأثير الذي تميز واشتهر في مجال كتابة الإنشاء، وذكر ابن الشعار[٤٤] تميزه في هذا المجال ومما قاله عنه:((... وعانى فن الترسل وصرف همته إليه طول عمره فبرز فيه تبريز المفلقين حتى اعجز المتقدمين وسلك فيه طريقة لم يسلكها احد قبله، وكان رب البلاغة وناظم شذورها، العارف بنوعي منظومها ومنثورها... وبه ختم ديوان الإنشاء واليه انتهت صناعة الترسل فهو شيخ الكتاب ورئيسهم...)). وقد كتب الإنشاء لحاكم الموصل مجاهد الدين قايماز (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م)، وفي عهد بدر الدين لؤلؤ استدعاه الأخير سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م) ليكتب له الإنشاء في ديوانه، فصار على رأس الكتاب ومنشئ الدولة. والشخصية الثانية التي شغلت منصب كتابة الإنشاء في الموصل في زمن الدولة الاتابكية المبارك بن محمد بن محمد الكاتب المعروف بمجد الدين بن الأثير (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وهو الأخ الأكبر لضياء الدين بن الأثير، الذي تولى منصب كتابة الإنشاء للسلطان نور الدين أبي الحارث ارسلان شاه بن عز الدين مسعود (٥٨٩-٦٠٧هـ/١١٩٣-١٢٢٠م) وكان أيضا من المتميزين في هذا المجال[٤٥]، أما علي بن سالم بن إسماعيل أبو الحسن الكاتب الموصلي (كان حيا٥٩٠هـ/١١٩٣م) فقد كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالموصل، كما ذكر ابن الشعار، ثم استخدمه بدر الدين لؤلؤ في ديوان المكاتبات، فأصبح منشئ دولته، وكان على رأس الكتاب، وصار من المقربين لديه، وبقي كاتبا للإنشاء إلى زمن ابن الشعار[٤٦] الذي قال عنه:((...وهو المنشئ يومنا هذا بالديوان السلطاني...)). وممن تولى كتابة الإنشاء في زمن الدولة الاتابكية، علي بن احمد بن محمد أبو الحسن الموصلي (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م) الذي كتب الإنشاء لنور الدين ارسلان شاه بن مسعود ثم لولده الملك القاهر عز الدين مسعود (٦٠٧-٦١٥هـ/١٢١٠-١٢١٨م)[٤٧] أما

العباس بن عبد المطلب الكاتب المعروف بابن زبلاق، فتولى كتابة الإنشاء لبدر الدين لؤلؤ أيضا[٤٨]، والشخصية الأخيرة التي شغلت منصب كتابة الإنشاء في زمن بدر الدين لؤلؤ، إبراهيم بن عبد الكريم أبو إسحاق الموصلي ثم استعفاه الأخير من ذلك المنصب[٤٩].

كما شغل أهل الموصل وظائف إدارية متعلقة بالديوان، ذكرها ابن الشعار ومنهم، المبارك مجد الدين بن الأثير الأنف الذكر الذي ناب في الديوان عن الوزير جلال الدين الأصفهاني أبي الحسن علي بن الوزير جمال الدين الأصفهاني (٥٧١-٥٧٣هـ/١١٧٦-١١٧٨م)[٥٠]، أما إبراهيم بن نصر بن عيسى بن علي أبو إسحاق الموصلي (كان حيا سنة ٦٣٠هـ /١٢٣٢م) فقد تولى التصرف في الأعمال السلطانية، ونظر في الأشغال الديوانية، وكان له مكانة مهمة عند بدر الدين لؤلؤ، ومن المقربين لديه، ويبدو أن خلافا كبيرا حدث بين إبراهيم بن نصر والأمير بدر الدين لؤلؤ أدت إلى هروب إبراهيم بن نصر من الموصل إلى بلاد الشام، فأمر بدر الدين لؤلؤ بهدم داره واتصل بملوك بني أيوب فأحسنوا إليه إحسانا عظيما، ثم عاد إبراهيم بن نصر إلى الموصل سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، ومن المرجح أن العلاقة الوثيقة بين الطرفين قد عادت بينهما، إذ عينه بدر الدين لؤلؤ (عارض للجيش)[٥١] وولاه النظر في ملكه الخاص وزاد في إكرامه[٥٢].

ج- الوظائف المالية

أما بالنسبة للوظائف المالية التي أشار إليها ابن الشعار، في تراجمه فكانت ثلاثة تراجم وهم: المبارك بن محمد بن محمد المعروف بمجد الدين بن الأثير، الذي تولى الخزانة لسيف الدين غازي بن مودود بن زنكي (٥٦٥-٥٧٦هـ/١١٦٩-١١٨٠م)[٥٣]، أما علي بن يوسف بن محمد المعروف بابن العطار فقد ولاه بدر الدين لؤلؤ على الزكاة[٥٤]. وأبو العباس احمد بن علي بن أبي المكارم العمراني (كان حيا سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) كان مستوفيا[٥٥] بالديوان الملكي البدري بالموصل إلى وقت ابن الشعار، وإليه الحكم والنظر في الارتفاعات، وعن ذلك قال ابن الشعار: ((وأبو العباس هو اليوم المستوفي بالديوان الملكي البدري بالموصل، واليه الحكم والنظر في الارتفاعات))[٥٦].

د-الخطابة

أشار ابن الشعار إلى وظيفة الخطابة في كتاب (قلائد الجمان) وذكر ثلاثة من الشخصيات التي شغلت هذا المنصب، وهذه الشخصيات تنتمي إلى عائلة عريقة معروفة ومشهورة في الموصل في مجال الخطابة في تلك الفترة التاريخية، وهي عائلة الطوسي، وهم:عبد الله بن عبد المحسن أبو الفضل بن أبي القاسم بن الطوسي الخطيب (كان حيا سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م) الذي تقلد الخطابة بالجامع العتيق[٥٧]، وكان الأخير لا يزال في منصبه إلى وقت ابن الشعار الذي قال: ((وهو ألان مقلد الخطابة بالجامع العتيق))[٥٨] وأخيه الآخر الذي تقلد منصب الخطابة، عبد الرحمن بن عبد المحسن ابن احمد بن أبي القاسم بن الطوسي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) الذي تقلد منصب الخطابة في الجامع العتيق أيام الجمع بعد أبيه بالموصل[٥٩] والشخصية الأخيرة التي تولت منصب الخطابة من عائلة الطوسي، احمد بن عبد الله بن احمد بن محمد أبو طاهر بن أبي الفضل الخطيب الطوسي (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م) الذي خطب على منبر الجامع العتيق بعد والده بالموصل، كان يرتجل الخطبة، وكان أيضا قارئا للقرآن، محدثا وشاعرا[٦٠].

هـ-خزانة الكتب

من بين الوظائف الإدارية التي ذكرها ابن الشعار خزانة الكتب[٦١]، وتحديدا خزانة كتب المدرسة المولوية السلطانية البدرية المطلة على دجلة[٦٢] وذكر ابن الشعار ثلاثة شخصيات تولت هذا المنصب وهم: احمد بن إبراهيم بن احمد أبو العباس الموصلي، ومما يذكر أن الأخير كان قد عرض عليه منصب ديوان الاستيفاء بعد موت والده إلا أنه رفض ذلك، لورعه وتدينه ونزاهة نفسه كما ذكر ابن الشعار[٦٣]. والشخصية الثانية التي تولت منصب خزانة الكتب بالمدرسة البدرية، إسماعيل بن هبة الله بن باطيش (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)[٦٤]. وأخيرا يحيى بن احمد بن موسى أبو زكريا الموصلي (ت٦١٦هـ/١٢١٩م) الذي ولاه بدر الدين لؤلؤ خازنا لخزانة كتب المدرسة التي أنشاها على دجلة[٦٥].

و- وظائف أخرى متفرقة

من الوظائف الإدارية الأخرى التي ذكرها ابن الشعار في الموصل، وظيفة (مستحفظ القلعة) وتولى هذه الوظيفة في الموصل، علي بن محمد بن يوسف، أبو الحسن الموصلي (ت٦١٦هـ /١٢١٩م) وذلك في زمن الدولة الاتابكية، في عهد الملك نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن زنكي، ومن بعده لولده الملك القاهر عز الدين أبي الفتح مسعود[٦٦]. ويحيى بن محمد عمر الجزري (كان حيا سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) الذي تولى كتابة الرقاع إلى القرى والنواحي وذلك في عهد نور الدين ارسلان شاه بن مسعود[٦٧]. أما (نقابة العلويين) فقد تولاها بالموصل محمد بن حيدر أبو طاهر بن آبي الفتوح الحسيني العلوي (ت٦٤١هـ/١٢٤٣م) الذي شغل هذا المنصب ثلاث مرات في زمن الدولة الاتابكية، ثم في زمن بدر الدين لؤلؤ[٦٨]. اما محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قليج بن تكين خان، أبو عبد الله بن أبي الحسن الموصلي كان حيا سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) فقد خدم الملك العادل نور الدين أبي الحارث ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي حاكم الموصل وكان احد الأمراء في دولته[٦٩].

ومن الجدير بالذكر، أن ابن الشعار من خلال تراجمه لبعض الشخصيات الموصلية أشار إلى الوظائف الإدارية التي كان يشغلها أباء الشخصيات التي ترجم لها ففي ترجمة احمد بن إبراهيم أبو العباس بن أبي إسحاق الموصلي (ولد سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م) قال ابن الشعار[٧٠]: ((من أبناء الرؤساء المتصرفين[٧١] بالموصل...وتولو بها الأعمال الجليلة لبني اتابك)) أما في ترجمة إبراهيم بن نصر بن عيسى أبو إسحاق الموصلي (كان حيا سنة ٦٣٠هـ /١٢٣٢م) فقال: ((...كان والده إليه الاستيفاء في الدولة الاتابكية، نافذ الأمر فيها، مقبولا في أرائه...))[٧٢] وفي ترجمة ابن الشعار، لعبد الله بن عيسى بن الحسن أبو الهيجاء الكردي الموصلي (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) قال: ((كان والده أميرا جليلا، عظيم المنزلة عند اتابك نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود واخص حجابه في دولته...))[٧٣] وفي حديثه عن محمد بن الحسن أبو السعادات بن أبي علي القاضي الشهرزوري الموصلي (ولد سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م) قال: ((كان والده يتقلد القضاء بالموصل، وكذلك كان عمه وجده وأسلافه،

وهم أهل بيت عريق في القضاء، وأشهر من أن ينبه عليه، والقضاء يتردد فيهم على قديم الزمان وحديثه...))[٧٤] وأخيرا في ترجمة محمد بن المظفر بن محمد(ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) أشار ابن الشعار إلى مهنة والده فقال: ((كان والده عدلا بالخزانة لبني اتابك...))[٧٥].

سادسا:الجوانب الاقتصادية في كتاب(قلائد الجمان):

أما فيما يتعلق بالجوانب الاقتصادية في الموصل، فقد أشار إليه ابن الشعار وذلك من خلال حديثه عن الشخصيات الموصلية أيضا، وبلغ عددها أحدى وعشرون شخصية، وركز ابن الشعار في كتابه (قلائد الجمان) على الوسائل والمهن والحرف والأعمال، التي كان يتخذها قسم من أهل الموصل من اجل كسب أرزاقهم، والحصول على مورد لمعيشتهم، كما انه أشار أحيانا إلى الحالة الاقتصادية للشخصية التي يتحدث عنها، من حيث كونه غنيا أو فقيرا، ويمكن تقسيم هذا الجانب إلى قسمين رئيسين:

ا- الاسترزاق بالشعر

ويأتي في مقدمة تلك الوسائل كما ذكرها ابن الشعار في كتابه (قلائد الجمان) التكسب بالشعر، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن ابن الشعار ركز في كتابه (قلائد الجمان) على الشعراء كما اشرنا آنفا. إذ اتخذ قسم من أصحاب تلك الشخصيات قول الشعر وسيلة للكسب المادي ولنيل الأعطيات والهبات أي (الاستجداء بالشعر) وذلك من خلال مدح الملوك والأمراء أو مدح بعض الشخصيات التي كان لها مكانة في المجتمع، وبلغ عدد تلك الشخصيات التي كانت تسترزق من الشعر ثمان شخصيات، ومن ذلك مثلا في ترجمة علي بن هبة الله بن محمد (معاصرا لابن الشعار) قال ابن الشعار[٧٦]: ((رجل صعلوك مملق يرتزق بشعره...))، وفي ترجمة الأديب والشاعر عمر بن محمد بن علي المعروف بابن الشحنة (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) قال: ((...رحل إلى حضرة الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب...قاصدا وامتدحه بالقصيدة القافية التي استحسنها الأدباء، واستجادها الفضلاء، فأحسن صلته عليها...))[٧٧]، أما في ترجمة محمد بن علي بن عبد الله (معاصرا لابن الشعار) فقال: ((...حتى افتقر، ونفد ما معه، وساءت حاله، واجتدى الناس بالشعر...))[٧٨]، وقال ابن الشعار في ترجمة احمد بن محمد بن أبي الوفاء المعروف بابن الحلاوي (كان حيا سنة ٦٣٢هـ /١٢٣٤م): ((...وكان يقول الشعر منذ كان حدثا، وطاوعه طبعه في نظمه، ورزق منه حظا لم

يرزقه احد من أبناء جنسه وأقرانه...واتصل بالملك الناصر صلاح الدين أبي المكارم داؤد... وصار من جملة شعرائه، وخص جلسائه ومدحه بعدة قصائد واكتسب منه رزقا صالحا...))[٧٩] أما في ترجمة احمد بن أبي القاسم بن احمد (ولد سنة ٥٩٥هـ /١١٩٨م) فقال: ((...ينظم الشعر في الهجو والمدح... وليست له حرفة يعتمد عليها سوى التكسب بالشعر والاستجداء...))[٨٠].

ب- المهن والحرف

ذكر ابن الشعار عدداً من الحرف والمهن المتنوعة والأعمال التي كان يمارسها بعض أهل الموصل للحصول على مورد لكسب أرزاقهم، مثل خياطة القلانس، والوراقة وكتابة القصص للناس بالأجر، والنسخ والنقش، والتجارة، وغيرها من المهن والأعمال. وبلغ عدد الأشخاص الذين كانوا يعملون في الخياطة والنسيج (٤) شخصيات، وكان من الشخصيات من يعمل في خياطة القلانس، ومنهم من كان يعمل في خياطة السجاد، أو في صناعة النسيج، ومما يذكر أن الموصل عرفت بصناعة النسيج ولاقت تشجيعا وعناية من قبل الحكام، فتوسعت صناعة النسيج، وصار فيها في سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) (٧٥٠٠) نولا للحياكة، وانتشرت الخانات الخاصة بأعمال الحياكة من صبغ ودق ونقش وتطريز وقصر، وكان المنتج يفيض عن حاجة البلد، فيصدرونه إلى خارج البلد، وكان النسيج الموصلي مضرب المثل في الدقة والجودة والجمال[٨١].

ويبدو من خلال ترجمة ابن الشعار لهذه الشخصيات التي عملت في هذه المهنة، أنهم كانوا أشخاصاً بسطاء من عامة الناس وكان اغلبهم من الفقراء، ومنهم من كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم: إبراهيم بن علي أبو محمد النحوي الموصلي (ولد سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م)) الذي كان يعمل في خياطة القلانس، وكان في حالة شديدة من الفقر، ثم تحسنت أحواله بعد أن أصبح مؤدبا لأولاد الأمير بدر الدين لؤلؤ، واكتسب من ذلك رزقا جيدا أغناه عن صناعة القلانس كما ذكر ابن الشعار[٨٢]، ومن الشخصيات الأخرى التي عملت في صناعة القلانس، عبد الله بن احمد بن علي أبو حامد الموصلي النحوي (ولد سنة٥٥٣هـ/١١٥٨م)[٨٣] أما عبد الله بن إبراهيم أبو بكر الموصلي (معاصرا لابن الشعار)، فكان رجلا نساجا وكان ضعيف

العينين اسمر، أميا، لا يقرأ ولا يكتب[٨٤] وعبد الباقي بن نصر بن هبة الله المعروف بابن العبري الازدي (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، الذي عمل في خياطة السجاجيد والمرقعات، وعن ذلك قال ابن الشعار: ((...وكان له يد قوية في خياطة السجاجيد والمرقعات، وربما تمشت أحواله بها، لكونه لم يكن له جهة غيرها))[٨٥].

وعمل أهل الموصل في مهنة الوراقة، وكتابة القصص للناس بالأجر والنسخ والنقش، وكان عدد الأشخاص الذين مارسوا هذه المهن خمسُ شخصيات حسبما ذكر ابن الشعار، منهم شخصيتان عملت في مجال الوراقة والنسخ، وهم:محمد بن المظفر بن محمد أبو عبد الله الموصلي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) الذي كان يورق ويقتات من كسب يده[٨٦]، وعلي بن احمد بن عثمان البوازيجي (كان حيا سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م) كان ينسخ بالأجر، وذكر ابن الشعار[٨٧] أن خطه كان حسنا وكتب بيده عدة مجلدات أدبية وغيرها. أما الأشخاص الذين عملوا في كتابة القصص للناس بالأجر فكانوا شخصيتان أيضا وهم:احمد بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق (معاصرا لابن الشعار)[٨٨]، وعبد الرحمن بن عمر أبو محمد الموصلي (ت٦١٠هـ/١٢١٣م)[٨٩]، وكان من أهل الموصل من تميز بفن التزويق، وتزيين الكتب بمختلف الزخارف النباتية المزهرة، والزخارف الهندسية الدقيقة، وقد نشطت هذه الصناعة في الموصل في القرنين السادس والسابع للهجرة، وأصبح فيها مدرسة في التصوير، وكان في خزائن الكتب الموصلية، نفائس الخطوط، ودقة التجليد، وتنوع الزخارف، فكانوا يزينون أغلفة الكتب بزخارف نافرة مطعمة بالذهب والفضة والألوان الزاهية[٩٠]، ومن النقاشين الذين تفوقوا في هذا المجال، احمد بن بوران أبو علي بن أبي احمد الموصلي (ولد سنة٥٩٦ هـ/١١٩٩م)، النقاش الدهان، فقد عمل في صناعة التزويق والنقش والتصوير وتذهيب الكتب، وقال عنه ابن الشعار[٩١]: ((...فاق في ذلك أهل زمانه لا يماثله احد فيما يخترع من غرائب التزاويق، وبدائع التصاوير، ويكتب خطا مليحا...)).

ومن المهن الأخرى التي عمل فيها أهل الموصل وذكرها ابن الشعار في كتابه (قلائد الجمان)، الصّفار، وعمل في هذه المهنة من أهل الموصل علي بن أبي منصور أبو الحسن الموصلي (معاصرا لابن الشعار)، الذي كان من صناع الموصل الصفارين[٩٢]، واحمد بن غزي أبو العباس الموصلي (كان حيا سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، الذي كان خبازا في الموصل[٩٣]

ويوسف بن محمد بن علي أبو العز الموصلي (معاصرا لابن الشعار)، كان ينجم ويبيع الشربات[٩٤] ومن الأعمال الأخرى التي مارسها أهل الموصل كما ذكر ابن الشعار التجارة، ومنهم عثمان بن نصر الله بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الذي كان تاجرا يسافر من البلاد العراقية إلى الديار المصرية، فكف بصره فترك التجارة[٩٥]. وهناك من الشخصيات من كان آباءهم يمارسون مهنا وأعمالا معينة كما ذكر ابن الشعار، مثل، علي بن محمد بن علي بن شفاعة الموصلي (معاصرا لابن الشعار)، الذي كان أبوه عطارا بشهر سوك[٩٦]، كما ذكر ابن الشعار[٩٧] ومحمد بن يوسف بن علي الشيباني (ولد سنة٥٧٠هـ/١١٧٤م) كان أبوه رجلا قصابا[٩٨].

الخاتمة

ضم كتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) لابن الشعار الموصلي، معلومات مهمة عن الجوانب الإدارية والاقتصادية في مدينة الموصل، لاسيما في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، على الرغم من أن كتابه (قلائد الجمان) كتاب عن الأدب والشعر، إلا أن هذه الوظائف وردت في تراجمه بوصفه جزءاً من منهجه عندما يتعلق الأمر بوظيفة المترجم له، وكان عدد الشخصيات الموصلية التي أشار من خلالها إلى الجوانب الإدارية (٢٥) شخصية، وكانت معظم الشخصيات التي تولت مناصب إدارية تمتلك مواهب، ومواصفات، وقدرات أهلتها لتولي تلك المناصب، وقد تنوعت تلك الوظائف الإدارية وهي: وظيفة القضاء، وكتاب الإنشاء، وخزانة الكتب، والوظائف المالية، والأعمال المتعلقة بالديوان، ووظائف أخرى متفرقة، أما الجوانب الاقتصادية، فكان عدد الشخصيات التي أشار من خلالها إلى هذا الجانب أحدى وعشرون شخصية، وذكر ابن الشعار، الوسائل، والمهن، والأعمال، التي كان يمارسها أهل الموصل، من اجل الحصول على مورد لمعيشتهم، وكسب أرزاقهم، كما انه أشار إلى الحالة الاقتصادية للشخصية التي يترجم لها من حيث كونه غنيا أم فقيرا ومن تلك الوسائل والمهن والأعمال، التكسب بالشعر، وخياطة السجاجيد والمرقعات، والوراقة والنسخ، والتاجر، والصفار، والعطار والخباز فضلا عن القصاب.

لهوامش:

(١) شرف الدين أبو البركات المبارك بن احمد اللخمي الاربلي، تاريخ اربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورد ذكره من الاماثل، تحقيق: سامي السيد خماس الصقار (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠) ج١/٣٨٤؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد (الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٦) ج٥/٢١٩؛ محمد بن شاكر الكتبي، عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق:فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داؤد (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠)ج٢٠/١٠١.

(٢) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ج١/٣٨٤.

(٣) الشعار: ماخوذة من الشعارة، وهي معاملة شعر الماعز وحياكته، وصنع الحاجيات منه كبيوت الشعر للبدو وغيرها. ابن المستوفي، تاريخ اربل، ج١/٣٨٤ بسام إدريس الجلبي، موسوعة أعلام الموصل (الموصل، كلية الحدباء الجامعة، ٢٠٠٤)ج٢/٥٠.

(٤) ابن الشعار، قلائد الجمان، م٣، ج٤/٢٧١، م٨، ج١٠/١٠٥.

(٥) المصدر نفسه، م٢، ج٣/٣١١-٣١٢.

(٦) المصدر نفسه، م٣، ج٨/٨٣-٨٤.

(٧) المصدر نفسه، م٣، ج٤/١٩٥-١٩٦

(٨) المصدر نفسه، م٢، ج٣/٢١٠-٢١١؛للمزيد من التفاصيل عن شيوخ ابن الشعار ينظر:حنان عبد الخالق علي السبعاوي، المنهج التاريخي عند ابن الشعار الموصلي(ت٦٥٤هـ)في كتابه قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب /جامعة الموصل، ٢٠١٠، ص٢٩-٣٠.

(٩) ابن الشعار، قلائد الجمان، م٤، ج٥/٢١٥.

(١٠) المصدر نفسه، م١، ج١/١٩٦، م٢، ج٣/٢٢٧، م٣، ج٤/٢٥٩، م٤، ج٥/١٧، م٥، ج٦/٣١٩.

(١١) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ق١/٣٨٤؛ابن الشعار، قلائد الجمان، م٥، ج٦/٤٠، م٣، ج٤/٣٥٥، م٤، ج٥/١١٦.

(١٢) المصدر نفسه، م١، ج١/٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٦، م٢، ج٣/٥٦، ٩٥، ١٠١، ١٥٨، م٤، ج٥/١١، ٣٢، ٤٠، ٢٣٤، ٢٦٩، م٥، ج٦/١٤، ٦٣، ٩٣، م٦، ج٧/ ١٢٥-١٦٧-١٦٩.

(١٣) المصدر نفسه، م٤، ج٥/٣٣٥.

(١٤) المصدر نفسه، م٣، ج٤/٢٦.

(١٥) السبعاوي، المنهج التاريخي، ص٣٠.

(١٦) قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد البعلبكي الحنبلي المعروف باليونيني، ذيل مرآة الزمان، (حيدر أباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤)ج١/٣٣؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق:بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، ط١١(بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ٢٠٠١)ج٢٣/٣٠٩.

(١٧) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق:عبد القادر احمد طليمات(القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣)، ص١٩٧؛سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل(الموصل، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٢)ج١/٣٠٤

(١٨) للمزيد ينظر:ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة ولنشر، ١٩٦٦)ج١٢/٣٣٤-٣٣٩؛عماد الدين إسماعيل أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ط١(القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت)ج٣/١٢١عماد الدين إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير، البداية والنهاية، ط٢(بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧)ج١٣/٨١؛الديوه جي، تاريخ الموصل، ج١/٣١١

(١٩) سوادي عبد محمد الرويشدي، إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ٦٠٦-٦٦٠هـ/ ١٢٠٩-١٢٥٩ (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١)ص٥٤-٥٧

(٢٠) للمزيد من التفاصيل ينظر:ابن الأثير، الكامل، ج١٢/٩٧-٩٨؛جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، (القاهرة، دار القلم، د.ت)ج٣/٣؛كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق:سامي الدهان(بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٨)ج٣/١٥٥-١٥٦؛قاسم عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية، (الكويت، مطابع السياسة، ١٩٩٠)ص١٤٧.

(٢١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/٢٠٧؛أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٩٩-٢٠٢

(٢٢) الرويشدي، إمارة الموصل، ص١٨٢؛احمد احمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام(القاهرة، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، د.ت)ص٤، ٥ ؛السبعاوي، المنهج التاريخي، ص٥٧.

(٢٣) السبعاوي، المنهج التاريخي، ص٥٧.

(٢٤) ابن الشعار، قلائد الجمان، مج١، ج١/٦٠

(٢٥) عبد الواحد ذنون طه، العلوم التاريخية والجغرافية، موسوعة الموصل الحضارية، ط٢(الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٢)مج٣/٩٤.

(٢٦) سامي الصقار، ابن الشعار الموصلي، مؤرخ الشعراء وكتابه عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، مجلة كلية الآداب، الرياض، جامعة الرياض، ١٩٧٩، ع٦/٢١٨-٢٢٧.

(٢٧) السبعاوي، المنهج التاريخي، ص٦٠.
(٢٨) قلائد الجمان، مج٣/ج٤/٥٩-٦٠.
(٢٩) المصدر نفسه، مج٤، ج٥/٧٥-٧٦.
(٣٠) المصدر نفسه، مج٥، ج٦/٣٢.
(٣١) المصدر نفسه، مج٣، ج٤/٣٧٣.
(٣٢) المصدر نفسه، مج١، ج١/١١٤.
(٣٣) ديوان الاستيفاء:وظيفة رئيسة وعلى متوليه إدارة أمور الدولة في الضبط والتحرير، ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها، ويكون فيها مستوفيان أو أكثر القلقشندي، صبح الأعشى ج٤/٣٠
(٣٤) المصدر نفسه، مج١، ج١/٣٢٦.
(٣٥) نعيمة بوكريديمي، الانشغالات العلمية لعلماء تلمسان بفاس خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، مجلة كان التاريخية، ع١٤، السنة الرابعة، ٢٠١١، ص٤٥.نقلا عن المكتبة العلمية الافتراضية العراقية:www.ivsl.org
(٣٦) كاتب الشروط:يقصد به علم الشروط والسجلات، وهو علم باحث في كيفية تثبيت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون(بغداد، مكتبة المثنى، د.ت)ج١/١٠٤٥.
(٣٧) ابن الشعار، قلائد الجمان، مج٣، ج٤/٣٧٣.
(٣٨) المصدر نفسه، مج٢، ج٣/١٥٨.
(٣٩) المصدر نفسه، مج٢، ج٣/٢١٠.
(٤٠) المصدر نفسه، مج٣، ج٤/٥٩-٦٠.
(٤١) المصدر نفسه، مج٣، ج٤/٣٨١.
(٤٢) المصدر نفسه، مج٨، ج١٠/٣١٢.
(٤٣) المصدر نفسه، مج٤، ج٥/٧٨.
(٤٤) المصدر نفسه،.مج٧، ج٩/٣٥.
(٤٥) المصدر نفسه، مج٥، ج٦ /٣٢.
(٤٦) المصدر نفسه، مج٤، ج٥/٨١-٨٢.
(٤٧) المصدر نفسه، مج٣، ج٤/٣٥٨.
(٤٨) المصدر نفسه، مج٨، ج١٠/٣١٢.
(٤٩) المصدر نفسه، مج١، ج١/١١٤.
(٥٠) المصدر نفسه، مج٥، ج٦/٣١-٣٢.

(٥١) عارض الجيش:وهو العارض الذي يعمل في ديوان العرض، وتنحصر مهمته في معرفة أسماء الجند واصنافهم وطوائفهم ومدد أعطياتهم وأوقافها، بدري محمد فهد، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير٥٥٢-٦٥٦هـ/١١٥٧-١٢٥٨، (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٣) ص٢٨١.

(٥٢) ابن الشعار، قلائد الجمان، ج١، مج١/١٣١.

(٥٣) المصدر نفسه، مج٥، ج٦/٣١-٣٢.

(٥٤) المصدر نفسه، مج٤، ج٥/٧٥-٧٦.

(٥٥) المستوفي:وهو الذي يتولى النظر في الأمور المالية للدولة..(أبي العباس احمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا(مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت)ج٤/٣٠؛محمود ياسين التكريتي، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، (بيروت، دار الخلود للطباعة والنشر، ١٩٨١)ص، ٣٦٦.

(٥٦) ابن الشعار، قلائد الجمان، مج١، ج٥/٢٧٦.

(٥٧) المصدر نفسه، مج٢، ج٣/٢٣٣.

(٥٨) المصدر نفسه، مج٢، ج٣ /٢٣٣.

(٥٩) المصدر نفسه، مج٢، ج٣/٣٠٨.

(٦٠) المصدر نفسه، مج١، ج١/١٦٣.

(٦١) خزانة الكتب:تطلق هذه التسمية على المشرف على الكتب في خزانة المدرسة، أي ما يسمى في الوقت الحاضر المكتبة، وتجري في هذه المكتبة سائر أمور النسخ والمطالعة والكتابة. للمزيد من التفاصيل ينظر:تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، (بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، ١٩٨٤)ص١١١

(٦٢) المدرسة المولوية السلطانية البدرية:تنسب هذه المدرسة إلى مؤسسها بدر الدين لؤلؤ، وفي بعض الأحيان يطلق عليها اسم المدرسة المولوية البدرية، نسبة إلى لقب بدر الدين لؤلؤ(المولى الرحيم، بدر الدين، عضد الإسلام والمسلمين)للمزيد من المعلومات ينظر:ميسون ذنون العباجي، المدرسة البدرية وأثرها على الحياة العلمية في الموصل في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وقائع المؤتمر العلمي السنوي السادس (الدولي الثاني)لكلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ٢٠١٣، ص١٥٨-١٦٨.

(٦٣) المصدر نفسه، مج١، ج١/٣٢٦.

(٦٤) المصدر نفسه، مج١، ج١/٤٣٣.

(٦٥) المصدر نفسه، مج٧، ج٩/٢٥١.

(٦٦) المصدر نفسه، مج٣، ج٤/٣٧٨.

(٦٧) المصدر نفسه، مج٨، ج٤٦/١٠.
(٦٨) المصدر نفسه، مج٦، ج١١/٨.
(٦٩) المصدر نفسه، مج٦، ج١٩٤/٧.
(٧٠) المصدر نفسه، مج١، ج٣٣٦/١.
(٧١) المتصرفون:مفردها متصرف، وهو المسؤول المتصرف في أمور الدولة.أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م)٩٢/١
(٧٢) المصدر نفسه، مج١، ج١٣١/١.
(٧٣) المصدر نفسه، مج٢، ج٢٤٠/٣-٢٤١.
(٧٤) المصدر نفسه، مج٦، ج١٩/٧.
(٧٥) المصدر نفسه، مج٥، ج٢٤٥/٦.
(٧٦) المصدر نفسه، مج٤، ج١٦٦/٥.
(٧٧) المصدر نفسه، مج٤، ج١٨٧/٥.
(٧٨) المصدر نفسه، مج٥، ج٣٠٧/٦.
(٧٩) المصدر نفسه، مج١، ج٣٠٤/١.
(٨٠) المصدر نفسه، مج١، ج٣٣٧/١؛ للمزيد ينظر: المصدر نفسه، مج١، ج٢١٢/١، مج٦، ج٧، ٥ ١٩، ١٤٣.
(٨١) الديوه جي، تاريخ الموصل، ج٤٠٣/٢-٤٠٤.
(٨٢) ابن الشعار، قلائد الجمان، مج١، ج١/ ١٣٧.
(٨٣) المصدر نفسه، مج٢، ج٢١٦/٣.
(٨٤) المصدر نفسه، مج٢، ج٢٢٣/٣.
(٨٥) المصدر نفسه، مج٣، ج١٤٣/٤.
(٨٦) المصدر نفسه، مج٥، ج٢٤٥/٦.
(٨٧) المصدر نفسه، مج٤، ج١١٠/٥.
(٨٨) المصدر نفسه، مج١، ج٢٨١/١-٢٨٢.
(٨٩) المصدر نفسه، مج٢، ج٢٦٤/٣.
(٩٠) الديوه جي، تاريخ الموصل، ج٤١٦/١.
(٩١) ابن الشعار، قلائد الجمان، مج١، ج٣٢٣/١.
(٩٢) المصدر نفسه، مج٣، ج٢٧٠/٤-٢٧١.
(٩٣) المصدر نفسه، مج١، ج٣٤٢/١-٣٤٣.

(٩٤) المصدر نفسه، مج٨، ج٢٩٣/١٠.

(٩٥) المصدر نفسه، مج٣، ج٢١٥/٤.

(٩٦) شهر سوك:أو شهر سوق وهو من أسواق الموصل القديمة جدا وسميت المحلة باسمه، ويقع في وسط المدينة (الديوه جي، تاريخ الموصل، ج١٧٩/٢)

(٩٧) ابن الشعار، قلائد الجمان، مج٤، ج١٦٨/٥

(٩٨) المصدر نفسه، مج٥، ج٢٥٢/٦.

الإيقاع الروائي في الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل
دراسة تحليلية

أ.م.د. نبهان حسون السعدون*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٣/٩/٢٣
تاريخ قبول النشر ٢٠١٣/١٢/١٨

ملخص البحث :

تم اختيار الكاتب الموصلي (الدكتور عماد الدين خليل) ميداناً للبحث لما تحمل روايته (الإعصار والمئذنة) من تقنيات فنية متماسكة عملت على تشكيل علاقات منتظمة إيقاعية بين أحداث الرواية وشخصياتها وأمكنتها وأزمنتها إذ يكتمل الشكل والمضمون في حالة قدرة الكاتب على تقديم علاقات دقيقة ومتواصلة بأساليب ممنطقة ومفسرة لذا جاء هذا البحث ليدرس (الإيقاع الروائي) من حيث تحليل النصوص الخاصة به وبيان أبعادها الفنية والجمالية والكشف عن جماليات التشكيل الإيقاعي.

قام البحث على مدخل ومبحثين. تضمن المدخل تحديد مفهوم الإيقاع الروائي، وخص المبحث الأول بدراسة (إيقاع العناصر الروائية) من حيث الحدث والشخصية والفضاء. أما المبحث الثاني فتضمن دراسة (إيقاع اللغة الروائية)من حيث السرد والوصف والحوار.

The fictional rhythm in the "Hurrricane andminaret" Novel
An analytical study

Assist. Prof. Dr.Nabhan hassoon Alsa'doon

Abstract:

The Mosul writer (Emaduideen khaleel) has been chosen to be the topic of the research of the coherent artistic techniques his novel entitled the (Hurricane and the minaret) in forming regular and rhythmic relation ships between the events of the novel and its Characters، places and times such that the form and the content are tested under the auther's ability to form precise and continuous

* استاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية الاساسية/ جامعة الموصل.

Relationships by means of logical and explanative techniques There fore, the research emerged to study the(fictional rhythm) in terms of analyzing the related text and displaying its artistic and objective dimensions as well as revealing the aesthetics of the rhythmic of or motion

The research was based on in introduction and tow topics .The introduction has included defining of the concept of fictional rhythm Topic one has been dedicated to examine (the rhythm of the fictional elements)in terms of the event،the character and the space.

مدخل إلى تحديد مفهوم الإيقاع الروائي:

تعطي لفظة الإيقاع معنى التدفق والجريان، والإيقاع : صفة مشتركة بين الفنون جميعاً، وتبدو واضحة في الموسيقى والشعر والنثر[١] إذ عرف الإيقاع قبل لغة المصطلح فقد كان الإنسان يحدث أصواتاً متسارعة ليعبر بها عن اقتراب خطر ما، ورقص الحرب هو إيقاع خاص بلغة معبرة[٢].

يعد الإيقاع عنصراً مهماً من عناصر التصميم الروائي[٣] إذ انه الصوت الداخلي لمعمار الرواية[٤] ويعمل على تشكيل علاقات منتظمة إيقاعية ترابطية بين الأحداث والشخصيات والأمكنة والأزمنة في حركتها وبنائها ومدلولاتها لتحقيق رسم خطوطها الإيقاعية المنظمة فيما بينها التي تشكل فيما بعد البناء ومعماره وهندسته[٥].

ويبدو الإيقاع الروائي خافتاً غامضاً أو متحفزاً متسارعاً ولكنه يجمع في أحسن حالاته بين صفات مختلفة في آن واحد فيكون حراً أو منضبطاً متعثراً أو مناسباً، هادئاً أو متوثباً، أو خافتاً متعثراً إذ إن الإيقاع الروائي المؤثر هو الذي يسعى للتنوع في الوحدة ليحفظ للقارئ تحفزه وشغفه في الملاحظة والتتبع[٦] و يشكل رصداً لعالمين هما[٧]:

١ . العالم الخارجي، المرئي، الظاهري للشخصية والحدث والمكان .

٢ . العالم الداخلي، الخفي، الجواني للشخصية والحدث والمكان .

ومما سبق فالإيقاع الروائي يضبط حركة الحدث والمكان والزمن والشخصية ويكسبها معنى جديداً، ويمثل تكراراً مقصوداً يوظف لغايات فنية ونفسية وفكرية في العمل الروائي إذ تلتقي حركة العالم الخارجي وتتداخل مع حركة العالم الداخلي لتشكل بذلك إيقاعاً معيناً.

المبحث الأول : إيقاع العناصر الروائية

يتكون الإيقاع الروائي من عناصر عديدة هي[٨] .

١ . الأحداث من حيث وقوعها وتشكيلها وتنظيمها في نسق معين مع البناء الفني .

٢ . الشخصيات من حيث تشكل عالميها الداخلي والخارجي على وفق حركة الفعل وردوده .

٣ . المكان والزمان من حيث توظيفها لرصد حركة الشخصيات عبر الأمكنة بما ينسجم مع البناء الفني للرواية وعالمها الفكري .

١. الحدث :

الحدث هو مجموعة وقائع منتظمة أو متناثرة في الزمن وعلى ذلك فالحدث هو" اقتران فعل بزمن"[٩] . لذا فبناء الحدث هو ترتيبه أو تواليه في الزمن[١٠] ويعد من العناصر المهمة في الرواية لأنه يشغل مساحة واسعة من أجزائها، وتؤدي الحركة أهمية كبيرة في نموه وتطوره مما يساعد على ارتباط الرواية وانتظامها[١١] على هيئة أمواج تتحرك بنظام خاص تؤدي إلى تأثير مباشر يشعر القارئ معه بأن الأحداث تسير على وفق قانون مرسوم، وهذا التغير التموجي هو الإيقاع في التفاوت والتنوع في درجات الانتقال[١٢] .

نلحظ إيقاع الحدث عبر أفعال شخصية الإمام والخطيب (هاشم عبد السلام) وهو يخطب في خطبة الجمعة منذ ارتقائه المنبر إلى مغادرته على وفق ما يأتي[١٣]:

- ارتقاء المنبر .
- تنوع أساليب الخطبة والتأثير في المصلين .
- استعراض الوقائع والتعليق عليها واستباق معرفة ما سيحدث بعد يوم أو يومين .
- مغادرة المنبر .
- وقوفه إماما بالمصلين وارتفاع صوته بترتيل آيات القرآن الكريم .
- اجتياز المسجد إلى الباحة ومن ثم العودة إلى البيت .

يدل إيقاع حدث الخطبة على ما حملته الشخصية من أمانة أداء المهمة التي يقوم بها وانسجام المصلين معه إذ إن حروفه وكلماته أصبحت كالشواظ من نار عملت على تحريك أفئدة المصلين للقضاء على هواجسهم في التردد والخوف والعمل على إشعال نار التحدي والاستشهاد فهو يحاول ما استطاع أن يحشد الطاقات لليوم الذي ستشهده المدينة، ومع هذه

القوة في التعبير والإصرار على التحدي والمقاومة، والقدرة العالية في الرؤية والتوجيه إلا انه أمام آيات الله تعالى وهو يرتلها يكاد صوته يتدفق كالشلال بانسيابيته وهدوئه .

ويبدو إيقاع الحدث بأفعال ذنون الدباغ من محاولة تطوير مستواه المالي والاجتماعي عبر ما يأتي[١٤] :

- العمل على الاشتراك بأسهم كثيرة في المصانع والأنشطة التجارية .
- بناء قصر كبير على مقربة من المستشفى العام بعد الانتقال من بيته في رأس الكور القديم.
- الإنفاق بسخاء لتحقيق أرقى بناء .

يعبر إيقاع الحدث عن الجهود المتواصلة التي قدمها ذنون الدباغ في اصراره الشديد على زيادة ثروته ليرتفع بحاله المالي الى حد الترف، ولم يكتف بذلك وإنما أراد أيضا أن يطور مستواه الاجتماعي فيما يتعلق بالسكن ليكون على وفق الطراز الحديث. ويلقي سعي الرجل الى البناء المتأنق الحديث ظلاله على الشخصية وسعيها للترفيه وطلب الراحة، وموازنة السكن مع الحالة المادية اذ وجد أن بيته القديم لم يعد مناسباً للحالة المادية المترفة التي وصل إليها.

ويتضح إيقاع الحدث بأفعال عاصم الدباغ من سعيه الحثيث للقاء خطيبته وهو يسوق بسيارته على وفق ما يأتي[١٥].

- العودة إلى الشارع من جديد.
- الانعطاف عن دورة المستشفى غرباً.
- اجتياز شارع بن الأثير صوب رأس الجادة.
- محاولة إيجاد المنفذ الملائم للوصول إلى باب الجديد ومنه إلى شارع الغزلاني.
- الشعور العارم في لقاء خطيبته.

يأتي إيقاع الحدث في شعور الشخصية (عاصم) وهو يسوق سيارته بالإحساس المرير من أن تفلت منه سلمى ويخسرها ويتضاعف هذا الإحساس مع تحرق الشوق للقاء بها مما دعاه إلى التحرك عبر شوارع الموصل كافة للوصول إلى بيت خطيبته في شارع

الغزلاني خوفاً من ضياعها مع موجة التهديدات التي تحاصر المدينة ومصيرها المحتوم الذي تنساق إليه.

٢ . الشخصية :

تعد الشخصية المحور الذي تدور حوله الرواية كلها[١٦]. وهي:"مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في الرواية"[١٧]. وهي عنصر مركب لا يمكن فصله عن عناصر الرواية إذ إن العناصر تتآزر وتسهم في إضاءة عنصر الشخصية واغنائه[١٨]. ويتشكل الإيقاع الروائي من حركة الشخصية بالأحداث في المكان إذ أن الحركة عنصر جوهري في الظواهر جميعها[١٩]. ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من الحركة: الحركة في المكان أو الحركة في الزمان أو أنها تكون انفعالية وهذه قليلة الحدوث[٢٠] اذ تتحرك الشخصية حركة خارجية مادية فضلاً عن الحركة الداخلية المعنوية التي تشمل تحركات الخواطر والأفكار والعواطف التي لا تكاد تحس ولكنها في الواقع أكثر فاعليةً وأقوى تأثيراً في إنضاج الأحداث فالشخصية اذ تحركت من مكان لآخر بشكل إيقاعي منتظم تتشكل الأمكنة فضلاً عن ظهور العمق الفلسفي للأحداث[٢١].

يتمثل الإيقاع في نمط الشخصية الايجابية التي تصنع الأحداث وتغتنم الفرص وتؤثر فيمن حولها من الناس وتتخذ عواطفها وانفعالاتها طابع العمل وتنبع ايجابياتها من حركتها البناءة نحو تغيير الواقع المعيش مجتازة ما يعترضها من تحقيقات[٢٢] عبر شخصية (هاشم عبد السلام) الذي تحمل مسؤولية عمله أماما وخطيباً في الجامع الكبير في ظل المرحلة التي تهدد أمن الناس واستقرارهم، إذ تساءل في نفسه وهو يصعد عبر درب جانبي بمحاذاة الجامع لكي يصل على بعد خطوات من بيته: "أتستطيع قوة في الأرض أن تنزع عنا ملامحنا، وأن تغير بصمات أصابعنا ؟ قال، وهو يتذكر تحدي بعض الشيوعيين بأنهم لو اتيح لهم الانتصار، فلن يبقوا منارة واحدة في البلد يرتفع منها النداء إلى الله، إن الموصل أعلنت انتماءها منذ قرون إلى منارتها العالية أخذت منها اسمها واكتسبت عظامها العارية بقوة الروح التي تبثها لحماً ودماً"[٢٣].

يوضح التساؤل الذي يطرحه هاشم في نفسه إيقاع الايجابية عبر سعيه الحثيث في بناء واقع جديد من خلال دعوته المتجددة دوماً للوصول إلى بر الأمان بالتحدي والإصرار فهو

يجد أن أهل المدينة يحملون أصالة منارتهم الحدباء وثباتها فلا بد من التصدي لمحاولة الشيوعيين لهدم الدين والقضاء على كل ما هو أصيل في هذه المدينة.

أما الشخصية السلبية فهي تقف جامدة لتلقي الأحداث وتستجيب لإيحاءات من حولها في استكانة وخضوع، ولا تنطلق عواطفها وإحساساتها الداخلية إلا في الأحلام والتخيل[٢٤] إذ يمكن تلمس إيقاع هذه الشخصية عند (عاصم الدباغ) الذي اكتفى بميزاته من الذكاء بسرعة البديهية والخبرة الاجتماعية من دون ان تستهويه المسائل المهمة التي تشغل بال الشباب في ذلك الزمن الذي تعيشه المدينة وهي تنتظر المصير فهو لا يحاول مطلقاً أن يكون له الموقف الحاسم وإنما يركن إلى المشاهد مع ايثاره للسلامة على العكس من خطبته التي عزفت باتخاذ الموقف الصارم، فهو انشغل بأحلامه في الحفاظ على خطيبته والخوف من ضياعها، وهو لا يكتفي بعدم اتخاذ الموقف الثابت وإنما يحاول أن يسحب خطيبته الى هذا الاتجاه وعدم الاندماج فيما يحدث في المدينة فهو يتمنى أن ينتقل معها من عالم الرصاص الى عالم العشق والحب، ومن حال القتل إلى الحياة السعيدة الرغيدة لذا يحاول أن يقنعها بالرحيل الى بغداد ومن ثم العودة إلى الموصل بعد هدوء الحال.

"آه قالها في أعماق قلبه لو تستجيب لفكرة الرحيل هذه، فما هي إلا أيام حتى يتضح كل شيء، ودهمه كدر خفي وهو يتذكر كيف أن سلمى ترى في الرحيل هروباً غير مبرر ولا مقبول "[٢٥].

وما يعزز إيقاع السلبية في شخصية عاصم الدباغ عدم التفكير بحال المدينة والاهتمام بنفسه ومصالحه، إذ سيطرت عليه هذه الفكرة ولم ينتبه وهو في الطريق إلى بيت خطيبته أن اثنين من شباب المظاهرة يطلبان منه التوقف والرجوع بسيارته من حيث أتى فلم يكلف نفسه المشاركة في هذه المظاهرات التي تعبر عن الموقف الصارم تجاه التحديات التي تواجه المدينة خوفاً من المصير المفجوع لأن المتظاهرين اختاروا الوقوف ضد المد الشيوعي والسلطة في آن واحد وهم يطلبون سقوط الزعيم.

٣ . الفضاء.

يمثل الفضاء "الحيز الزمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعاً لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب"[٢٦]، إذ لا

يرتبط الفضاء الروائي بالزمن والمكان فحسب وإنما يقيم صلات وثيقة مع المكونات السردية الأخرى منها علاقته بالأحداث والشخصيات عبر خطية الأحداث السردية فهو المسار الذي يتبعه السرد[٢٧]، إذ تبدو صلة الفضاء بالزمن والمكان في النص الروائي أكثر عمقاً من بقية المكونات السردية فهما يمثلان العامل الأساسي في تحديد سياق الآثار الأدبية من حيث اشتمالهما على معنى إنساني[٢٨].

أ. الزمن.

إن وجود الزمن في السرد حتمي إذ لا سرد من دون زمن[٢٩]، وللزمن فعالية كبيرة في النص السردي فهو إحدى الركائز الأساسية التي تستند إليها العملية السردية إذ إن الزمن يسبقه السرد لذا فأن إشكالية الأدب الروائي عموماً مردها إلى إشكالية زمنية[٣٠]، وهناك زمنان أساسيان يمثلان بعدي البناء في النص الروائي في هيكلية الزمن هي[٣١]:

١. الزمن الطبيعي (الخارجي/ الظاهري) الذي يمثل الخطوط العريضة (السقالات) التي يبنى عليها النص الروائي بركنيه التاريخي والكوني.
٢. الزمن النفسي (الداخلي / الباطني) الذي يمثل الخيوط التي تنسج منها لحمة النص الروائي.

ومما سبق فالإيقاع الروائي هو التناوب الزمني المنتظم للظواهر المتراكبة[٣٢] إذ يظهر إيقاع الزمن عبر أحداث الرواية فيما يحدث بالمدينة من عدم اتخاذ الحل الوسط : "كان الوقت مساءً وقبل دقائق فحسب هبطت تلك اللحظات التي لا تعرف في مدينة الموصل حلاً وسطاً، فهي أما أن تقطر كآبة، وإما أن ترق وترق حتى يخيل للمرء أنه يتلقى نفحة من ريح الجنة. ومنذ أسابيع لم يعد احد يعرف حلم المساء السعيد، لقد مالت الكفة بالاتجاه الآخر، فما هي إلا الكآبة التي تتكاثف حتى تغدو رماداً ودخاناً"[٣٣].

يبدو إيقاع الزمن فيما تمر به المدينة من أحداث ينتظر تحقيقها فحالها كحال الوقت (مساءً) وتحولت السعادة إلى كابوس منذ أسابيع ولم يعد يهنأ الأهالي بطعم لشعورهم بأن المصير سيكون ضد توجهاتهم، ويلقي الكاتب الشعور بالزمن على شخصيتي عاصم وسلمى، فإذا كان يشعر بثقل الزمن وبؤسه فهو يحاول أن يتجاوزه بالعشق الحلال لخطيبته. في حين تزداد حساسيته إزاء ما يجري في المدينة، فثقل الزمن يزداد بثقله على النفس والتفكير.

ويعود إيقاع الزمن في تحديد المدة الزمنية (منذ أسابيع) فيما يتعلق بالتاريخ، و(مساءً) فيما يتعلق بالزمن الكوني إذ إن الظلام الذي غطى المدينة في هذه الساعة هو الذي سيجعل حالها في الأوقات كلها أي أن الرؤية للأحداث ضبابية بعيده عن الوضوح والظهور، ويعود إيقاع الزمن عبر استيقاظ سلمى متأخرة من نومها بعض الشيء:

"توقعت أن يكون يوم أمس الأحد يوم الفصل، وأن شيئاً ما سيحدث يتصادى مع ثورة الموصل هناك في العاصمة، فيقلب الموازين، ويمنح الثورة قدرتها على التحقق والانتشار، وكانت كل دقيقة تمر ليست بدقيقة ولكنها أطول بكثير، إن عقرب الساعة المعلقة في صدر الصالة الداخلية لم يعد يعني شيئاً وتحوله ببطْ ثقيل من التاسعة إلى العاشرة، ومن الثانية عشرة إلى الواحدة، ليس تغييراً في حساب الزمن على الإطلاق ما دام انه لا يعد بشيء لا يتمخض عن الحدث أو يتكشف عن البشارة. قبل يومين فحسب كان هذا الزحف الزمني الذي يطل من مينا الساعات يعني شيئاً كثيراً ويقرب من الهدف المرتجى، أما الآن فلربما تمنت سلمى أن يمر الزمن وأن تكف عقارب الساعات عن الدوران"(٣٤).

يتحدد الزمن في النص الروائي بيوم الأحد الذي يعرضه الكاتب على انه قد أصبح في الأمس ليتحول إلى الحاضر المعيش بعد التقديم لحال المدينة الذي أصبح إيقاعه في غاية البطء والثقل لأن النفس المنتظرة في حالة قلق من الذي سيحدث في انتظار أن تميل الكفة إلى جانبها بانتصار الثورة وليس العكس لذا تتمنى أن يقف الزمن ويكف إيقاعه الثقيل الذي يحمل معه هاجس الخيبة ولكن لا بد أن يفسر رجحان إحدى الكفتين الانتصار أم الخسارة، أم السيادة والآمان أو القلق والحزن والكآبة.

ويحرك الكاتب إيقاع الزمن في الماضي والحاضر والمستقبل إذ يتذكر هاشم عبد السلام وهو يحدق بالمنارة العالية للجامع النوري الكبير تاريخ تشييدها: "ها هي ذي المنارة المتفردة التي بناها يوماً نور الدين محمود قاهر الغزاة الصليبين. الموحد والمحرر واختار لها مكاناً في قلب المدينة، وأسبابها إلى السماء لكي تبرز واضحة للعيان من أي مكان يلقي منه المرء بصره"(٣٥).

يوحي النص الروائي بإيقاع الزمن نحو الماضي باختيار مكان بناء المنارة في قلب المدينة لكي تمثلها إذ سميت المدينة (الحدباء) باسم المنارة التي يضمها الجامع ومصلاه

الواسع فضلاً عن فنائه المترامي، ونحو الحاضر بأن المنارة لا زالت قائمة عبر القرون المتطاولة، انطلاقاً إلى المستقبل ألا وهو ارتفاع المنارة عالياً بما يوحي بعدم تغيير وجه المدينة الأصيل الثابت ضد التحديات كلها إذ تعلن الموصل عبر الزمن الانتماء لهذه المنارة ماضياً وحاضراً وفي المستقبل أيضا، وستبقى ثابتة بمبادئها الراسخة كثبات المنارة.

ب . المكان .

يعد المكان عنصراً مهماً من عناصر البناء الفني للرواية ولا يمكن أن يستغنى عنه على الإطلاق فهو الأرضية التي يشيد عليها هذا البناء[٣٦]، وهو محور من المحاور التي تدور عليها نظرية الأدب فهو ليس مجرد خلفية تقع فيها الأحداث وإنما عنصر مهم يعطي البعد الجمالي للعمل الروائي إذ انه بدون المكان يفقد خصوصيته ومن ثم أصالته[٣٧]، ويتشكل المكان باختراق الشخصيات له في الأحداث التي يقوم بها[٣٨]، فإذا بحثنا عن تكرار تغيرات الأمكنة في رواية ما، وعن إيقاعها ونظامها بصورة خاصة نكتشف إلى أية درجة تبدو هذه المتغيرات مفهمة لتضمين الرواية وحدتها وحركتها في الوقت ذاته، وكم يتضامن المكان مع عناصره الأولى[٣٩]، فالانتقال من مكان لآخر يصاحبه تحول في الشخصية. اما الانطلاق من مكان من دون التمكن من الحركة فيعبر عن العجز وعدم القدرة على التفاعل مع العالم الخارجي[٤٠].

يبدو إيقاع المكان في رحلة عاصم الدباغ بسيارته للوصول إلى بيت خطيبته في حي الغزلاني على الشارع إذ يخترق البلد من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال:

"على بعد عدة مئات من الأمتار باتجاه الجنوب يقوم المعسكر حيث يستقر لواء المشاة الخامس، الذي يتزعمه العقيد عبد الوهاب الشواف، وشمالاً يمرق الشارع كالسهم صوب أقصى نقطة في المدينة حيث تقوم المستشفى، تحيط بها مجموعات متفرقة من الدور، وهو في رحلته هذه يجتاز عدة دورات كبيرة لتقاطع الطرق"[٤١].

يصنف الكاتب في دورات مدينة الموصل لتقديمها في ذلك الزمن الذي تدور فيه الأحداث ويعرضها عبر نزعة تاريخية تؤرخ الأمكنة وتسعى لتقديم إيقاعها عبر دورتي العمري وباب الجديد الذي ينبثق عنه شارعان: (الصديق) باتجاه محطة القطار و(النورين) باتجاه قلب المدينة فضلا عن دورات باب لكش وباب الطوب والجسر القديم والساعة، ويدل

عبور عاصم هذه الدورات على إصراره للوصول إلى بيت خطيبته ولا يكتفي الكاتب بعرض هذه الدروب فحسب بل يشير إلى الشارع الكبير الذي يخترق المدينة عرضياً شرقاً وغرباً شارع نينوى بدءاً بالجسر القديم وانتهاءً برأس الجادة . لذا يحقق الكاتب رؤيته في تقديم المكان عبر حركة الشخصية وإيقاعها بما يتناسب مع حالتي القلق والحزن في آن معاً.

ويبدو إيقاع الشخصية في المكان عبر رحلة هاشم عبد السلام إلى داره في محلة الجامع الكبير عن طريق ما يأتي(٤٢):

– توقف سيارة جيب عسكرية ونزل منها الضابط بعد أن حيا هاشم وأخبره بالموعد مع الشواف.

– انطلاق الضابط وعودته إلى المعسكر.

– واصل هاشم سيره عبر أزقة الموصل القديمة.

يعرض الكاتب عبر اجتياز هاشم لعدد من أزقة الموصل البناء المعماري للمدينة من حيث الأزقة التي تفصل بين الدور التي تتسم بالضيق فضلاً عن الجدران المعلقة بالمرمر الأزرق وإسناد الجدران بأعمدة غليظة، ولا يكتفي الكاتب عند هذا الحد بل ينطلق لتقديم الأجواء الروحية لمحلات الموصل القديمة عبر التكوينات المعمارية والزخارف والنوافذ والأعمدة والتشكيلات الجمالية، ويركز الكاتب مع اعتنائه بالمكان على إيقاع شخصية (هاشم عبد السلام) ودوره في الثورة عبر اتفاق الضابط معه على موعد ليأخذه إلى الشواف مساءً في الساعة التاسعة مما يؤكد دوره الفعال في ايجاد الحل الذي يناسب المدينة وينقذها من مصيرها الذي رسمته السلطة وادعاءات الشيوعية ويركز الكاتب من جديد على إيقاع الشخصية عبر المكان وعرضه لتقديم صورته في الزمن الذي تدور فيه أحداث الرواية ولا سيما (البيت الموصلي) عن طريق حركة هاشم عبد السلام ليعرض قراره الواضح ورفضه للمغريات لأنه صاحب مبدأ لا يحيد عنه: " صعد درجات ثلاث باتجاه الإيوان الذي يتصدر الحوش كالعادة، كان الدار رغم فقره الواضح، يتضمن الكثير من الوحدات المعمارية للبيت الموصلي القديم الذي غدا جزءاً أصيلاً من تراث مدينة يمتد عمرها مئات السنين، الإيوان العالي ذو القوس المدبب، اللوحة الجبسية التقليدية التي يتصدرها بآية كريمة أو مثل سائر أو

حكمة بالغة، والتي يتعاشق فيها الأبيض والأزرق بتناغم بديع، الوحدات الزخرفية المعقدة على المرمر الممتد أعلى الأبواب والنوافذ تغور أحياناً وتتلوى حيناً وتنساب أحيانا"[٤٣].

المبحث الثاني: إيقاع اللغة الروائية :

تعد اللغة في العمل الروائي وسيلة لصنع الرموز التي يلتحم بعضها مع البعض الآخر، لتكوين المناظر والحركات والشخصيات والتجارب، فهي نظام متكامل تتألف في تركيبه الرموز والصور والحركة والفكر[٤٤] فلا بد من أن تكون اللغة الروائية قادرة على إيصال العواطف والأحداث إلى القارئ بيسر وسهولة [٤٥] أما الإيقاع الروائي الذي يعتمد على اللغة فهو لا ينطلق من المفردات بل من تجاورها، ويمكن للتركيب عبر تكراره الحرفي أو النحوي أن يسهم إسهاما فعالاً في إيجاد إيقاع مميز بإيحاءات لها علاقة وطيدة بما تريده الرواية[٤٦] ويمتاز هذا الإيقاع في التركيب ذي الطابع الزمني الذي يمكن تسميته بـ (اللازمة)[٤٧].

١. السرد .

تتم عملية السرد في الصياغة لتشكيل نص فني يرتقي بقيمته الجمالية[٤٨] إذ إن السرد أداة لنسج العلاقات بين العناصر الفنية التي يقوم عليها النص الروائي[٤٩]. ويتمثل الإيقاع السردي عبر المستويات إذ ينتقل السرد من مستوى سردي لآخر في رواية واحدة أو يحافظ على مستوى معين من السرد في رواية أخرى، وتتم عملية الانتقال من مستوى لآخر عن طريق السرد اذ يقوم على إدخال موقف ما بواسطة كلام معين بموقف آخر[٥٠] عن طريق التعبير عن المعنى بطريقة من الطرائق الثلاثة : التكلم أو الخطاب أو الغياب بعد التعبير عنه بآخر.

يقدم حدث اعتقال يونس لسلمى ومن ثم تعذيبها إيقاعا سردياً عبر اللغة الروائية يعتمد طرائق متعددة في التعبير : " تقدم يونس خطوات ومد يده بالحربة متواعداً لكنها تراجعت صوب الجدار وهي تحتمي بالسكين وأراد يونس أن يخطو إلى الأمام لكي يضيق الخناق عليها وهو يقول في نفسه إنهم منهمكون الآن بسلب الأثاث وقد يستغرق ذلك وقتاً لكنه ما لبث أن فوجئ بزخة رصاص تخترق فضاء المطبخ، وبدفقة من رفاقه تنتشر في المكان وتحيط بسلمى ترنحت هذه للحظات، وكادت أن تسقط لكنها تشبثت بالجدار، وقال يونس في نفسه: لا بأس فثمة الجانب الآخر، ولم تنته مهمتي بعد: إلي بحبل أيها الرفاق نادى بصوت متيبس،

طوحت الحبال في الهواء مرة أخرى والتمعت الحراب والسكاكين. وازت ثلاث طلقات من بندقية عتيقة، ووجد يونس بين يديه كومه من الحبال، وقال أحد الرفاق: دعوها لقد قتلنا أباها، وهذا يكفي فهيا بنا لتصفية بقية الأوكار. صاح يونس: كلا فان العقاب لم ينته بعد"[٥١].

بدأ الحدث الروائي بالسرد الموضوعي باستعمال فعل ماض مسند إلى الشخصية (يونس) للتعبير عن قيامه بالفعل لتأدية الموقف من التوعد، ثم بدأ مستوى الغائب بفعل ماض (تراجعت) قامت به الشخصية الثانية (سلمى) في حين بدأ مستوى آخر من جهة (يونس) في السرد على فعل (سلمى) بأربعة أفعال : الأول الماضي (أراد) والثاني المضارع (يخطو) والثالث المضارع (يضيف) والرابع مضارع أيضا (يقول) لينقل السرد من الموضوعي إلى الذاتي عبر حوار داخلي في نفس يونس : (أنهم منهمكون الآن بسلب الأثاث، وقد يستغرق ذلك وقتاً) بمستوى الغائب.

ويعود السرد الذاتي إلى الموضوعي للتعبير عما سيحدث أمام (يونس) بفعلين الأول الماضي (فوجئ) والثاني المضارع (تخترق) من حدث سماع زخة الرصاص عبر اختراقه للمكان (المطبخ) ومن ثم ما قام به رفاق يونس بفعلين مضارعين (تنتشر) (تحيط) ليؤكد الكاتب وقوع سلمى في أيدي المغرضين يونس ورفاقه وينتقل السرد الموضوعي من التعبير عن المغرضين إلى(سلمى) عبر مراقبة أفعالها (ترنحت/ كادت/ تسقط/ تشبثت) ومن ثم يتحول السرد إلى الذاتي مما يدور في نفس يونس (لا بأس، فثمة الجانب الآخر ولم تنتهِ مهمتي بعد) بمستوى المتكلم وإضافة الاسم إلى الياء (مهمتي) ثم ينطلق الحوار الداخلي إلى الخارجي مع الرفاق والطلب معهم بتنفيذ طلبه في إتيان الحبل . ويدل هذا المستوى على قمة الحقد الذي تولد في نفس يونس تجاه خطيبة صديقة (عاصم)في الدراسة الذي يشعر تجاهه بعقدة النقص.

ويكمل السرد الموقف الأخير باعتراض احد الرفاق على قتل (سلمى) بمستوى الخطاب قتلوا أباها عبر حوار صريح يعبر عن مستوى المخاطب (دعوها . لقد قتلنا أباها) في حين يعترض يونس مما يوحي بقمة اللؤم الذي وصل إليه: (كلا، فان العقاب لم ينته بعد) والى هذا الحد ينتهي الجزء الأول من تعذيب يونس لسلمى لينتقل إلى الجزء الثاني من سحلها وتعليقها على عمود النور انتقاماً من إيمانها وتثبيتاً لفكرة الشيوعية ضد الإيمان.

٢ . الوصف :

الوصف هو" ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات"[٥٢] إذ يشكل "نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد المستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات أي مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية"[٥٣].

يكمن إيقاع اللغة الروائية عبر أنماط الوصف : كالوصف البسيط والوصف المركب اذ يتكون الوصف البسيط من جملة وصفية مهيمنة لا تحتوي إلا على بعض التراكيب الوصفية الاخرى[٥٤]، اما الوصف المركب فينتقل من الوصف الى اجزائه ومكوناته أو بالانتقال الى المحيط العام لهذا الموصوف أو المضموم ضمنه عبر أفعال السرد بوصفها حوافز تقع على شخصية عمل ما[٥٥].

ومن أمثلة إيقاع لغة الوصف البسيط: "ولجت السيارة في شارع فرعي الى اليسار عريض نسبياً هنا حيث يحلو للشيوعيين أن يطلقوا عليه (شارع موسكو)"[٥٦].

يمثل النص السابق وصفاً بسيطاً للشخصية والمكان في آن معاً إذ حدد الوصف الاتجاه الفكري للشخصيات (الشيوعية) الموجة العاتية التي اعتلت السلطة آنذاك في حين اعطى الوصف تحديداً للمكان (الشارع) ليوحي بالموقف الجزئي الذي لا يكتمل إلا بعد تلاحمه مع الجمل الوصفية التي بعده فالشارع (فرعي) مع تحديد مهمته (اليسار) ووصفه بالعريض مع ذكر تسميته (شارع موسكو) اذ يوحي هذا الوصف البسيط بسكن عدد من أنصار الجمهورية وأبناء الزعيم في هذا الشارع، وتحددت الاجتماعات الشيوعية عبر بيوت أزقة هذا الشارع، ويقدم هذا الوصف ايقاع الشخصية والحدث معاً، الشخصية الشيوعية التي تتمثل بأفرادها الذين يسعون للانضمام في حركة أنصار السلام، وتدعمهم السلطة الحاكمة آنذاك، ويبدو إيقاع الحدث عبر الاصرار المتواصل للتعبير عن الفكر الشيوعي بوسائل شتى مما دعاهم الى عقد الاجتماع في ملعب الادارة المحلية وسط التظاهرات الحاشدة في المدينة.

ومن أمثلة إيقاع لغة الوصف المركب: "أعتذر عاصم عن الذهاب وقفل عائداً بسيارته، وانطلق عبد الرحمن وابنته صوب الجامع، ثمة طريق أقصر يوصل اليه أن يجتازا الحقول الخضراء الممتدة بين شارعي الغزلاني والمطار حيث تتبعثر مجموعات من الدور هنا وهناك بدلاً من الالتفاف الطويل عبر الطرق المرصوفة، وإذا اقتربا من هدفهما، شهدا حشود الناس

تتجه اليه، والأصوات تتعالى متحدثة عما هو كائن وعما سيكون، كان المسجد قد غص بالمصلين وكذلك الباحة الخارجية المكشوفة فاضطر الناس إلى تحويل الأرض الخضراء المقابلة للجامع عبر الشارع الى مسجد كبير، وثمة عدد من الشبان المسلحين ينتشرون عند حافاتها تحسباً للمجهول"[٥٧].

يبين الوصف السابق انتقال الشخصيات في الأمكنة من مكان محدد (بيت سلمى) الى ركوب السيارة والسير في الشوارع كما في شخصية عاصم، والذهاب الى الجامع والسعي لوصوله كما يبدو للشخصيتين سلمى ووالدها (عبد الرحمن) عن طريق الافعال : (أعتذر/ قفل/ يجتاز/ تتبعثر/ اقتربا/ شهدا/ تتعالى/ سيكون/ غص/ ينتشرون). ويستعرض الكاتب الأمكنة عبر الانطلاق من البيت الى الجامع (الحقول الخضراء/ شارع الغزلاني/ المطار/ الدور/ الطرق المرصوفة/ المسجد/ الباحة الخارجية/ حافات المسجد) إذ يوحي الوصف المركب بانتقاله من الشخصية الى المكان الى الشخصية الجماعية (المصلون) و (الشبان المسلمون) بالحدس الذي يدور في ذهن الناس لما سيكون من الأحداث في الأيام القابلة التي ستمر على المدينة برجحان الكفة لصالحها أو ضدها، وشعور الشبان المسلمين بمجهول قد يتحقق بما يضر أحوال المدينة لذا أشير إلى حافات الجامع دفاعاً عن المصلين من الحشود الهائلة التي جاءت إليه لتسمع خطبة هاشم عبد السلام.

٣ . الحوار

الحوار هو حديث بين شخصين أو اكثر[٥٨] تقع عليه مسؤولية نقل حركة الحدث من نقطة لأخرى ما داخل النص[٥٩] ويستخدم جنباً إلى جنب مع السرد ليكون جزءاً منه ومتمماً له وليس عنصراً دخيلاً عليه [٦٠].

ويمكن أن يمتاز الحوار الترميزي بنوع من إيقاع اللغة إذ يميل الى التلميح والإيحاء بعيداً عن التقريرية والمباشرة الظاهرة والشروحات الزائدة، فالترميز هو توظيف الرمز في نسيج النص وجعله طاقة تعبيرية فاعلة، ويعتمد هذا الحوار على مستويين هما: الأول مستوى (اللفظة–التركيب) من حيث قابلية الكلمة على التأثير المجازي عن طريق طاقاتها الايحائية والتعبيرية فيصبح الترميز باللفظة التي هي ذات إيحاء خاص. والثاني مستوى

(الموقف – الحدث) من حيث تأويل الحدث والفعل والبحث عن الايحاء الشمولي فالإيحاء العام هو الذي يحقق الترميز للحوار[٦١].

ومن أمثلة لغة إيقاع الحوار الترميزي: ما دار بين هاشم وحنا:

"– ولكنك على ما بلغني عنك توجه اهتمامك نحو مسائل أخرى غير الترجمة والقراءة.

– هاشم أنك تدري كيف ان المرء قد يستل أحيانا من صميم عمله وهوايته، بل قد يبعد عن أهله مرغماً دون أن تكون لديه القناعة الكاملة بهذا الفراق.

– يعني انك انتميت الى حركة أنصار السلام في الموصل مرغماً وذهبت إلى بغداد للتنسيق مع اللجنة المركزية على غير رغبة منك"[٦٢].

تبدو بعد معاينة الحوار بين الطرفين هاشم وحنا لفظة (انصار السلام) فضلاً عن التركيب الاسمي الذي يوحي بذلك (حركة انصار السلام) في الموصل بتحديد اتجاه الحركة ومكانها اذ يوحي هاشم عبد السلام لمحاوره بعدم ارتياحه من حال المدينة وهي تتلوى تحت وطأة الغزو وقوة السلطة التي تتمثل بالزعيم مع أدعياء السلام لمعرفته باتجاه محاوره الى العمل في مسارات جديدة لم يشرك فيها يختلف عن عمله في القراءة والترجمة وكتابة المقالات والبحوث الفكرية في التاريخ والحضارة فيسأله عن سبب توجه اهتماماته، في حين يجد المتحاور الثاني الحرج الذي وقع فيه فلا بد من المواجهة والمجابهة عبر البحث عن الامكانات الدبلوماسية ولم يكتفِ المتحاور الأول بالإيحاء بل انطلق الى السؤال عن انتماء محاوره الثاني الى حركة انصار السلام على الرغم منه، ليثبت لمتحاوره النوايا التي تسكن نفسه ضد المدينة وأبنائها، فهل يرغم الانسان على الانتماء الى حركة لا يقتنع بها وكيف وهو من المثقفين الجيدين في قضايا الفكر والتاريخ والحضارة لذا يبدو ايقاع اللغة عبر الحوار عن طريق الترميز باللفظة والتركيب ليدل عليه ويقدم وجهات النظر المتعددة .

ومن أمثلة إيقاع لغة الحوار الترميزي ما دار بين عاصم وسلمى:

"– لعلهم يتجمعون الآن في أماكن أخرى ؟

– يقال أن تظاهرة كبيرة تجتاز الآن شارع نينوى متجهة الى رأس الجادة، ويخشى أن يكون هدفها ساحة الادارة المحلية، حيث يتجمع أنصار السلام، قد تكون الكارثة ؟

– أية كارثة ؟

– وإذا وصل المتظاهرون الى هناك، فأن المدينة ستشهد مجزرة رهيبة .
– وهل يسمحون لهم باستباحتها .
– هذا خير على اية حال من ان يذبح أبناء الموصل وتستحيى نساؤها .. خير للمرء أن يغادر الموصل الى بغداد، هذه الأيام على الأقل فان ما هو آت أشد هولاً مما يجري الآن !
– لقد يكون هذا، انا لا أوافق عليه"(٦٣) .

بعد معاينة الحوار الذي يدور بين عاصم وسلمى يبدو توجه الشخصيتين، الشخصية الأولى (عاصم)الذي عرف بسلبيته العالية إزاء اتخاذ موقف واضح صريح لما يحدث في المدينة وهو يخشى حدوث الكارثة بتوجه المتظاهرين الى ساحة الادارة المحلية في اجتماع أنصار السلام، فهو من وجهة نظره لا يجد هذا الامر في صالح المدينة لما سيحدث من مجزرة رهيبة، في حين ان الشخصية الثانية (سلمى) تتأمل وجهة نظر المتحاور (خطيبها) فترد بإجابة مقتضبة عن الكارثة التي يتحدث عنها (هل يسمحون لهم باستباحتها) وينتقل الحوار الترميزي إلى مستوى آخر من التحاور بين الطرفين إذ تبدو نوايا المتحاور الأول بعد ما قدم وجهة نظره فهو يريد أن يترك المدينة الى بغداد خوفاً من المجهول الآتي إذ يؤثر السلامة في حين أن (سلمى) ترفض هذا القرار ولا توافق عليه إذ تعطي رأيها الصريح الصارم (لن يكون هذا).

ومما سبق فقد اعتمد المتحاوران على حوار ترميزي يبدو عبره توجه كل منهما الشخصية الأولى التي لها موقف معاكس للشخصية الثانية يمكن ملاحظته عبر (الموقف – الحدث) للوصول الى الايحاء الشمولي للحوار باتخاذ الموقف والمبدأ أو عدمه، وبين الإصرار والاستكانة والاستسلام والانقياد، والمصلحة الجماعية والفردية عن طريق إيقاع اللغة الروائية الذي يعتمد على الترميز.

خاتمة البحث ونتائجه

بعد الانتهاء من الدراسة التحليلية للإيقاع الروائي في الاعصار والمئذنة لعماد الدين خليل توصل البحث الى النتائج الاتية :

*جاء إيقاع العناصر الروائية عبر الحدث والشخصية والفضاء، اذ يتحدد إيقاع الحدث بإصرار الشخصية على التحدي والمقاومة كما هو عند هاشم عبد السلام، في حين يحاول

ذنون الدباغ في أفعاله تطوير مستواه المالي والاجتماعي، أما ايقاع الحدث لأفعال الدباغ فيبدو من خلال سعيه الحثيث للقاء خطيبته خوفاً من الانفلات عبر احساسها المرير، ويتنوع إيقاع الشخصية في نمطيها الايجابية التي تمثلت بشخصية هاشم عبد السلام الذي يسعى بأعماله الى بناء واقع جديد عبر دعوته المتجددة للوصول الى بر الامان عبر التحدي والإصرار والثبات في حين تبدو السلبية في شخصية (عاصم الدباغ) في إثارة السلم والبعد عن اتخاذ موقف صريح ازاء ما يحدث في المدينة ويحلم بعالم العشق والحب بعيداً عن عالم الرصاص، أما ايقاع الفضاء فبدا في الزمن والمكان، ويوحي الكاتب بزمن الرواية عبر ارجاعه الى الماضي ليعانق الحاضر ويمتد الى رؤية مستقبلية يؤكد فيها ثبات أهل المدينة كثبات منارة الحدباء التي سميت باسمها، ويرمي الكاتب في تقديم المكان بنزعة تاريخية تؤرخ الامكنة ولاسيما مدينة (الموصل) بشوارعها ودوراتها وبيوتها وأزقتها وتكويناتها المعمارية وزخارفها وتشكيلاتها الجمالية .

*برز إيقاع اللغة الروائية عبر السرد الحوار والوصف إذ يبدو إيقاع السرد في انتقال الكاتب بين السردين الموضوعي والذاتي والاعتماد على الأفعال المتنوعة على مستوى الغائب والمتكلم والمخاطب في تقديم حدث اعتقال (سلمى) من يونس ورفاقه عن طريق اعتماد الوسائل المتعددة في التعبير. في حين جاء ايقاع الوصف في نوعين من أنواعه: البسيط والمركب اذ أبرز النوع الاول ايقاع الشخصية والحدث معاً، الشخصية الشيوعية، والإصرار على الفكر بوسائل شتى في الانضمام لحركة أنصار السلام، أما النوع الثاني فيبدو في انتقال الشخصيات والأمكنة من مكان محدد (البيت) الى مكان آخر يعتمد فيه الكاتب على الافعال السردية في التعبير عن الحدث المتحقق من حركة الشخصية في المكان أما إيقاع الحوار فيبدو في الترميز على مستويين (اللفظة –التركيب) و (الموقف – الحدث) لتقديم الايحاء الشمولي بأطراف الحوار بما يقدمون من وجهات نظر مختلفة تعكس التقابل في المواقف بين الاصرار والانسحاب وبين المبدأ وعدمه.

هوامش البحث ومصادره ومراجعه:

(١) ينظر : كامل المهندس ومجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت، ١٩٨٤: ٧١ .

(٢) ينظر : د . عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي : عرض تفسير ومقارنة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، بغداد، ١٩٨٦: ٣٦ .

(٣) ينظر: فتحي الايباري، فن القصة عند محمود تيمور: دراسة نقدية تحليلية، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢: ١٣٨ .

(٤) ينظر: ياسين النصير، اشكالية المكان في النص الأدبي: دراسات نقدية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٦ : ٢٢٠ .

(٥) ينظر: د . أحمد الزعبي، في الايقاع الروائي : نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية، دار الامل، المطابع التعاونية، ط١،عمان. ١٩٨٦: ٨ .

(٦) ينظر: د. محمد يوسف نجم،فن القصة، دار الثقافة، ط٧، بيروت، ١٩٧٩: ٨٨ .

(٧) ينظر: الزعبي، المصدر السابق : ٨-٩ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٠ .

(٩) د. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة: أصولها. اتجاهاتها. أعلامها منشأة المعارف، الاسكندرية، (د. ت) : ١١ .

(١٠) ينظر : د. ابراهيم جنداري، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٠: ٧١.

(١١) ينظر : أحمد أبو أسعد، فن القصة، دار الشرق الجديد، ط١، بيروت، ١٩٥٩: ٩ .

(١٢) ينظر : سلام، المصدر السابق: ٢٨ .

(١٣) ينظر : عماد الدين خليل، الإعصار والمئذنة : رواية إسلامية معاصرة، مؤسسة الرسالة ط١، بيروت، ١٩٨٥: ٣٩-٤٠ .

(١٤) ينظر: المصدر نفسه : ٦٥-٦٦.

(١٥) ينظر : المصدر نفسه : ٨٤-٨٥ .

(١٦) ينظر : حسين القباني، فن كتابة القصة، مكتبة المحتسب، ط٢، عمان، ١٩٧٤ : ٦٨.

(١٧) د. محمد غنيمي هلال، النقد الادبي الحديث، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٣:٥٦٣.

(١٨) ينظر : د. صبري مسلم، رسم الشخصية في رواية المعركة، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، العدد ٧ لسنة١٩٨٩ : ٤٥-٦٥ .

(١٩) ينظر: سعد عبد العزيز، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، المطبعة الفنية الحديثة،القاهرة، ١٩٧٠ : ١٨ .

(٢٠) ينظر:برناردي فوتو،عالم القصة،ترجمةد.محمود مصطفى هدارة،عالم الكتب،القاهرة،١٩٦٩ :٢٣١.

(٢١) ينظر : احمد الزعبي، الايقاع الروائي في اللص والكلاب، مجلة أبحاث اليرموك – جامعة اليرموك، اربد – الاردن، المجلد ٣، العدد ١ لسنة ١٩٨٥ : ٦٩ .

(٢٢) ينظر : د .عبد القادر القط، في الادب المصري المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨: ٤٤.

(٢٣) خليل، المصدر السابق : ٥٣ .

(٢٤) ينظر : القط، المصدر السابق: ١٧٧ .

(٢٥) خليل، المصدر السابق : ٨٥ .

(٢٦) منيب محمد البوريمي، الفضاء الروائي في الغربة : الاطار والدلالة، سلسلة كتاب الجيب، دار النشر المغربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٣: ٢١ .

(٢٧) ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي : الفضاء . الزمن . الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠: ٢٩ .

(٢٨) ينظر : د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الادبي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، بغداد، ١٩٨٧: ٣٢٦ .

(٢٩) ينظر: بحراوي، المصدر السابق: ١١٧ .

(٣٠) ينظر: عبد العزيز، المصدر السابق:١٥ .

(٣١) ينظر: د. سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤: ٤٥ .

(٣٢) ينظر: فضل، المصر السابق : ٧١ .

(٣٣) خليل، المصدر السابق: ٩ .

(٣٤) المصدر نفسه : ١٦٠ .

(٣٥) المصدر نفسه: ٥٣ .

(٣٦) ينظر : النصير، المصدر السابق : ١٥١ .

(٣٧) ينظر : جاستون باشلار، جماليات المكان،ترجمة:غالب هلسا،دار الحرية للطباعة،بغداد، ١٩٨٨ :٦.

(٣٨) ينظر : د. إبراهيم جنداري، الموصل فضاء روائياً : الاعصار والمئذنة وفجر نهاره وحشيء نموذجين، مجلة الأقلام، بغداد، العددان ٧ و ٨ لسنة ١٩٩٢ : ٥٨ .

(٣٩) ينظر : رولان بور نوف وريال أوئيلية، عالم الرواية، ترجمة : نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٩١: ٩٥ .

(٤٠) ينظر : د. ابراهيم جنداري، الرؤى المتغيرة في روايات نجيب محفوظ الذهنية، مجلة الموقف الثقافي، بغداد، العدد ٢٤ لسنة ١٩٩٩: ٧٧ .

(٤١) خليل: المصدر نفسه :١٣.

(٤٢) ينظر : المصدر نفسه : ٥٠-٥١ .

(٤٣) المصدر نفسه : ٥٤ .

(٤٤) ينظر: د. نبيلة ابراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٩٨٠ : ٢٧-٢٨ .

(٤٥) ينظر : سمر روحي الفيصل، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، دراسة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٧ : ٢٩٤ .

(٤٦) ينظر : د. يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩ : ٢٤٧ .

(٤٧) ينظر : ثائر عودة الفلسطيني، دراسة في بنية الايقاع الروائي، مجلة النافذة، بيروت، العددان ٧و٨ لسنة ١٩٩١ : ١٣٩-١٤٠ .

(٤٨) ينظر :د. سامي سويدان، أبحاث في النص الروائي العربي، مؤسسة الابحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦: ٢٧١ .

(٤٩) ينظر : عبد الله ابراهيم، البناء الفني لرواية الحرب في العراق : دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد ١٩٨٨: ١٦١.

(٥٠) ينظر : وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، ط١، دار الكتاب اللبناني، المكتبة الجامعية، مكتبة المدرسة، ط١، بيروت، ١٩٨٥: ١٩١-١٩٢ .

(٥١) خليل، المصدر السابق : ١٨٥-١٨٦ .

(٥٢) قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق، كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨ : ١١٨ .

(٥٣) ادريس الناقوري، ضحك كالبكاء، دار الشؤون الثقافة العامة، ط١، بغداد ١٩٨٦ : ٢١٧.

(٥٤) ينظر: عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، دار السير للنشر، المغرب، ١٩٨٩: ٣٣.

(٥٥) ينظر: المصدر نفسه : ٤٢.

(٥٦) خليل المصدر السابق : ١١٣.

(٥٧) المصدر نفسه، ٣٧.

(٥٨) ينظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٧٩ : ١٠٠.

(٥٩) ينظر: د، فاتح عبد السلام، الحوار القصصي : تقنياته وعلاقاته السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٩: ٢١.

(٦٠) ينظر: د. طه عبد الفتاح مقلد، الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون، مكتبة الشباب، دار الزين للطباعة، المنيرة، ١٩٧٥: ١١٨.

(٦١) ينظر: عبد السلام، المصدر السابق : ٦٣.

(٦٢) خليل المصدر السابق : ٤٣-٤٤.

(٦٣) المصدر نفسه : ٣٣-٣٤.

هواجس الذات وسؤال البكاء
قراءة في نص (القصيدة) للشاعرة بشرى البستاني

د. إخلاص محمود عبدالله*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٣/١٢/٣ تاريخ قبول النشر ٢٠١٤/٣/٢

ملخص البحث :

يتناول بحثنا الموسوم ((هواجس الذات وسؤال البكاء)) نص القصيدة للشاعرة بشرى البستاني على وفق محاور هي :_ الاسئلة والبكاء/_ البكاء وسؤال الجسد والطبيعة/_ البكاء وسؤال التصوف /_ البكاء وسؤال الحب.

ينطلق متن القصيدة تعبيرا عن مكابدة وجودية شاقة، حينما ينهض الحزن والبكاء من صميم بهجة التواصل، سواء على مستوى الإبداع أم على مستوى الفاعلية الجسدية والإنسانية ،وهذا هو الرابط الذي يوحد العنوان بالمتن في هذا النص. ويوظف النص رؤية شاملة مفادها أن القصيدة تمر بمرحلة مخاض الولادة، فهي كالكائن الحي تمر بأدوار وتتعرض للألم العصيب في مرحلة تكوينها، تشرح المعاناة وتكرسها بمخاض الأسئلة البكائية المتنامية في ثنايا القصيدة التي تسكنها ثنائيات مقترنة ببعضها نستطيع أن نلمحها من مقاطعها، إذ تتوزع المقاطع على : المقطع الأول التعبير عن الإنساني بالطبيعي، والثاني الإنساني بالحضاري، والثالث الإنساني بالنوراني ،والرابع الإنساني بالروحي، الخامس البدء بإقفال القصيدة، السادس التحام الشوق بالألم تعبيرا عن استمرار الانفصال على الرغم من حضور الاتصال ،السابع إقفال صوفي –عدم وصول .

* مدرس/ قسم اللغة العربية/ كلية الاداب/ جامعة الموصل.

Hawajes Al –That and Sua'al Al-Buka'a

Lect. Dr. Ekhlas Mahmoud Abdulla

Abstarct

This research's title (Hawajes Al –That and Sua'al Al-Buka'a) which tackles the poem of the poetess Bushrah Al-Bustani. It involves four levels:1.The questions and crying.2.The crying and the body's and nature's question.3.The crying and the mystic's question.4.The crying and the love's question.

The poem describes that there is a hard suffering when the crying and sadness are arising from the festival of communication whether upon creation or the human activity and this is the link which unified the title in this research and gives a comprehensive view which tell us that poem is developing during the time. It likes a human and describes the hardship via a crying questions in the folds of poem which involves dualities connected together and we can see it from its levels.

1.Expressing the humanity by natural.2.Expressing the humanity by civilized.3.Expressing the humanity by luminous.4.Expressing the humanity by spirituality.5. Starting to close the poem.6. Cohesion the longing with pain.7. The mystic enclose.

(القصيدة)

((ماذا يبكيكِ بعيد عناق الأشجارْ ..
وهبوب نسيم الواحاتِ ..
على عرق يتصبب من كتفيك ..!
.....
ماذا يبكيك بعيد سقوط الثمر الورديّ ،
يطرز شرفة رقص أندلسيْ ..
في الفجرِ،
ويغمضُ عند بزوغ الأنهارْ ..

عينيك ..!

.....

ماذا يبكيكِ ..؟

وقد هب البركانْ ..

يجتثُّ عروق الأرض الظمأى

فتدور الأقمارْ..

حول إشاراتٍ تطلقها كفاك ..

عبر ضباب التكوين ..!

.....

ماذا يبكيكِ ..؟

وخصركِ بين يديَّ ،

ونار الحبِّ تضئ الليل السكرانَ

بوجنتك الزهراءِ ،

وقلبي :

كرةٌ في كف الإعصارْ ..

.....

ماذا يبكيك ..؟

وقد سكن الزلزالْ ..

واسترخت فيه غلائلك الذهبيةُ،

فاح سريرُ النارِ،

وأقفل دغلُ الروحْ ..

شباكه خلف يمام مجروحْ ..

.....

ماذا يبكيك ..؟

وهذا الشوقُ الضاري

في منفاهْ
يحفر فوق الأشجار أساهْ ..
ويعري قلب الريحْ ..
.....
ماذا يبكيك ،
وقد هبَّ الشبو الليلي ..
وأوصدت الأبواب ..!)) (١)

مقدمة:

إن تسمية (القصيدة) قد تشعرنا بالبعد النسبي عن النص عند القراءة للوهلة الأولى، ومن هنا نقول إنه لا يمكن أن يفهم العنوان منفصلا عن نصه، ليكون النص انطلاقا لفهم العنوان الذي يؤطره ، ولا شك أننا قد نبعد في مخيلتنا أحيانا ونجافي الحقيقة في التعبير عن دلالات المعاني لكن قد نجد هذا ضرورياً لنقابل العنصر التخيلي عند الشاعرة في طرح مضامينها الشعرية.

لقد كان منطلقنا النظر إلى النص بوصفه جسداً آخر تتمظهر فيه التفصيلات، فالجسد في الشعر ((أرض أخرى تحط فيها القصيدة)).[٢] والقصيدة كالكائن الحي لها ولادة وانطلاقة، والأدب عموماً ((كائن حي متجدد الحيوية متجدد الحرارة، وله كيانه وشخصيته، مثلي ومثلك ،إنها شخصية ممتلئة بالقوة، ولكنها شخصية أميز ما فيها أنها مرنة وليست صلبة جامدة.))[٣]

إن هذه الولادة والامتزاج اللذين يتمان بين عناصر الطبيعة والجانب الإنساني فيها، ما هو إلا استجابة لولادة القصيدة ككائن له حق الوجود، ويترجم الفعل الإنساني عبره بوصفه قادراً على صنع التغيير الذي يريد ،فالقصيدة لها من امتزاج الألم بالأمل، وهي تعاني المخاض إلى أن تنبثق وتولد في رحم الحياة .

إن الذات تقول من خلال قصيدتها، ومن البكاء خصوصاً، إن كل شيء في الحياة وإن كان مفرحاً لا بد من أن يمر بحالات من المخاض المؤلم، فكل شيء في الحياة تعبير عن امتزاج الفرح والألم معاً، وهو نوع من اقتران الإنساني بالطبيعي كذلك .

وإذا ما أخذنا بالمدلول اللغوي للعنوان ف(القصيدة) مأخوذة من (القصد والسير)(٤) وهو يطابق عناصر الحركة والدوران الموجودة فيها من قبل الإنساني والطبيعي.

إن متن القصيدة يشير إلى مكابدة وجودية شاقة ،حينما ينهض الحزن والبكاء من صميم بهجة التواصل ،سواء على مستوى الإبداع، أم على مستوى الفاعلية الجسدية والإنسانية،وهذا هو الرابط الذي يوحد العنوان بالمتن في هذا النص .

والتكرار المترجم للبكاء والواقع بسبع(٧) مرات هو تكرار عددي يؤسس بنية كونية، تنطلق من بؤرة الخلق الأولى في سبعة أيام، ولكل خلق في ذلك اليوم زواله. تعطي القصيدة موسيقى منسجمة ونبرة حزن تشيع في الجو العام للنص، وهي تلجأ إلى لغة البكاء وتستدعيها، لتستخدمها لغة أخرى بجانب اللغة المبثوثة في النص من قبل الآخر. وبهذا نجحت في بث تساؤلاتها في بداية الأسطر بشكل لازمة متكررة لتشير إلى تلازم الحياة بالتساؤل بدءا والمعاناة .

لقد استطاعت الشاعرة أن تسطر همها الوجودي بصور الطبيعة وترجمتها على الذات الإنسانية ، فجعلت نقطة الانطلاقة من الذات ومعاناتها باتجاه الكون والموضوع، ومكابدات الإنسان الثاوية في أسئلته الوجودية الجارحة التي لا يجد لها جوابا كغياب جواب السؤال:(ماذا) الذي ارتكز عليه النص حتى نهايته ، فلقد شكلت حزنها ببكائها نقطة انطلاقة ذاتية نحو المطلق والكون. واستجاب التصوير الشعري لكونية القصيدة، فعبر بالطبيعة (البركان ،الزلزال ، الأشجار ،الأنهار ،الواحات ،الأقمار ،الإعصار ،الريح ...) عن الحركية لرفض الاستقرار، لأن السؤال يستفزه ،فيغادر السكون إلى الحركة .

اتخذت الرموز الطبيعية للإشارة إلى علاقة حبّ كان من المؤمل أن تكون خلاصا، ثم من العلاقة نفسها إشارة لغياب أي خلاص، فالشاعرة تداهم المشهد الشعري الذكوري بصوت أنثوي، فتتصاعد في لغة النص رغبة الاحتواء وجراءة المبادرة في محاولة لدحض النمط التقليدي من العلاقة بين الذكر والأنثى . فوظفت هذه العلاقة المهمة في إطار يتناول معاني شتى، ونستطيع أن نسحبه مثلا إلى المعاني الذاتية أو التجربة الجمعية الوجودية، واستخدمت الحب الذي يؤجج كل شيء ، والرمز الأسمى لمثل تلك المعاني، لتجعله موضوعا تختمر عليه قصيدتها .

١_ الأسئلة والبكاء :

تبدأ القصيدة بتكريس البنية السؤالية (ماذا يبكيك ..؟) وتكرارها في بداية الأسطر يعلن عن لحظة السؤال العميق الذي ينشأ من الآخر، مع عرض الموقف من قبله، ليرسم بذلك الحيرة المترجمة له عن كل ما يحدث عبر هذا السؤال، الذي لا ينشأ من محب متعب عاجز عن ترجمة فعل البكاء، بل هو سؤال العارف بمكنونات هذا الفيض العارم من البكاء .

إن هذه التساؤلات التي ميزت القصيدة تعد مفاتيح للإثراء الدلالي ، ويمكن أن نقول إنها جاءت لتأكيد بنية الاستفهام والحيرة وتعميق الشك، وفي تكرار السؤال لتوليد العلم وتعميق الفائدة المرجوة منه بحثا عن مزيد من المعرفة، ليتجاوز الذاتي ويشمل الكوني ،لأن التساؤل هو لب الوجود الإنساني، فالبكاء وإن كان ذاتيا لكنه مغلف بوجع الكل،لأنه سؤال الوجود، فهو ليس ذاتيا صرفا.

إن التكرار المترجم للبكاء والواقع بسبع(٧) مرات هو تكرار رقمي يؤسس بنية بكائية تعطي القصيدة موسيقى منسجمة ونبرة الحزن المشاعة في الجو العام، فالغرض إثارة نغمة سؤالية من الآخر توازي نغمة البكاء وانفعالات الذات. فالآخر يعمل على مطلب الإصغاء للجسد بوصفه أحد خلاصات الإنسان، ويسعى ضد الصمت [٤]عبر السؤال الدائم والمتكرر لفعل البكاء.

إن هذا الفعل الإنساني النفسي الناجم عن الذات، والمعبر عنه بتكرار الفعل (يبكيك) يزرع في النفس الحزن ،أو الترويح عن الذات بما عرف عن البكاء من إخراج الطاقات السلبية المختزنة والمؤثرة في النفس والتنفيس عنها عن طريقه، ليتحول بدلالته إلى الايجابية، فالحقيقة أن الذات الشاعرة تلجأ إلى لغة البكاء وتستدعيها حين تريد أن توظفها، لتستخدمها لغة أخرى بجانب اللغة المبثوثة في النص من قبل الآخر.

لقد أرادت الشاعرة أن تسجل موقفا من الحياة، وإثبات الوجود عبر عملية البكاء المكتنزة في النص الشعري، وربما أرادت أن تقول : مادام الإحساس موجودا سواءً بكاءً أم ضحكاً، فالإنسان موجود وعملية الحياة مستمرة. لكنها خصت العملية بالبكاء إشارة إلى الحزن الماهوي المشتبك بالوجود ،وبالعدد سبعة(٧) لتؤكد جدل (الفرح–الحزن، التواصل–الانفصال) عملية مستمرة باستمرار الحياة، وهي في حالة من التلازم مع الكائن الحي لا شيء يوقفها،

أو يوقف أسبابها والسر الذي يحققه هذا التكرار العددي هو سر من أسرار الكون والطبيعة، وقصة الخلق والتكوين هو سر من أسرار الوجود الإنساني، وبذلك جمعت بين ما تتناوله القصيدة من فضاء طبيعي وجسدي، ولتبقي الشاعرة حق السؤال مفتوحا، وليبقى لنا حق الاحتفاظ بالسؤال دون أن نلقى إجابة مطلقة، إجابة تشفي الغليل بشفاء العليل بالبكاء المتواصل في النص، وبهذا نجحت الذات الشاعرة في بث تساؤلاتها في بداية الأسطر بشكل لازمة قبلية متكررة، لتشير إلى تلازم الحياة بالتساؤل والمعاناة بدءا .

إن هذه القصيدة تكرس سؤالا واحدا، وتنشر فعاليته في بداية الأسطر معلنة عن الحيرة إزاء فعل البكاء المترجم من قبلها بعد كل ما قيل في مسار الحب وجوه الفعال ذي التأثير الايجابي والحركي الدائم والمكتظ بعناصر الطبيعة لتحمله إلى دائرة الحركة العارمة.

فالشاعرة تسخر الطاقة التعبيرية والدلالية التي تمتاز بها بنية السؤال، للتعبير عن الواقع المتناقض، وما لها من قدرة على الإفصاح عن الداخل من اضطراب وتمزق عبر إثارة جو السؤال المتكرر(٥) . ونستطيع أن نتصور الجانب النفسي القلق الذي تعيشه الذات، وتجعلنا نتساءل أيضا من يسأل من في القصيدة؟

لقد رمت الشاعرة بحيز السؤال على عاتق الجانب الذكوري، وتركت للأنثوي فعل البكاء المتواصل، هل لكون الذات الأنثوية تعيش في حالة مكابدة ملازمة لفعل البكاء ؟؟؟ هل رمت الشاعرة بحيز السؤال على عاتق الذات الشاعرة متيحة لها مساءلة القصيدة؟ هل كانت القصيدة هي التي تبكي بعيد كل اكتمال في تشكيلها، ولماذا..؟ أ لأنها تدرك أن كل اكتمال مصحوب بالانطفاء؟ أم أن ذلك الاكتمال غير قادر بطبيعته الإنسانية على منحها المراد من خلاص يحررها كليا من أعباء ما هي فيه من سجن الجسد ومعاناة رصد الأغيار وضيق أفقهم وعتمة بصيرتهم؟

إن نبرة السؤال المتكرر تأتي كأنها انبثاقات خاطفة تسعى إلى تحريك منطقة التلقي وإثارتها، لمعاينة السؤال معاينة بصرية وذهنية تتيح له فرصة إدراك الجوهر الذي تختزنه بنية السؤال(٦) لكن المثير في النص انه غيب كل الملامح، التي من شأنها الإشارة إلى أية علاقة تدل على جواب، أو أسباب، مما ترك السؤال مهيمنا على النص بكامله.

٢_ البكاء وسؤال الجسد والطبيعة :

إن براعة الشاعرة في إضفاء الإشراق على الصورة الشعرية بهذه الفنية، لا تصدر عن دقتها في اختيار موضوعاتها من الطبيعة (الريح/الأشجار/الثمر/....)، وهي موضوعات وعناصر تكاد لا تخلو منها قصيدة، لكن نسق العلاقات التي تربطها بالرمز، وطبيعة الأنظمة المتبعة في التنسيق هو ما يحقق للشاعرة خصوصيتها، وتلك الفرادة التي تضفي هذا الثراء على قصيدتها.

فالطبيعة تسهم إسهاما فعالا في تحريك مغزى النص، وتوجيه المتأمل إليه بستار تظهره ببراعة مجسدة بأنهارها وبراكينها...، فتأتي معبرة عن الذات في حالة هياجها وهدوئها وثوراتها وإشاراتها الشديدة، فهي تجعل صورة الطبيعة موائمة للكيان النفسي للشخصية إذ تغدو عاملاً مهما في الكشف عن العواطف والأحاسيس الداخلية(٧).

توظف الشاعرة الطبيعة في صورة معبرة عن عمق الأحاسيس وذروتها بتعبير تجريدي وهي تخاطب الذات، أو بتقنية الخفاء، وهي تتلبس قناع الرجل :

ماذا يبكيك..؟
وقد هب البركان..
يجتث عروق الأرض الظمأى،
فتدور الأقمار..
حول إشارات تطلقها كفاكِ...
عبر ضباب التكوين..!

فصورة الطبيعة تتخذ إطاراً رمزياً للتعبير عن مشاعر الحب بمعناه الواسع، إنها تسقط فعل التواصل والعمل على اجتثاث الظمأ من أعماق الكون ،وعلى الأرض بالتحديد حين يتوحد الرمزان المرأة/ الأرض، راسمة صورتين واحدة بالبنية السطحية تشكلها اللغة، والثانية في البنية العميقة، وهي الصورة التي تخفيها مكنونات اللغة في ميتافيزيقتها .

وقد سكن الزلزال
واسترخت فيه غلائلك الذهبية،
فاح سرير النار،

وأقفل دغل الروح..

شباكه خلف يمام مجروح..

تتعمق روح الشاعرة في محفزات البكاء، فاليمام لا يبكي بل الروح الشعرية هي التي تبكي، وتأخذها إلى تأمل عميق للفعل(أقفل)، فالانزياح في فعل (أقفل دغل الروح) يعبر عن تراكمات من العتمة الداخلية الموغلة، وان الشاعرة هنا تعكس القلق الذاتي والوجودي، فتسرده لنا بصور الطبيعة التي لا تعرف الاستقرار، فكذلك الروح الشعرية لا تعرف لها قرارا ولا سكينة إلا في الشعر.

إن تأصيل فعل العذاب على الرغم من حضور كل عوامل الخصب والاتصال، هي صورة متكاملة لامتزاج هذه المعاني وتفاعلها عبر التواصل المستمر بين الذات والآخر، بعدما سكنت شدة العاطفة وهياجها، ليستقر فيض الحب في القلب بسكون الزلزال، وتقفل الروح شباكها لتحكمه على القلب المجروح الذي شبه ما به من ألوان المعاناة والأحلام المحبطة باليمام حامل السلام والحب . واللافت المثير للانتباه هو غياب الآخر كليا كشخص وصفات في البنية السطحية مع حضوره الكامل في التجربة، وفي تحريك الفعل منذ الإشارة الأولى وحتى نهاية الشوط .

لقد استطاعت الشاعرة أن تسطر همها الذاتي والوجودي بصور الطبيعة، وترجمتها على الذات الإنسانية عبر تفعيل مادة البكاء وتكرارها المتواصل بداية الأسطر، وعلى فترات واسطر متباعدة وغير متتالية، مما أعطى صفة الاستمرارية للبكاء، وبين سبب ما يحدث من لحظات تأزم الذات، واختلاط المشاعر المحتدمة في الأمور الحميمية والمحزنة معا، حتى لا تستطيع الذات جمع قواها بعد كل عملية بكاء لتتناولها أخرى، وكأنها زخات مستمرة ، وهذا ما عبرت عنه بتباعد عملية البكاء التي ترد بعد كل مقطع ما بين الأسطر الشعرية وتحدها بالنقاط لتفصلها عن غيرها، أو لتشرح بذلك الحالة الناجمة عن عملية البكاء دون غيرها، وإيضاحا للصورة المرسومة عبرها ..فالشاعرة تجعل نقطة الانطلاقة من الذات ومعاناتها باتجاه الكون والموضوع ومكابدات الإنسان الثاوية في أسئلته الوجودية الجارحة التي لا يجد لها جوابا، كغياب جواب السؤال:(ماذا) الذي ارتكز عليه النص حتى نهايته ،فقد شكلت حزنها ببكائها نقطة انطلاقة ذاتية نحو المطلق والكون.

إن اللوحة العامة للصورة المرسومة بها القصيدة تشكل الطبيعة، وتخالطها الصورة الذاتية الإنسانية مع الوهج النفسي والمؤثر الذاتي، وانفعالات النفس في كل مقطع من مقاطع القصيدة.

فالجسد يخضع لنبض العالم النباتي الطبيعي، إذ يقترن الجسدي بالنباتي، وإن أسماء الأعضاء الداخلية في الإنسان تستمد من المصطلحات النباتية، وهي تشبه بعضاً من النباتات، وإن الجسد يبدو كشكل نباتي آخر، إذ يعد العالم النباتي امتداداً طبيعياً للجسد[٨]، فالجسد يمتزج بالطبيعة، والإنسان بواسطة جسده على اتصال مع مختلف الميادين الرمزية التي تعطي معنى للوجود الجماعي، ((ويتكون الكون من المواد نفسها وجوهر خليط الإنسان من العناصر الأربعة التي يتكون منها كل شئ موجود ،

الماء ⟵ الدم وسوائل الجسد

الأرض ⟵ الهيكل العظمي

الهواء ⟵ النفخة الحيوية

النار ⟵ الحرارة الحيوانية)) [٩]

ومن هنا نعرف سر الارتباط الوثيق بين الجسد الطبيعي والإنساني. كما أن هناك حركات إنسانية تقابلها حركات للطبيعة، وظفتها لتمزج الإنساني والطبيعي. نراها في :

الحركات

إنسانية جسدية طبيعية/ نباتية

_ الحركات :

١. شرفة رقص أندلسي ⟵ فاعلية الرقص ⟵ حركة ودوران ⟵ تراث يكتنز التصوف ومجد التراث والحضارة والجمال وعوامل التفوق .

٢. عند بزوغ الأنهار ⟵ حركة الطبيعة ⟵ دوران الليل والنهار ⟵ انطلاقة الضوء وعوامل الخصب

٣. العين ⟵ تحول حركتها إلى الإغماض عند النهار، وفي الإغماض نوع من

فقدان التوازن وعدم السيطرة، والمعرفة لما حول الذات، لكن ذلك يتم في النهار بدلا من الليل

وقت السكينة، وهنا نلمح التحول لعنصر الوقت كما هو معروف أن النهار مركز الحركة قد أصبح مركزا للراحة .

٤. فتدور الأقمار ← معربةً عن حقيقتها الطبيعية في الكون .

٥. حول إشارات تطلقها كفاك ← لكنها مرتبطة بالكفين مركز الحركات ونقطة انطلاقها.

٦. وخصرك بين يدي ← الخصر مقابل اليدين للآخر، وهو رمز للحركة، وهنا لإعطاء الثبات نتيجة اقترانه باليدين، ويعطي اليدين مركز حاسة اللمس الفاعلية عبر نار الحب.

٧. قلبي كرة في كف الإعصار ← القلب ← التقلب والتغير وعدم الركون لحالة واحدة.

كف ← الإعصار

إن القلب وما يحتويه من حركة ضخ الدم، وفاعليته المستمرة للجسد، ومن حركته هذه تحول إلى حركة أخرى بتشبيهه ب(الكرة) يرتبط بعنصر الحركة الطبيعية(الإعصار).

وإن كل حركة انتشار في النص تقابلها حركة انكفاء سواءً كان على المستوى الإنساني – الحب، أو المستوى الطبيعي والنباتي.وإن الجمع ما بين الإنساني والطبيعي وامتزاجهما في تعبير واحد، جاء لتأكيد فاعلية البكاء وارتكازها عليهما، وإن أفعال التغير والتأثير وعناصر الأزمة حدثت عندهما، فقد تتأمل الذات كل ما هو محزن وسلبي في الحياة، فعوامل الاتصال تؤول إلى انفصال وفرح التواصل يؤول إلى فرقة، لذلك تصطدم ب(البكاء)، على الرغم من كل التغيرات التي قد سطرتها، لأنها تغيرات لا تنبع من العمق، أو لم تخترقه لتغيره ،بل هي تغيرات مؤقتة ذات لحظات وتنتهي، وقد تحيل على عوامل السلب .

إن المرأة هنا رمز للروح لا للجسد، لكن عبر التحكم الجسدي للذات يظهر في المقابل سلطة الآخر من امتلاك الحب، وتظهر المقابلة الجسدية بين الاثنين. نجد ذلك في العناصر الجسدية: (كتفيك/عينيك/ كفاك/ خصرك/ وجنتك/ غلائلك). وقد جمعت أفعال التغير ومركزها القلب نقطة الانطلاقة الداخلية.

فاعلية الدوران : إن عناصر الدوران في القصيدة تتركز في :(١/ رقص٢/ الأرض٣/ تدور الأقمار٤/حول إشارات ٥/ السكران ٦/ كرة ٧ / الإعصار). وهي عناصر تطابق دوران عملية البكاء في النص مجسدة لدوران الأيام السبعة، وفي هذا الامتزاج إشارة إلى السلطة الكونية التي ترتبط بالمقدرة الإنسانية والجسدية.

فالدوران يعزز الحركة الإيجابية، لأنه يشكل دائرة مكتملة، لكن النص يكرس الفعل السلبي ،ويطابق عملية البكاء ودورانها _السبعة_ في النص دوران الأرض الإيجابية، وحركة الليل والنهار والأقمار الايجابية من التأثير على المياه كما هو معروف .

_التحولات : ونجد جملة من التحولات التي تظهر كما في:

١. تحول من الرمز الأساسي الأرض إلى المرأة ومن النباتي إلى الإنساني.

٢. تكرار بنية التساؤلات وثباتها في بداية الأسطر وبواقع (٧) مرات.

٣. التحول من الفضاء الداخلي إلى الخارجي ومن الجسدي إلى الطبيعي والتحول بالمدلولات مثل: قلبي ⟷ كرة .

فاح سرير النار ⟷ تحول المكان الثابت إلى قوة طبيعية محوّلة (النار) .

الشوق يحفر فوق الأشجار أساه ⟷ تحول الشوق إلى إنسان (الجزء إلى الكل).

٤. التحول بالألوان .

وبعد هذا كله نلاحظ أن النص يطال العمق الجسدي، لأنه طال العمق الشعوري، ومس الأحاسيس. واتخذت البكاء بوصفه فاعلية من فاعليات الجسد والروح معا".لأن لغة البكاء التي استخدمتها الذات هنا هي لغة مزدوجة، تجمع تقابلات الروح بالجسد بالصمت الموحي لا بالكلمات، بل بالإيماءات والإشارات التي تطلقها من الجسد باتجاه الروح .

((فالجسد قد يكشف ما تخفيه اللفظة ،ويعبر بطريقة غير مباشرة بل وهو أهم وسيلة من الوسائل غير المباشرة في التعبير ...والتعبير الذي يتجاوز كل لغة تشترك فيه لغات العالم، لأنه كلام حي عضوي .))(١٠)

فمارس الآخر سلطته عبر اللغة والكلام ،والذات مارست فعل البكاء، وهو مكمن انطلاق إشارات نفسية وإيحائية وصوتية،هذا الفعل الباكي الذي يضفي معنى الانكسار والألم، فكان حضور الجسد حضورا فعالا يتعلق بمعاناة الذات والبوح عنها .

٣_ البكاء وسؤال التصوف :

جاءت القصيدة بزخم من التساؤلات تطرحها على نهج الصوفي المتأمل، لكل مراحل الحياة تاركةً لنا فرصة البحث عن إجابة نسد بها فجوة هذا الكم من الأسئلة عن مسؤول عنه واحد هو سبب البكاء، لتجعلنا نحاور النص ونتساءل معه عن سبب كل ما تعانيه الذات الشاعرة ،مما خيم على أجواء النص المفتوح على الأسئلة، ولا ننسى أن التساؤل سمة من سمات الصوفي.

إن الشاعرة استخدمت علاقة ضبابية بين الرجل والمرأة في إذكاء مشاعر الحب والتوحد، فالنص وإن يظهر مشاعر الحب الذاتية، لكنه يتخذ ذلك الظاهر ستاراً وسطحاً يخفي ببواطنه العميقة الدلالة الصوفية المتجذرة منذ القدم بالاستغراق في حب كل شيء . فسؤال البكاء هو سؤال تأسيسي لما تحمله ويمر عليها من حالات فقد ونكبات مستمرة، وخصتها ب(٧) مرات إشارة إلى العمق الحضاري ب(٧) آلاف سنة من الحضارة في العراق . وبسبعة أيام هي أيام الخلق التي كانت تحمل أسئلتها من خلقها الأول، لأنها تدرك أنها مخلوقة للزوال. فتحمل القصيدة في مستواها المباشر دلالة سلبية، بما يبثه البكاء من إشارة إلى تعميق الحزن المخفية أسبابه، وما تتسم به الصورة الشعرية من طابع صوفي يتجلى في التساؤل والغموض وغياب الجواب.

إن اقتران الطبيعي بالإنساني في النص يترجمه الصراع لدى الصوفي بين الطبيعي الأرضي والروحي الحب بين المحدد وبين المطلق[١١]. لكن هل كان الحضور الأنثوي حضورا لذاته أم مجرد جسر للعبور نحو فضاءات أخرى وهذا ما نعرفه إذا رأينا كيف يتحول الرمز الأنثوي الحب إلى أرض ووطن. فالمرأة وطن الرجل ومصدر أمنه، وفي النص يحدث نوع من التراسل بين الإنساني والمكاني، والرمز يتجسد في صورة بين الروح والجسد، فلم يعد بالإمكان الفصل بينهما، فالروح المرأة والجسد الأرض –المكان– الطبيعة.[١٢] وهذا ما قلناه سابقاً من أن المرأة رمز للروح لا للجسد، ولذلك لا يشعر الرجل بالأمن والاستقرار وهي في حالة بكاء، بل يؤكد بالجملة الاسمية أن قلبه كرة في كف الإعصار :

((ماذا يبكيك

وخصرك بين يدي،

ونار الحب تضئ الليل السكران

بوجنتك الزهراء

وقلبي:

كرة في كف الإعصار))

فالأنوثة هي الأصل الثابت الذي يستوعب التغيرات الجارية عليه، ومن ثم يتحرك بالخصب، ليتواصل نحو زمن لا متناه : (خصرك بين يدي، ووجنتك الزهراء) بينما قلب الرجل (كرة في كف الإعصار) .

وفي النص يتركز البعد الصوفي من الاستغراق في الحب والسكر، وهو رمز من رموز الصوفي، وأخيراً عدم الثبات على حال، واهتياج العاطفة وعدم سكونيتها المتمثلة بـ (قلبي كرة في كف الإعصار) مع مشاركة العناصر الطبيعية فيها، لتنهي هذه الصورة الصوفية بقولها في الخاتمة :

((ماذا يبكيك،

وقد هب الشبو الليلي...

وأوصدت الأبواب..!))

وهي خاتمة تبتعث عبرها رسالة صوفية عاطفية، إذا ما عرفنا أن من سمات الصوفي استخدام العنصر الطبيعي النباتي الشديد الحضور، ولا سيما ما كان منه زكي الرائحة ، وهي رسالة كونية باتجاه الإنتشار الكلي زمانا ومكانا، وتحررا من كل القيود نحو التوحد بالذات العلية التي هي الحب الذي لا يعرف الانفصال .

((وهذا الشوق الضاري

في منفاه

يحفر فوق الأشجار أساه

ويعري قلب الريح))

إن من سمات الصوفي الحب وشدة الشوق والحنين لمن يحب، فهو الميثاق الذي يربط الرجل بالمرأة المنشودة والغائبة دوما في العرف الصوفي، وينزع إليها بوصفها الجزء المفتقد

من الإنسان الكامل، وكأنه الإنسان الأرضي، ولذلك دخلت المرأة مع الرجل في علاقة الفاعلية والإنفعال[١٣]، وهذا ما يفسر حضور المرأة في النص بوصفها الأرض _الرمز_ والروح أيضاً.
والشوق العنيف يقوم بعمليتين (يحفر/ يعري)، فهو يحفر فوق الأشجار موطن الذكريات ورمز الزمن الوجودي، يحفر ما مر من ويلات الانفصال وعذاب البعد يسجلها خالدة في الذاكرة ، ويأتي الحفر لتعميق الدلالة ،وهي عملية داخلية وحركة للأسفل، كما (يعري) والتعرية حركة خارجية تعمل على الكشف والإزالة، وكلتاهما من طرق الاستخدام الصوفي في التعرية والكشف عن الحقيقة وصولا إلى التجلي والظهور..

فالشوق يسبق الريح بقوته لما هو معروف من أن الريح هي التي تعري الأشياء وتكشفها، لتظهر ما بداخلها، فالصورة هنا معكوسة، فاستخدم الشوق ليكشف ويعري قلب الشر المرموز له بالريح ،وهي مقابلة بين عمق الانتماء وعمق الشر،أي العمق الإنساني المشار إليه بـ(الشوق الضاري في منفاه)، والعمق العدواني المشار إليه بـ(قلب الريح)، أما موطن الشوق (في منفاه) والنفي داخل الوطن الواحد واضطراب التوحد لما يصاحبه من تغيرات، فالإنسان أصبح عبارة عن شوق كله، وتحول الكل إلى الجزء والجزء إلى كل للمقابلة بين محنة الانتماء الإنساني لوجوده وحيرته فيه. فبقدر ما كان هذا الشوق ضارياً أو قوياً، فإن شوق المنفي هو الأشد ضراوة ،لذلك اختارت (المنفى) للدلالة على عمق هذا الشوق .

إن الصور المستخدمة في النص أغلبها معكوسة، تكرس الشعور بفقدان كبير لم تطلعنا القصيدة على سره ، وتضاعف دلالة البكاء والشعور بالحزن، وهي إشارات صورية في كل سطر شعري تطرحها الشاعرة في (فاح سرير النار) و (يعري قلب الريح)، فالنار وسيلة لتطهير الذات من الجراحات في خضم معاناتها، لتعلن عن عملية القفل وسد منفذها، لكن القلب يبقى مجروحاً ومفتوحاً للسلام برمز اليمام المجروح مع ملاحظة عملية اللعب بالألوان الطبيعية في:

الثمر الوردي	اللون ←	الوردي
غلائلك الذهبية	←	الذهبي
سرير النار	←	الأحمر
يمام مجروح	←	الأبيض + الأحمر

ونجد في النص رموزا طبيعية وإنسانية، وفيها مقابلة بين عوامل السلب والإيجاب،التي تتسع لتحولات الحب الصوفي بين أحوال ومقامات، وإن أول دلالة تشير إليها هي حالة السقوط للثمر الوردي إشارة إلى ازدهار الحضارة وعنفوانها في الأندلس التي صارت رمزا للضياع العربي، فهي لم تستمر طويلا ،إذ شبهت بالثمر الوردي الذي سقط قبل أوانه، فعملية الترف واللهو بالملذات أدت إلى السقوط ، بالرغم من ازدهار حركة التصوف هناك، وكأنما معنى السقوط استخدم للتماهي مع ما هو معنوي (الرقص الصوفي)، وتستمر عملية الفقد المستمرة بالبكاء والجنة المفقودة تترجم بواقع جديد .

ثم تنتقل إلى العنصر الإيجابي بـ(هب البركان) فقد هبت الثورات، لتعلن عن الأحاسيس المتقدة تجاه ما يحدث، وتؤكد هذه الدلالة وتدعمها(خصرك بين يدي) من استعادة امتلاك الأمر والسيطرة على مجرياته كون الخصر المركز الذي يمثل الوسط الجسدي للإنسان، فهو يقابل الوسط الطبيعي الكوني الذي لا يحدث التوازن إلا باستقراره وانسجامه مع ما حوله .

و(كفاك) رمز الإنتاج والتأثير والعمل ودوران العالم حول تأثيرها خلال سنوات من إنتاجها العلمي والحضاري المشهود، فهذه الحضارة هي المركز والكل يتبع تأثيرها، فضلا عن كونها أداة الملامسة الإنسانية، وإن (الإشارات) النابعة من اليدين هي رمز للصوفي العارف بالمكنونات، واستخدمت رمزين من رموز الطبيعة (البركان/ الزلزال)، فأولهما ايجابي، والثاني سلبي يشير إلى المحن والنكبات، لنصل إلى (غلائلك الذهبية) فهي رمز المرأة، والسنابل رمز الخصب الذي فارق الإنسانية إشارة للفصل والسلب، لكنه تحول إلى حصار داخلي ونفسي وهذا أخطر.

إن الرموز تضافرت لمواجهة عوامل الانفصال، إذ كانت هي السبب الحقيقي للبكاء الذي لا ينتمي إلى وطن أو عمق حضاري تأريخي، كما وتضافر (الشباك/الباب) في عملية (أقفلت/أوصدت)، فصحيح أنها أوصدت الأبواب، لكن الجرح بقى داخلياً وبقى رمز الشر يقطن فيه/فيها ظلماً وعدواناً، فقد تحول الخطر والقيد إلى داخلي يفرضه الواقع ذاته الذي لا سلطة للفرد على تغييره .

٤ _ البكاء وسؤال الحب : الحب / المرأة

إن حضور المرأة في شعر (بشرى البستاني) يكتسي مذاقاً خاصاً يمنح القوة المؤثرة والفعالة في الآخرين، وتدعمها بالغموض، لإثارة الأسئلة المتولدة نتيجة ذلك. فالخطاب هنا ما بين رجل وامرأة لكن الحوار متولد عن الرجل/الآخر، أما المرأة فتمتلك صيغة أخرى توقف الكم الهائل من التفسيرات، لتولد في النص مجرى أحداثه وتساؤلاته عبر عملية بكائها المتواصل. لكن هذا الخطاب في الأصل هو خطاب أنثوي تقوده ذات شاعرة متمكنة تعكس دواخل المرأة، وما تريده على لسان الآخر-الرجل، لتترجم لنا هذا الداخل بواقع جديد بلسان الرجل ، وكأنها تتلبس الرجل قناعا_كما فعلت في مخاطبات حواء_ (١٤) لتجعل منه كاشفا ورائيا كما تتمنى له أن يكون، إذ تحتاج أن يلتقط أعمق الإشارات في مشاعرها، فالمرأة في مثل هذه القصائد هي المركز، وأساس الأنظمة والإشارات التي تنطلق منها عبر الكون باستخدام لسانه الناطق، وفي الحقيقة تعكس غير هذا عبر بكائها المتواصل الناجم من تأثيراته.

إن المتأمل في القصيدة قد يجدها تعبر عن صورة واضحة للطبيعة وللذات مرسومة بأسلوب سهل،لكن عند التأمل العميق يتضح غير هذا. بل نجد فيها إغراء بالسر الذي يغلفها ويطبعها بهذا الطابع ،وقد يشعر المتأمل لأول وهلة بالجو الجميل المرسوم من أجواء الطبيعة لكنه يصطدم بعملية البكاء،مما يشعل بداخلنا نار الرغبة في معرفة السر الكامن فيها ،هي صدمة تحدثها فينا أو محاولة لتفجير كوامن المشاعر التي ارتضت بالسكون. وهكذا تضعنا الأسئلة البكائية أمام صدمة تحدثها فينا لنترجم بعدها واقعة حدوثها وسببها.

وجاء البكاء رغبة في طلب التوازن والهدوء النفسي، وما كانت تبحث عنه الذات وتتمناه بقرب الآخر، لكنها صدمت بأشياء لا تتحقق بل وباضطراب أكبر يعرقل هدوءها الذاتي، ومن ثم الكوني، أو هي محاولة للمعالجة، أو لفتة إلى الشيء _الحب_ الذي تركناه عمدا وبيده الخلاص ،أي هي محاولة للبحث عن ما ينقصنا ونحتاجه في الآن، فالقصيدة تسعى لسد النقص الذي نعانيه بدءا من علاقة الحب بين رجل وامرأة وانتهاء بالحب في كل شيء . فالذات ترنو إلى حبها الذي يحتويها وقدم لها العطاء الدائم، وعينها تبكي على الواقع الخارجي الذي تحيا فيه ، فحياتها الداخلية، وإن كانت مؤمنة لكن ما هو خارجي يبكيها

ويقلقها، وهذا ما يجعلها غير راضية عن ما يحدث وغير مستأنسة بحبها واطمئنانها الداخلي، لأن الخارجي يهدد أمن الداخلي ،فهي تراقب ما يحدث خارجا من أمور تدمي القلب قبل العين، وهذه الثنائية التي تحاول الشاعرة الوصول إليها هي ثنائية (الداخل والخارج) وعكس الواحد على الآخر في إطار ثنائية (الرجل/المرأة) .

نجحت الشاعرة في توظيف هذه العلاقة المهمة في إطار يتناول معاني شتى ،ونستطيع أن نسحبه إلى الذاتية أو الجماعية الوطنية، واستخدمت الحب الذي يؤجج كل شيء ، بوصفه الرمز الأسمى من المعاني، لتجعله موضوعا تختمر عليه قصيدتها .

إن حضور الآخر هنا بفاعليته الحركية وإنتاجاته الشعورية، أضفى على النص حجة للتساؤل عن مدى جدوى البكاء من قبل الذات، وما حجم العطاء الذي يقدمه إلا تعزيز لبذله المستميت في إرضاء الذات ودوره الذي يمن به عليها، جاء هذا من باب المعاتبة والمساءلة عن ما ينقص الذات، فتجعلها تنهمر في بكائها. فما الذي يبكي الذات وهذا التواصل من الحبيب قائم. لكن يبقى التساؤل هل هذا فعلا" كل ما تحتاجه الذات لتستقر وتطمئن في مخدعها!!!

إن ما تريده الذات ليس بهذه السذاجة بل هو مطلب وجودي عميق يقبع في داخلها ، ويحتل مكان توجعها، لأن النص يعطينا بذرات الأنا والآخر والزمان الحركي ،لكنه لم يعمق الحس المكاني بل عرضه بالشكل الجسدي، إشارة إلى الاستلاب الجسدي قبل المكاني، ليعطينا بعدا" متخيلا" عن ما تفقده الذات فعلا" ((المكان)) الآمن الذي تنشده فيكتمل حبها ،وهو نوع من التوحد ما بين الجسد والمكان يدل على الحب المتبادل بينهما حد الامتزاج والتوحد .

أما عن معنى العنوان (القصيدة) فهو من (القصد) وهو إتيان الشئ وقصده أي نحا نحوه والقاصد القريب والقصد بين الإسراف والتقتير (١٥)، وهذا ما يفيد في تعميق دلالة الحب، وما جاء في النص، فقد كان تفاعل الذات مع الآخر واضحاً بدليل صيغة بكائها،وان ردة فعلها عن طريق البكاء تأتي تعزيزاً لإحساس الفقد، أو الشعور به، أو تعبيراً عن لمحات من الحب المستلب نتيجة تقلب أفق التوقع بصدمة الواقع الفعلي الذي يغلب المتأمل والمرسوم .

إن النفسي يحيا ويجسد فضاءه بالجسدي من خلال البكاء، فالاحتفاء بالأنوثة يشكل فعلا جوهريا يشتبك مع نبض الحياة، والأعضاء تشكل النبض الحي للروح الإنسانية، والكشف

للظواهر النفسية من خوف أو تأمل أو توتر[١٦] . وقد اتخذت الشاعرة الرموز الطبيعية للإشارة إلى علاقة حب والمشاعر المتأججة، ثم من العلاقة نفسها إشارة لغياب أي خلاص .

إن الشاعرة تداهم المشهد الشعري الذكوري بصوت أنثوي، فتتصاعد في لغة النص رغبة الاحتواء، وجرأة المبادرة في محاولة لذكر النمط التقليدي من العلاقة بين الذكر والأنثى.وحضور الجسد في النص يساعد في تعميق دلالة الحب واستكمالها، فالجسد يبني دوره في الحياة والاستمرار، أو الخصوبة والخلود[١٧] والحب والجنس في النص دلالة على فعل انبعاثي كوني، يحيل إلى شبكة من الدلالات المرتبطة بالنمط الأصلي للأرض(آلهة الأنثى)، فيكون الجنس فعلا كونيا وولادة جديدة للأرض [١٨].

هذا إذا ما نظرنا إلى المحور المحرك في النص .لكن الجنس الذي يمارس حضوره يتعرض للتمويه وإيماءات اللغة، والترميز بين المرأة والأرض رمزها المعروف في الأساطير القديمة ، لذا نجد استبدالاً لما هو واقعي وإحلال الرمز بديلاً بسبب ضغط الشعرية والعلاقة القائمة بين الرمزي والجنسي[١٩]. والبنية الثقافية الدينية التي كانت ناظما للحياة في بلاد سومر حيث النصوص فائضة بالحنين للجسد، وإن ممارسة العلاقة مع الجسد هي طقس مهم وحيوي من طقوس دينية توفر للفرد القديم أماناً، وتشعره بالاطمئنان الروحي، فالجنس أحد وظائف الجسد.[٢٠] والإشارات التي تؤيد هذا المحور وتدعمه نجدها في :

_ الإشارات والمحركات في النص:

١. عناق الأشجار ← الشجرة مظهر من مظاهر الحياة المخصبة التي ذكرت في الأساطير القديمة .

٢. الرقص ← إشارة إلى الانعتاق من القيود، والرقص رمز صوفي وإشارة للحيوية والإغواء. [٢١] والرقصات كانت تعبيراً عن القوة والقدرة وتمثيلاً رمزياً للجنس.[٢٢]

٣. الإشارات ← الاشارات والحركات عن الجسد تعبير يحمل في ذاته معنى . فتعبيرات الجسد تشكل وحدات مترابطة عضوية حية وذات دلالات عامة ،أي أن هذه الدلالات لحركات الجسد تفصح عن ما هو نفساني وتملك كل الخصائص التي يمتلكها الكلام اللفظي . [٢٣]

٤. الحضور الجسدي ←——— (كتفيك / عينيك/ كفاك/ خصرك/ بوجنتك الزهراء).

٥. (الشوق الضاري/ يحفر_ يعري) ←——— التعرية تعني الكشف، لتبيان الحقيقة بوصفها وسيلة من وسائل الإظهار وإزالة الغموض، واستخدم أفعال الشوق أفعالاً إنسانية (يحفر_ يعري)، فاتصف بـ (ضاري)، وهو(منفي)، وكأن الشوق يجسد صورة الإنسان الذي يعاني تباريح الهوى .

الخاتمة :

إن خلاصة ما يمكن قوله في هذه القصيدة أن عوامل التواصل كلها التي توفرت في النص، لم تستطع أن تمنح الذات الشاعرة أي خلاص، ولم تكن ملاذا لها من غربة الروح وسجن الجسد، مما يؤكد أنها تسعى للخلاص من أغلالها، ومن القيود التي تكبلها منطلقة للتواصل مع الذات الإلهية في مطلقيتها ،ورحابة حنوّها وفيضها النوراني بعيدا عن العالم المادي الذي خرب روح الإنسان ودمر حياته، فالقصيدة صوفية تتطهر بالوجد وشدة اللواعج وفيض الدموع، وهي تسعى لذلك الخلاص بجهاد ومكابدة .

الهوامش:

(١) أندلسيات لجروح العراق ، بشرى البستاني : ١٠٤_١٠٦ .

(٢) طريق الشعر والسفر ،أمجد ناصر، ضمن كتاب الشعر في الأردن :٤٢٢ .

(٣) الأدب وفنونه ، د.عز الدين إسماعيل :٢٨ .

(٤) ينظر: لسان العرب ،ابن منظور، مادة (قصد) :٢/٧٣٧ .

(٥) ينظر: انتروبولوجيا الجسد والحداثة، دافيد لوبروتون، ترجمة محمد عرب :١٢٣ .

(٦) ينظر: القصيدة المركزة ووحدة التشكيل، علي صليبي الموسوي، رسالة ماجستير:٩٠.

(٧) ينظر: المصدر نفسه : ٩٣ .

(٨) ينظر : التوظيف الفني للطبيعة، د. صالح هويدي : ٢٢ .

(٩) ينظر: انتروبولوجيا الجسد والحداثة : ١٤ .

(١٠) المصدر نفسه : ٢٤ .

(١١) تأويل لغة الجسد ،علي زيعور، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٥٤ _٥٥، لسنة١٩٨٨ : ٦٨ .

(١٢) ينظر: الحضور الأنثوي في التجربة الصوفية . www.aljabriabed.net/n40_04korach.htm

(١٣) ينظر: ثنائية الأرض والمرأة، عبد العزيز موافي : ٦٣ .

(١٤) ينظر: الحضور الأنثوي في التجربة الصوفية. www.aljabriabed.net/n40_04korach.htm .

(١٥) ينظر: مخاطبات حواء ، بشرى البستاني :٩

(١٦) ينظر: لسان العرب ، مادة (قصد) :٢/٧٣٧

(١٧) ينظر: نقوش الحب والجسد . http:\\bustani.wordpress.com

(١٨) ينظر: انتروبولوجيا الجسد والحداثة : ٥٥ .

(١٩) ينظر: مفهوم الرمز الديناميكي وتجليه في الشعر الفلسطيني الحديث، مجلة الهدف، العدد ١٢٧٦ ، لسنة ١٩٩٨ :٣٦ .

(٢٠) ينظر: انطولوجيا الجسد في الشعر السومري، ناجح المعموري ، مجلة الأديب، العدد١٢٠ ، لسنة ٢٠٠٦ : ٤ .

(٢١) ينظر: المصدر نفسه .

(٢٢) ينظر: انتروبولوجيا الجسد والحداثة :١٣١ .

(٢٣) ينظر: الحب والجنس : ٨٨ .

(٢٤) ينظر: الجسد، هشام ألحاجي : ٥١_٥٩ .

المصادر والمراجع : الكتب

١. انتروبولوجيا الجسد والحداثة ، دافيد لو بروتون، ترجمة محمد عرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١ ،١٩٩٣.

٢. الأدب وفنونه ، د.عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط٧ ،١٩٧٨ .

٣. أندلسيات لجروح العراق، بشرى البستاني ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠ .

٤. التوظيف الفني للطبيعة في أدب نجيب محفوظ، د. صالح هويدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢.

٥. الجسد، هشام ألحاجي، المطبعة الأساسية، بن عروس، تونس، (د.ت).

٦. الحب والجنس عند السلفية والامبريالية، محمد كمال اللبواني، رياض الريس للكتب والنشر،ط١، ١٩٩٤.

٧. الشعر في الأردن، طريق الشعر والسفر، أمجد ناصر، منشورات اللجنة العليا لإعلان عمان للثقافة العربية، عمان ،٢٠٠٣ .

٨. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، حققه عامر أحمد حيدر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط١ ،٢٠٠٥ .

٩. مخاطبات حواء ،بشرى البستاني، شمس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ٢٠١٠ .

البحوث المنشورة:

١٠.انطولوجيا الجسد في الشعر السومري، ناجح المعموري، مجلة الأديب، العدد ١٢٠، لسنة ٢٠٠٦.
١١.تأويل لغة الجسد ،علي زيعور، مجلة الفكر العربي المعاصر ،العدد ٥٤_٥٥ ، لسنة ١٩٨٨ .
١٢.ثنائية الأرض/المرأة وانتهاك المقدس، قراءة في ديوان أعراس، عبد العزيز موافي، مجلة القاهرة، العدد١٥١ ، لسنة ١٩٩٥ .
١٣. الحضور الأنثوي في التجربة الصوفية بين الجمالي والقدسي، سليمان القرشي .
www.aljabriabed.net/n40_04korach.htm. .
١٤. مفهوم الرمز الديناميكي وتجليه في الشعر الفلسطيني الحديث، محمد جمال باروت، مجلة الهدف، العدد ١٢٧٦، لسنة ١٩٩٨.
١٥.نقوش الحب والجسد ، أ. د.بشرى البستاني ، بحث من الانترنيت،
http:\\bustani.wordpress.com .

الرسائل الجامعية

١٦.القصيدة المركزة ووحدة التشكيل، دراسة فنية في شعر الستينات في العراق، علي صليبي المرسومي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٤.

الواقع الصحي لنزلاء سجن بادوش المركزي في محافظة نينوى
دراسة تقويمية

م. عبد الرزاق صالح محمود*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٣/١٢/٣١
تاريخ قبول النشر ٢٠١٤/٣/٢

ملخص البحث:

يعد هذا البحث محاولةً لتسليط الضوء على الواقع الصحي لسجن بادوش المركزي، ويهدف البحث في دراسةٍ تقويميةٍ إلى تحديد الجوانب السلبية الموجودة داخل سجن بادوش المركزي بالنسبة للجانب الصحي للنزلاء ومحاولة معالجتها، والوقوف على الإيجابيات الموجودة وتدعيمها.

وكانت عينة البحث عشوائية تمثلت بـ(٣٠٠) نزيلاً من نزلاء السجن، واعتمد الباحث على الاستبيان كأداة رئيسة لجمع المعلومات والبيانات الخاصة بمجتمع البحث إلى جانب المقابلة، فضلاً عن الإخباريين إذ اعتمد الباحث على عدد من الموظفين الذين يعملون في المجال الإداري للسجن في جمع أغلب المعلومات والبيانات الخاصة بموضوع بحثه.

وأظهرت نتائج البحث وجود جوانب سلبية مؤثرة على الجانب الصحي للنزلاء داخل محيط السجن، منها ما يتعلق بالجانب النفسي كشعور النزيل بالقلق والخوف والإحباط واليأس، ومنها ما يتعلق بالظروف المناخية كالرطوبة العالية، ومنها ما يرتبط بالإجراءات الاحترازية لإدارة السجن مثل ضيق القاعات والازدحام والتدخين داخل القاعات، فضلاً عن ذلك فقد كشفت النتائج عن العديد من الأمور الإيجابية المتعلقة بالجانب الصحي للنزلاء داخل السجن منها مثلاً أن تكون هناك تغذية جيدة للنزلاء، مع مراعاة التنوع الغذائي فيها على مدار أيام الأسبوع، والسماح للنزلاء بممارسة الأنشطة الرياضية، فضلاً عن تنظيف القاعات بشكلٍ يوميٍ.

* مدرس/ مركز دراسات الموصل/ جامعة الموصل.

The Health Situation of inmates of Badush Central Prison in Mosul An Assessment Study

Lect. Abdul Razaq Salih Mahood

Abstract:

This research May be regarded as an attempt to shed on the health situation of inmates of Badush Central Prison in an assessment study, and its aim is to clarify the negative health sides of the inmates and their treatments, in addition to definite the positive health sides and support them.

The research sample was a random sample, composes of (300) inmates, and the research bases on questionnaire and interview as a main methods to collect data and information, in addition to some informants, who work as employees in the prison.

The research comes to the conclusion that there are many factors have bad impacts on health system of the inmates of the prison, such as anxiety, fear, desperation, smoking and high humidity, in addition to narrowness of the prison's wings and crowding. The research also brings to light that there are many positive health things like cleanness, good nourishment, and sports.

مقدمة:

تعد الصحة من أهم الجوانب المؤثرة في حياة الفرد والمجتمعات الإنسانية فضلاً عن الجوانب الأخرى الثقافية والاجتماعية والتربوية والدينية وغيرها، وكل ما يحتويه الجانب الصحي من مؤسسات ونظم وقواعد وكوادر وأجهزة ومراكز طبية وصحية وطرائق وقائية وعلاجية تعمل جميعها من أجل هدفٍ واحدٍ هو الحفاظ على النوع الإنساني المتمثل بالهدف الأسمى وهو الخروج بالفرد من بين الأمراض والإصابات سليماً معافى.

والتركيز على الجانب الصحي للفرد يجب أن يكون من خلال أتباع مجموعة من الإجراءات الوقائية أولاً لتحصين الفرد من الأمراض البسيطة والمزمنة والمستعصية فضلاً عن الإصابات المتنوعة، ثم ثانياً اختيار الطريقة العلاجية المثلى في حالة الإصابة بأي علة أو مرض استناداً على أسس علمية طبية وتشخيص دقيق واستشارات طبية وفحوصات مختبرية سواءً في المستشفيات أو المراكز الصحية أو حتى عيادات الأطباء.

ولما كانت الصحة مهمة إلى هذا الحد لارتباطها المباشر بحياة الفرد ووجوده، كان من المفترض أن يحصل الإنسان على حقوقه ضمن هذا المجال أينما كان، ونزولاً عند موضوع البحث فسيتم التركيز على هذا الجانب ضمن الحدود المكانية لسجن بادوش المركزي من خلال الاطلاع على الواقع الصحي للنزلاء ضمن محيط هذا السجن، وتحديد السلبيات والإيجابيات ذات العلاقة بالجانب الصحي الموجودة ضمن محيط هذا السجن، وقد تضمن البحث خمسة مباحث اقتصر الأول منها على تحديد مشكلة البحث وأهميته وأهدافه فضلاً عن تحديد مصطلحات البحث ومفاهيمه، أما المبحث الثاني فقد تضمن الحديث عن الرعاية الصحية المقدمة للنزلاء أو السجناء في سجن بادوش المركزي والمتمثلة بمجموعة البرامج الوقائية والعلاجية المتبعة من قِبل إدارة السجن تجاه النزلاء، وتضمن المبحث الثالث على الجانب الميداني للبحث والذي يشمل (منهجية البحث، وأدواته، وعينته، ومجالاته، والوسائل الإحصائية المستخدمة فيه، في حين اقتصر تناول المبحث الرابع تحليل معطيات العمل الميداني ضمن محاوره الرئيسة، وتضمن المبحث الخامس على أهم نتائج البحث، وتوصياته ومقترحاته، وأخيراً هوامش البحث ومصادره.

المبحث الأول/ الإطار النظري للبحث:-

أولاً: تحديد مشكلة البحث:-

إن السجون هي واحدة من المؤسسات الاجتماعية المهمة في كل مجتمع، وإن الوظائف المختلفة للسجون والإصلاحيات تشمل نواحي عديدة تتصل بتخصصات متعددة، كالنواحي الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والصحية، فضلاً عن جوانب ومجالات أخرى ذات علاقة بحياة النزلاء أو السجناء داخل السجون.

ولما كان السجن كأي مؤسسة اجتماعية يضم هرماً إدارياً تقوم من خلاله كل جهة بما عليها من واجبات، فكان يجب أن يكون هناك مركزاً صحياً (مستشفى أو مستوصف أو عيادة) داخل السجن يقع على عاتقه متابعة المسائل ذات العلاقة بالحفاظ على صحة النزلاء بما فيها من أغذية وملابس وأغطية وعلاجات وأدوية وكل ما له علاقة بالجانب الصحي للنزلاء موضوع البحث.

والرعاية الصحية التي تقدم للنزلاء داخل السجون يجب أن تكون متكاملة لعدها أحد أهم حقوق الإنسان الأساسية التي من المفترض أن يحصلون عليها في العصر الراهن، في ظل مناداة العديد من الشخصيات العلمية والسياسية والتربوية وغيرهم للمطالبة بضرورة احترام حقوق الإنسان لأن الإنسان هو المخلوق المكرم عند الله عز وجل، قال تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم .. وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً .. صدق الله العظيم) (سورة الإسراء/ الآية ٧٠).

وفي موضوع بحثنا هذا سنسلط الضوء على الجانب الصحي لنزلاء سجن بادوش المركزي في دراسة تقويمية تسترعي الوقوف على الإيجابيات والسلبيات الموجودة داخل محيط السجن، وسينطلق البحث من مجموعة من التساؤلات المهمة التي تسهم في بناء الأساس للعمل الميداني لهذا البحث وكما يأتي: هل أن إدارة السجن تلتزم بالجوانب الوقائية قبل العلاجية للحفاظ على صحة النزلاء؟، وهل هناك اهتمام فعلي في السجن بصحة النزلاء؟، وهل يتلاءم عدد النزلاء مع عدد الأطباء الموجودين أو المخصصين للسجن؟، وهل تتوفر جميع الاختصاصات الطبية في السجن؟، وما هو مستوى الطعام أو الغذاء المقدم للنزلاء؟، وما هي المعايير التي تعتمد عليها إدارة السجن في النظافة؟، وما هي الأمراض الأكثر انتشاراً بين النزلاء؟، والتساؤلات كثيرة نستنبط منها أهم الخطوات المتبعة في السجون بصورة عامة، وسجن بادوش المركزي–المجال المكاني للبحث بخاصة.

ثانياً: تحديد أهمية البحث:– تتأتى أهمية البحث من:–

١– محاولة تكوين فكرة بحثية تربط أو تدمج بين حقلين من حقول علم الاجتماع وهما علم الاجتماع الجنائي، وعلم الاجتماع الطبي من خلال تسليط الضوء على الواقع الصحي للنزلاء خلال فترة بقائهم في السجن.

٢– تكوين صورة واضحة عن الواقع الصحي للنزلاء في السجن وكل ما يرتبط بهم، سواءً ما تعلق منها بالسجن كمكان، أو بالنزلاء كأفراد، وما يحصلون عليه من اهتمامٍ وخدماتٍ ذات علاقة بالصحة داخل محيط السجن.

٣– وجود بعض الأمراض التي لا تكاد تخلو منها العديد من السجون، ومنها مثلاً الأمراض الجلدية التي بدت في العديد من السجون وكأنها مشكلة صحية لا علاج لها.

ثالثاً: أهداف البحث:- يهدف البحث إلى:-

١- تسليط الضوء على الواقع الصحي لسجن بادوش المركزي.
٢- تحديد الجوانب السلبية الموجودة داخل سجن بادوش المركزي بالنسبة للجانب الصحي للسجناء ومعالجتها، والوقوف على الإيجابيات الموجودة وتدعيمها.
٣- الوصول إلى بعض التوصيات والمقترحات وتوجيهها للدوائر ذات العلاقة بموضوع البحث.

رابعاً: تحديد مصطلحات البحث ومفاهيمه:-

١- الصحة:-

تّعَرّف الصحة بناءً على تقارير منظمة الصحة العالمية بأنها أكبر من مجرد غياب الألم[١]، وهي حالة مثالية من التمتع بالعافية[٢]، ويصل مفهوم الصحة لأبعد من مجرد الشفاء من المرض إنما الوصول لتحقيق الصحة السليمة الخالية من الأمراض[٣]، والتي تتطلب الموازنة بين الجوانب الجسمانية والنفسية والعقلية والروحية ولكي تصل إلى مفهوم الصحة المثالية يجب دمج هذه الجوانب معاً[٤]، وهيئة الصحة العالمية عرّفّت الصحة على أنها حالة من السلامة والكفاية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة وليست مجرد الخلو من المرض أو العجز[٥]، إذن فالصحة هي ليست مجرد خلو الجسم البشري من العاهة أو الخلل أو المرض، وإنما هي حالة كون الفرد سليماً ومكتفياً بدنياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً.

٢- النزيل أو السجين:-

هو الفرد المودع في الإصلاحية أو السجن أو ما في حكمهما[٦]، وهو كل شخص محبوس لحكم صادر من محكمة جزائية أو خاصة، أو موقوفاً تحت الحفظ القانوني أو أي شخص يحال إلى المركز تنفيذاً لإجراء حقوقي[٧]، أو هو من صدرت بحقه عقوبة ليقضيها في السجن أو داخل سور المؤسسة العقابية[٨]، ويسمى الموقوف نزيلاً لأنه ينتظر محاكمة[٩]، والنزلاء أو السجناء هم أفراد يعيشون في المجتمع الكبير ويعيشون في مجتمع السجن[١٠]، فهناك حياتهم في المجتمع المحلي كأفراد عاديين، ثم هناك حياتهم في مجتمع السجن وكيف ولماذا أصبحوا كذلك، والسجين هو شخص يعيش في داخل سجنٍ مغلق[١١].

٣ـ السجن:ـ

السجن لغةً بكسر السين يعني موضع الحبس[١٢]، وبفتحها يعني الحبس نفسه[١٣]، والسجن يعني المَحبَس[١٤]، وهو فعل المحابس[١٥]، ويعني كذلك المنع[١٦]، والإمساك[١٧]، والسجن هو المكان الذي يُحبَس فيه السجين[١٨].

والسجن اصطلاحاً هو مكان مخصص لكي تنفذ فيه العقوبات المانعة للحرية وفقاً لقواعد قانونية محددة[١٩]، وينظر البعض للسجن على أنه مؤسسة اجتماعية وُجِدَت لغرض علاج المجرم وإصلاحه[٢٠]، ويرى آخرون أن السجن ليس مجتمعاً صغيراً مغلقاً مؤلفاً من جماعة من النزلاء، وليس مجرد مكان أو مؤسسة للعقاب والتقويم والإصلاح، بل أنه مكان فيه جماعة من الناس، لأفرادها مصالح متضاربة ولهم متطلبات معيشية مادية ونفسية وترفيهية يجب إشباعها[٢١]، وقد أُشير إلى أن السجن قد يكون لغير ذنب أي كما لو كان لدَينٍ أو تهمة أو غيرها[٢٢]، إنما أوجده المجتمع أي: السجن لمعاقبة وتهذيب وإصلاح الخارجين عن قيمه وأنظمته وإعادتهم إلى المجتمع مرةً أخرى كعناصر صالحة[٢٣]، وتقسم السجون إلى سجون ذات احتياطات مشددة، وسجون ذات احتياطات شديدة، وسجون ذات احتياطات بسيطة[٢٤].

المبحث الثاني/ الرعاية الصحية المقدمة للنزلاء أو السجناء:ـ

تعد الرعاية الصحية من أهم الخدمات التي تُلزَم الدولة بتقديمها لرعاياها من أفراد مجتمعاتها بصورة عامة، وتعد من أهمها وأخطرها إذا ما كان الأمر متعلقاً بالسجناء، إذ أن السجين مريضاً كان أو غير مريض بحاجة ماسّة إلى الرعاية والعلاج، فمن حق السجين أن تتوفر له الظروف والشروط الصحية الملائمة داخل بيئة السجن، وإلا فإن إصابته بالأمراض ستكون محتملة، وبالتالي سيكون عرضةً لعقوبة تبعية لعقوبة السجن التي سلبت حريته[٢٥]، والرعاية الصحية المقدمة للسجناء تعتمد على نوعين من البرامج هي البرامج الوقائية والعلاجية[٢٦] التي تتضمن مجموعة من الخدمات أو الاحتياطات الصحية المتنوعة التي يجب تقديمها داخل السجن[٢٧].

أولاً: البرامج الوقائية:

هذا النوع من البرامج أو الاحتياطات الصحية يكون متنوعاً كما أسلفنا، فهناك قواعد عديدة منها ما يرتبط بالغذاء الذي ينبغي تقديمه للسجناء، ومنها أمور ترتبط بأماكن تنفيذ

العقوبة، وثمة احتياطات تتعلق بنظافة البدن وملابس السجناء[٢٨]، فضلاً عن أمورٍ أخرى مرتبطة بالمحافظة على صحة النزلاء من الأمراض والعلل[٢٩]، ونظراً لأهمية هذا الجانب سنذكر بعضاً من هذه الاحتياطات والبرامج الوقائية بإيجازٍ وكما يأتي:

١ـ **المسكن أو المهجع**:- من المقرر أن يودع السجين بزنزانة تمثل سكناً ملائماً له يعيش به في السجن فترة عقوبته[٣٠]، كما يُشتَرط أن لا تكون الغرف أو العنابر مزدحمة، إذ أن الزحام مؤدٍ إلى سهولة انتشار الأمراض وصعوبة المحافظة على النظافة[٣١]، كما يجب مراعاة توفير جميع الوسائل اللازمة للتهوية والإضاءة ودخول أشعة الشمس إلى الزنزانات والعنابر[٣٢]، ليستوفي السجن الشروط الصحية اللازمة للحفاظ على صحة النزلاء.

٢ـ **الطعام والأغذية داخل السجون**:ـ من المفروض أن تقوم إدارة كل سجن بتقديم وجبات طعام جيدة من ناحية كميتها ونوعيتها للنزلاء[٣٣]، كما يجب أن تخضع الأغذية لرقابة الأطباء ضماناً لاستيفاء الشروط الصحية المتطلبة فيها[٣٤]، ولا يجوز اللجوء إلى الإنقاص من كمية الغذاء أو درجة جودته كإجراء تأديبي يُتَخذ بحق السجين، إذ يؤثر ذلك في غرض التنفيذ العقابي في التأهيل[٣٥]، كما ويجب أن يحصل كل سجين على احتياجاته الطبيعية من الماء الصالح للشرب[٣٦]، فضلاً عن ما تقدم ذكره لا بد من مراعاة نظافة الأماكن التي يتم فيها الطبخ وإعداد الطعام وكذلك نظافة أواني الطبخ والطهي كشروط صحية.

٣ـ **ملابس السجناء**:ـ ينبغي أن تكون ملابس السجناء بعيدة في مادتها ومظهرها عن كل دلالةٍ لها علاقة بالتحقير والازدراء والتقليل من أهميتهم كأفراد[٣٧]، وينبغي أيضاً أن تكون ملابس مناسبة وليس فيها خشونةٌ أو ضيقٌ أو ما شابه ذلك، وأن تكون ملائمة للظروف المناخية مما يقتضي تغييرها وإبدالها بحسب تغير فصول السنة، فضلاً عن أن تبقى ملابس السجناء في حالة نظافة دائمة يجب تغييرها بحسب مواعيد دورية تضعها الجهات المشرفة على مثل هذه الأمور.

٤ـ **جوانب وقائية صحية أخرى**:- إلى جانب ما تقدم ذكره من الاحتياطات الصحية التي تتبعها إدارات السجون، هناك أمورٌ أخرى لا تخلو من الأهمية ولا يجب إغفالها منها مثلاً منح

السجناء فرصة الخروج من العنابر يومياً والتعرض للهواء ولأشعة الشمس (التشميس)* ولو لوقت محدد لكي يشعر بتغيير الجو والبيئة المكانية ويكون ذلك احترازاً وقائياً من الإصابة بالأمراض الجلدية والنفسية[٣٨]، وكذلك ممارسة أنواع الرياضة التي يمكن توفيرها[٣٩]، وضرورة عزل المرضى عن الأصحاء في نفس الغرفة أو الزنزانة وخاصةً أصحاب الأمراض المُعدية[٤٠]، ويجب أن تكون إدارات السجون حذِرة وتفرض الرقابة الشديدة على النزلاء من ناحية احتمالية تداول الأقراص المسكرة والهيروين وما شابه ذلك من أمور لها علاقة بالمواد المخدِرة التي يمكن أن تكون موجودة لدى النزلاء داخل محيط السجن[٤١]، وتترك أثرها السلبي على نفسياتهم من ناحية الإدمان، وفضلاً عن ما تقدم فمن الضروري غرس قيم النظافة والعادات الصحية الجيدة[٤٢] في السجناء من خلال حملات توعية صحية تتولاها إدارات السجون، مع الأخذ بنظر الاعتبار ثقافات المرضى وفكرة تفضيلهم للفرصة العلاجية الملائمة[٤٣]، وهناك أمور واحترازات وقائية أخرى سنذكرها بالتفصيل في الجانب الميداني من بحثنا.

ثانياً: البرامج العلاجية والطبية:

تُجمِع النظم العقابية الحديثة على الاعتراف للسجين بالحق في العلاج في حالة إصابته بمرضٍ معينٍ أثناء خضوعه لتنفيذ العقوبة وبقائه في السجن[٤٤]، بل أن هذا الحق يمتد إلى العلاج من الأمراض التي كان مصاباً بها قبل دخوله في المؤسسة العقابية[٤٥]، وقد جاء في قرارات تنظيم السجون أموراً عديدةً منها، إنشاء إدارة طبية تضطلع بالمهمات العلاجية في كل سجن وتحديد كيفية تشكيلها، واتخاذ التدابير الواقية من الأمراض الوبائية، وكتابة التقارير الصحية المفصلة من قِبَل الأطباء عن حالة السجن من حيث توفر الشروط الصحية فيه، وعن حالة السجناء المصابين بالأمراض مع إيضاح أسباب تلك الأمراض[٤٦].

ويجب أن يكون المركز الصحي أو مستشفى السجن مزودة بجميع الأجهزة الطبية، وتتوفر فيها كافة أنواع العلاجات والأدوية، وكذلك يجب أن يكون عدد الأطباء المنسبين للسجن كافياً ويشمل كافة التخصصات الطبية والعلاجية (الجراحية والباطنية والعيون والأسنان

* **التشميس:** تقوم إدارة السجن بإخراج النزلاء إلى ساحة السجن وتعريضهم لأشعة الشمس يومياً تحسباً من إمكانية إصابتهم بالأمراض الجلدية وما شابه.

وما إلى ذلك)، وطبيبة للنسائية والتوليد في سجون النساء، فضلاً عن ضرورة وجود موظفين صحيين وصيادلة وغيرهم ممن يضطلعون بالمهمات العلاجية والطبية[٤٧]، وفي حالة عدم تيسر توفير بعض العلاجات المعينة في السجن فلا مانع من جلبها من خارجه، وإذا كانت الحالة الصحية للسجين خطيرة وتستوجب نقله إلى مستشفى خارج أسوار السجن فالأصح السماح بذلك ولكن تحت حراسة شديدة[٤٨]، فضلاً عن ذلك فهناك العديد من الخدمات الطبية اللازمة والواجب توافرها على نطاقٍ واسعٍ لضمان البيئة الصحية الملائمة للسجين كفردٍ في المجتمع العام ثم كنزيل في المؤسسة الإصلاحية.

المبحث الثالث/ الجانب الميداني للبحث:-

١- منهجية البحث:-

استخدم الباحث منهج المسح الاجتماعي وتحديداً "المسح بالعينة" لجمع المعلومات والبيانات الخاصة بمجتمع البحث، إذ قام الباحث بتوزيع الاستبيان على (٣٠٠) نزيلاً من نزلاء سجن بادوش المركزي للإجابة على أسئلته واستفساراته.

٢- أدوات البحث:-

أ- الاستبيان:-

كان الاستبيان هو الأداة الرئيسة لجمع المعلومات والبيانات الخاصة بالبحث، وبعد إعداد الاستبيان وفقراته بصيغته النهائية قام الباحث بعرضه على مجموعة من الخبراء والمحكمين[٤٩] في مجال التخصص وقاموا بتعديل بعض الفقرات فضلاً عن بعض الإضافات التي من شأنها زيادة قوة البحث ورصانته وقد أخذ بها الباحث لأهميتها في إكمال الاستبيان.

ب- المقابلة:-

كانت المقابلة من الأدوات المهمة في البحث أيضاً، فقد قابل الباحث مبحوثين (موظفين) من سجن بادوش المركزي وذلك تبعاً لخطة البحث العلمية وكانت المقابلات فردية وغير مقننة[٥٠]، بحيث تترك نوعاً من المرونة وتعطي حرية أكثر للمبحوث في التعبير عن رأيه وعن أفكاره وبالتالي تكون أكثر صدقاً وجدية.

ج- الإخباريون:-

فضلاً عن الاستبيان والمقابلة اعتمد الباحث على الإخباريين من الموظفين والباحثين الاجتماعيين ممن يعملون داخل محيط السجن، وذلك بحكم سهولة التقاء الإخباري بالنزلاء الموجودين داخل السجن وإمكانية الحديث معهم واستجوابهم علمياً، فضلاً عن احتكاك الإخباري بصورة مباشرة بالظروف التي يعيشها النزلاء داخل السجن، مما يُسَهِل الأمر على الباحث في الحصول على معلومات أوضح وأدق من الاعتماد على الاستبيان لوحده، الأمر الذي يساعدنا في الحصول على إجابات صريحة وواقعية.

٣- عينة البحث:-

كانت عينة البحث عشوائية إذ اختار الباحث (٣٠٠) مبحوثاً من نزلاء السجن ليكشف عن آرائهم تجاه الواقع الصحي الذي يعيشونه في السجن وذلك من خلال إجاباتهم على الاستبيان الذي أعده الباحث.

٤- مجالات البحث:-

أ- المجال البشري: انحصر المجال البشري بعينة من نزلاء سجن بادوش المركزي.

ب- المجال المكاني: سجن بادوش المركزي في محافظة نينوى.

ج- المجال الزماني: امتدت المدة الزمنية للبحث من ٢٠١٢/١٠/١ ولغاية ٢٠١٣/٩/١.

٥- الوسائل الإحصائية المستخدمة في البحث:-

استخدم الباحث النسبة المئوية والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوسيط كوسائل إحصائية.

المبحث الرابع/ تحليل معطيات العمل الميداني:-

أولاً: موقع سجن بادوش المركزي:-

بادوش هي مركز ناحية تقع غرب مدينة الموصل، ضمن حدود محافظة نينوى، وتبعد عن الموصل مسافة (٢٠-٣٠) كيلو متر أو أكثر[٥١]، وعلى مسافة منها يقع معمل سمنت بادوش وسجن بادوش المركزي، ويبدو أن المعمل والسجن قد استمدا أسميهما منها.

وسجن بادوش المركزي[٥٢] التابع لوزارة العدل العراقية، يعدُ ثاني أكبر السجون العراقية بعد أبو غريب، ويقع غربي الموصل على بُعد (٥) كيلو متر تقريباً، على مسافة قريبة

من نهر دجلة في منطقة سهلية مفتوحة مرتفعة نوعاً ما، بدأ العمل في بناء هذا السجن عام (١٩٧٩) وانتهى عام (١٩٨٦)، على مساحة تُقدر بأكثر من كيلو متر ين مربعين تقريباً، ويصل ارتفاع سوره الخارجي إلى أكثر من أربع أمتار بحسب بيانات سجلاته فضلاً عن الأسلاك الشائكة التي تعتلي السور، وتنتشر نقاط الحراسة أمام باب السجن وفي داخله وخارجه، وتقسم ردهاته إلى قاعات خاصة بالأحكام الثقيلة والأحكام الخفيفة وقاعات للتأهيل لمن أنهى فترة محكوميته، وكان السجن خلال المدة الزمنية للبحث يضم تقريباً (٢٥٠٠) نزيل من الرجال، و(٥٠) نزيلة تقريباً من النساء.

أما بالنسبة للتسميات التي أُطلِقت على السجن[٥٣]، فكانت تسميته الرسمية (دار إصلاح الكبار في الموصل) عام (١٩٨٢)، وكان تابعاً لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وبعد عام (٢٠٠٣) أُطلِقَت عليه تسمية (المجمع الإقليمي الإصلاحي في الموصل) وانتقل إدارياً وفنياً إلى وزارة العدل، ثم تغيرت التسمية إلى (سجن الموصل المركزي) عام (٢٠١١) واستمرت لفترة سنة أو أقل، وأخيراً استقرت التسمية في عام (٢٠١٢) على (سجن بادوش المركزي) التابع لدائرة الإصلاح العراقية في وزارة العدل والمرتبط حالياً بمحافظات صلاح الدين وكركوك فضلاً عن محافظة نينوى.

ثانياً: شعبة الصحة العامة في سجن بادوش المركزي:-

تعد شعبة الصحة العامة من القنوات المهمة داخل الهرم الإداري للسجن، وتمارس عملها من خلال وحدات الصحة العلاجية والوقائية والفنية، ويضم الهيكل الإداري للمركز الصحي (مدير المركز الصحي، أطباء الطب العام والأسنان والصيدلة، معاونين صيدلانيين، ممرضين، مساعدين مختبر، وموظفوا الخدمة والفنيون)، ويضطلع المركز الصحي بتقديم الخدمات الطبية المتنوعة والمشتملة على (خدمات الصحة العامة، والفحص السريري، وطب الأسنان، والتصوير الشعاعي، والصيدلية، والمختبر)، إلى جانب مجموعة مهام أخرى منها مثلاً مراقبة المطبخ والأماكن الإيوائية للنزلاء، والعناية الصحية بمنتسبي السجن ونزلائه، مراقبة تجهيز المياه الصحية، متابعة الصحة العقلية للنزلاء، فضلاً عن العديد من المهام التي من شأنها الحفاظ على صحة الفرد داخل مؤسسة السجن سواءً موظفي السجن أو النزلاء المودعين فيه.

ثالثاً: البيانات الأولية:ـ

الجدول (١)
يوضح البيانات الأولية للمبحوثين

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الجنس:–		
ذكر	٢٥٠	%٨٣,٣
أنثى	٥٠	%١٦,٧
الحالة الاجتماعية:–		
أعزب	٩٧	%٣٢,٣
متزوج	١٨٩	%٦٣
مطلّق	٦	%٢
أرمل	٨	%٢,٧
المستوى التعليمي:–		
أمية	٨	%٢,٧
يقرأ ويكتب	١١٧	%٣٩
ابتدائية	١٢٤	%٤١,٣
ثانوية	٤١	%١٣,٧
شهادات أخرى	١٠	%٣,٣
العمر:–		
٢١–٣٠ سنة	٨٨	%٢٩,٣
٣١–٤٠ سنة	١٠٦	%٣٥,٣
٤١–٥٠ سنة	٨٠	%٢٦,٧
٥١–٦٠ سنة	٢٦	%٨,٧
الخلفية الاجتماعية:–		
ريفي	٨٣	%٢٧,٧
حضري	٢١٧	%٧٢,٣
المجموع	٣٠٠	%١٠٠

تمثلت نسبة الذكور بـــ(٨٣,٣%) من مجموع أفراد عينة البحث، بينما اقتصرت نسبة الإناث على (١٦,٧%) فقط، وكان أغلب أفراد العينة من المتزوجين وأرباب العوائل إذ مَثَّـــوا نسبة (٦٣%) من المجموع الكلي للعينة مما قد يعكس تأثيراً على نفسياتهم عند التفكير بإعالة

العائلة وتأمين الجانب المعيشي لها في ظل تواجدهم داخل السجن، بينما كانت نسبة العزّاب (٣٢,٣%)، أما الأرامل والمطَلّقين فكانت نسبهم تواليا (٢,٧%) و(٢%)، وكان أغلب أفراد العينة من حملة الشهادة الابتدائية إذ بلغت نسبتهم (٤١,٣%)، و(٣٩%) ممن يقرؤون ويكتبون، ويعطينا المستوى التعليمي تصوراً عن الوعي الصحي لدى الأفراد بصورةٍ عامةٍ وأفراد مجتمع البحث بصورةٍ خاصةٍ مما يعكس مستوى تعامل النزلاء في السجن مع الجوانب ذات العلاقة بالجانب الصحي سواءً ما تعلق منها بالتغذية أو نوعيتها أو تناول العلاجات أو النظافة أو غير ذلك من الأمور المرتبطة بالجانب الصحي علاجياً ووقائياً، وكانت نسبة من يحملون الشهادات الثانوية (١٣,٧%)، و(٣,٣%) من أفراد العينة هم من حملة شهادات البكالوريوس والدبلوم والشهادات العليا، وأخيراً كان (٢,٧%) فقط من الأميين، أما بالنسبة لمتوسط أعمار أفراد العينة فقد بلغ (٣٧) سنة، بانحرافٍ معياريٍ قدره (٩,٤) سنة، والتباين بين الفئات العمرية يعكس تبايناً في طرائق تفكير وتعامل النزيل مع الجوانب العلاجية والوقائية ليحافظ على صحته ونفسيته من الأمراض والعلل الجسدية والنفسية، وبما أن دراستنا كانت في مدينة الموصل فإن أغلب أفراد العينة ونسبتهم (٧٢,٣%) كانوا من ذوي الخلفيات الاجتماعية الحضرية، تقابلها نسبة (٢٧,٧%) من ذوي الخلفيات الاجتماعية الريفية.

الجدول (٢) يبين الدخول الشهرية لأفراد العينة

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الدخل الشهري:-		
ضعيف	٧٢	%٢٤
متوسط	١٤٤	%٤٨
جيد	٨٤	%٢٨
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

يبين الجدول (٢) مستوى الدخول الشهرية لأفراد العينة والجانب الاقتصادي الذي يرتبط بجوانب عديدة من حياتهم منها تفكيرهم بالجانب المعيشي تجاه عوائلهم وتأمين مأكلهم ومشربهم والضروريات اللازمة للمعيشة والاستمرار في الحياة، ومنها تفكيرهم في إيداع جزء

من أموالهم في السجن لدى الجهة ذات العلاقة لأغراض شراء الطعام أو العلاجات أو الملابس أو الأغطية المناسبة أو ما شابه ذلك من أمور في حال صعوبة حصولهم عليها من إدارة السجن.

الجدول (٣) يوضح عدد السنوات التي قضاها النزلاء من عينة البحث في السجن

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
منذ متى أنت في السجن:–		
١– ٣ سنة	٨٧	%٢٩
٤– ٦ سنة	١٣٤	%٤٤,٧
٧– ٩ سنة	٧٢	%٢٤
١٠– فأكثر	٧	%٢,٣
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

باستخدام الوسيط في الجدول (٣) تبين أن متوسط عدد السنوات التي قضاها المبحوثين من نزلاء سجن بادوش المركزي في سجنهم بلغ (٥,٤) سنة، وهو يقع بين حدي تكرار الفئة الوسيطية (٤–٦) سنوات، وفترة خمس سنوات تقريباً هي فترة كافية لاطلاع النزيل ومعرفته بالنظام الصحي داخل السجن أو ما يتعلق بهذا النظام من مأكلٍ ومشربٍ وملابس وأغطية وأطباء وعلاجات ومعايير نظافة، فضلاً عن أنها فترة كافية للاحتكاك بالجو الاجتماعي للسجن سواءً بنزلاء وإدارة وقوانين وأحكام السجن من جهة، أو البيئة الطبيعية والمناخية داخل السجن من جهةٍ أخرى، وإذا ما أردنا معرفة تأثير هذين الجانبين لظهرت لدينا العديد من التصورات عن الرطوبة والحرارة والتبريد والتدفئة والتلوث والتشميس وغيرها من الظروف الطبيعية والمناخية الموجودة داخل السجن، فضلاً عن كيفية تعامل النزلاء فيما بينهم وتعامل الإدارة معهم وحقوقهم في الحصول على فرص علاجية في حالة تعرضهم لمرضٍ معينٍ أو حصولهم على الأغطية والملابس النظيفة، أو الأطعمة الجيدة نوعياً، وكذلك حقهم بضرورة ووجوب توفر الاختصاصات الطبية النفسية والباطنية والأسنان وغيرها، لحماية النزلاء من المرض والمؤثرات السلبية على صحتهم ونفسياتهم داخل محيط السجن.

رابعاً: البيانات الاختصاصية:-

١- الوضع الصحي للنزلاء:-

الجدول (٤) يبين الحالة الصحية للنزلاء

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
كيف هي حالتك الصحية:-		
جيدة	٨٥	%٢٨,٣
جيدة نوعاً ما	١٧٢	%٥٧,٣
غير جيدة	٤٣	%١٤,٣
المجموع	**٣٠٠**	**%٩٩,٩**

أكثر من نصف العينة والبالغة نسبتهم (٥٧,٣%) أشاروا إلى أن صحتهم جيدة نوعاً ما داخل السجن، ونسبة (٢٨,٣%) أوضحوا أن صحتهم جيدة، وهذا يعني أن متعلقات الجانب الصحي داخل السجن تسير بصورة جيدة وملائمة للحفاظ على صحة النزلاء بحسب إجاباتهم التي أدلوا بها، وأشارت نسبة (١٤,٣%) فقط من النزلاء إلى أن حالتهم الصحية غير جيدة وأنهم يعانون من تفاقم حالتهم النفسية والصحية داخل السجن.

الجدول (٥) يبين مدى معاناة النزلاء من الأمراض، وهل أنها قبل أو بعد دخول السجن

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل عانيت من أمراض في السجن خلال فترة الحجز:-		
نعم	٢١٢	%٧٠,٧
لا	٨٨	%٢٩,٣
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**
إذا كان الجواب (نعم) فإن المرض الذي عانيت منه كان ...؟		
قبل دخولك إلى السجن	٤٨	%٢٢,٦
بعد دخولك إلى السجن	١٦٤	%٧٧,٤
المجموع	**٢١٢**	**%١٠٠**

تبين أن (٧٠,٧%) من أفراد العينة عانوا من أمراضٍ مختلفةٍ خلال فترة الحجز، ونسبة (٢٩,٣%) منهم أشاروا إلى أنهم لم يعانوا من أي أمراض تذكر خلال فترة حجزهم، وأجاب الأشخاص الذين عانوا من الأمراض خلال فترة الحجز عما إذا كانت إصاباتهم بهذه الأمراض ومعاناتهم منها (قبل أو بعد) دخولهم للسجن؟، فأشارت نسبة (٧٧,٤%) منهم إلى أنهم عانوا من هذه الأمراض بعد دخولهم سجن بادوش المركزي، بينما أوضح (٢٢,٦%) منهم أنهم عانوا من هذه الأمراض قبل دخولهم سجن بادوش المركزي أي في مراكز التوقيف التي جاءوا منها إلى السجن بفعل الظروف غير الملائمة صحياً في تلك المراكز منها انعدام النظافة وانتشار الروائح الكريهة والازدحام بفعل الأعداد الكبيرة التي لا تتلاءم وصغر حجم قاعات التوقيف، وكان من جملة الأمراض التي ذكروها بحسب إجاباتهم (أمراض المفاصل والأمراض الجلدية وآلام الأسنان والأنفلونزا ووجع الرأس والمغص وأمراض المعدة إلى جانب حالات القلق واليأس والوسواس والإحباط).

الجدول (٦) يوضح فيما إذا حدثت حالات تسمم داخل السجن

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل تحدث حالات تسمم داخل السجن؟:–		
نعم	١٣	%٤,٣
لا	٢٨٧	%٩٥,٧
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

بحسب إشارة (٩٥,٧%) من المبحوثين تبين عدم وجود حالات تسمم يمكن أن تكون قد حدثت داخل محيط السجن، إلا أن (٤,٣%) من أفراد العينة أشاروا إلى أن هناك حالات تسمم حدثت وكانت الأسباب تُعزى إلى نوعٍ من التلوث الغذائي سواءً في الطعام المُقَدَم للنزلاء أو في عدم نظافة الأواني التي يتناولون طعامهم بها.

الجدول (٧) يبين مدى سماح إدارة السجن للنزلاء بممارسة النشاطات الرياضية

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل يُسمح لك بممارسة النشاطات والألعاب		
الرياضية:-	٩٨	%٣٢,٧
يومياً	٨٥	%٢٨,٣
أسبوعياً	٣٥	%١١,٧
شهرياً	٨٢	%٢٧,٣
لا يُسمح بذلك		
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

أكد أغلب أفراد العينة أن إدارة السجن تسمح لهم بممارسة الأنشطة والألعاب الرياضية المتنوعة، سواءً كان يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً، إذ أشار (٣٢,٧%) من المبحوثين إلى إمكانية ممارسة مختلف الألعاب بصورة يومية، بينما أوضح (٢٧,٣%) منهم إلى أنهم لا يُسمح لهم بممارسة الألعاب والأنشطة الرياضية وعندما حاول الباحث الاستفسار عن السبب وجد أن ذلك يعود لأمرين مهمين هما أولاً: أن إدارة السجن تمنع أو تُحجم أحياناً هذه النشاطات كنوعٍ من العقوبة على سلوكيات بعض النزلاء المعاكسة لنظام وقوانين السجن، وثانياً: تمنع النزلاء من جميع الأنشطة عند حدوث حالات خرق للنظام من هروب سجناء أو أزمات سياسية أو ما شابه ذلك، ولا بد الإشارة إلى أن ممارسة الألعاب الرياضية المتنوعة هو نوع من الترويح عن نفسيات النزلاء فضلاً عن أنه ينعكس إيجاباً على الجانب الصحي النفسي والجسمي للنزيل من ترويحٍ وترفيهٍ ونشاطٍ وحيويةٍ ولياقةٍ بدنيةٍ.

الجدول (٨)

يبين تناول النزلاء لأنواعٍ معينةٍ من الحبوب والعلاجات خارج الاستشارات الطبية

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل تتناول أنواعاً معينةً من الحبوب والعلاجات خارج الاستشارات الطبية؟:–		
نعم	٢٧	%٩
لا	١٥٤	%٥١,٣
أحياناً	١١٩	%٣٩,٧
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

يبين الجدول (٨) ما إذا كان النزلاء يتناولون العلاجات والحبوب الدوائية أو لا...؟، خارج استشارات الأطباء والمختصين في المجال العلاجي ممن يعملون في الكادر الطبي للسجن، وقد أشار (٥١,٣%) من النزلاء ضمن محيط العينة أنهم لا يتناولون أي مادة علاجية خارج الاستشارات الطبية للأطباء، بينما أوضح (٣٩,٧%) منهم أنهم يتناولون أحياناً الحبوب الدوائية والعلاجات خارج تشخيص الأطباء لأن الحالات المرضية التي يعانون منها هي حالات بسيطة مثل المغص والأنفلونزا وأوجاع الرأس والأسنان وما شابه ذلك، فضلاً عن أن البعض يتناولها كمهدئات ومسكنات مرتبطة بمرضٍ معينٍ لعلاج حالات مرضية أخرى وهذا الأمر يعكس حالتهم النفسية المرتبطة بمدى الألم الذي يشعرون به من جهة، وعدم حصولهم على بعض العلاجات لعدم توفرها في السجن عند الجهات ذات العلاقة من جهةٍ أخرى، على الأقل لحين حصولهم عليها سواءً تقوم إدارة السجن بتوفيرها، أو شراء النزلاء لهذه العلاجات والأدوية من مالهم الخاص، وأجاب (٩%) من أفراد العينة أنهم يتناولون العلاجات خارج الاستشارات الطبية بسبب الآلام التي يشعرون بها والأوجاع التي تضنيهم.

٢ـ العناية الطبية:ـ

الجدول (٩)

يوضح فيما إذا كانت إدارة السجن تُجري فحوصات طبية دورية للنزلاء أو لا؟

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل تُجرى لكم فحوصاتٍ طبيةٍ دوريةٍ تلتزم بها إدارة السجن؟:-		
نعم	١٢	%٤
لا	٢٥٤	%٨٤,٧
أحياناً	٣٤	%١١,٣
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

بحسب إشارة (٨٤,٧%) من أفراد العينة، تبين أن الكادر الطبي والعلاجي الموجود داخل السجن والمسؤول عن علاج الأمراض والإصابات لم يلتزم بإجراء فحوصات طبية دورية للنزلاء كإجراءات احترازية هدفها الحفاظ على صحة النزلاء، بينما أشار (١١,٣%) من المبحوثين أن الجهات ذات العلاقة بالجانب الصحي تُجري لهم فحوصاتٍ دورية ولكن (أحياناً)، واكتفى (٤%) فقط بالإشارة لوجود هذا النوع من الإجراءات الاحترازية والوقائية الذي يهدف إلى الحفاظ على صحة النزلاء من خلال البرامج والإجراءات العلاجية والوقائية.

الجدول (١٠)يبين دور الأطباء الأخصائيون في الاطلاع على الوضع الصحي للنزلاء

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل يزوركم أطباء أخصائيون للاطمئنان على وضعكم الصحي؟:-		
نعم	٢٧	%٩
لا	٢١٤	%٧١,٣
أحياناً	٥٩	%١٩,٧

المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**
إذا كان الجواب (نعم) أو (أحياناً) فإن زيارتهم لكم تكون ...؟		
مرتين في الأسبوع	٤	%٤,٧
مرة في الأسبوع	١٢	%١٤
مرة كل أسبوعين	١٠	%١١,٦
مرة كل شهر	١٨	%٢٠,٩
على فترات طويلة متقطعة	٤٢	%٤٨,٨
المجموع	**٨٦**	**%١٠٠**

أشار (٧١,٣%) من النزلاء إلى عدم زيارة الأطباء لهم للاطمئنان على وضعهم الصحي وهذه مسألة تعكس تقصير الكادر الطبي في السجن، وتقصير إدارة السجن التي يقع على عاتقها مسؤولية تأمين حقوق النزلاء وبضمنها الحقوق الطبية العلاجية والوقائية (موضوع البحث)، ومحاسبة الجهات ذات العلاقة بالجانب الصحي داخل الهرم الإداري للسجن في حال التقصير، وأوضح (١٩,٧%) من أفراد العينة أن هناك أطباء يزورونهم أحياناً للاطلاع على وضعهم الصحي ولكن خلال فتراتٍ متقطعةٍ، بينما أشارت نسبة (٩%) من المبحوثين أن هناك زيارات فعلية يقوم بها أطباء أخصائيون بهذا الشأن، وعند سؤال من أجابوا أن الأطباء يزورونهم بصورة فعلية عن عدد المرات التي يقوم فيها الأطباء بزيارة النزلاء، أشار (٤٨,٨%) منهم إلى أن هذه الزيارات تكون على فتراتٍ متقطعةٍ وطويلةٍ أي أن نصف العينة تقريباً أجابت بالنفي على أهمية دور الأطباء في الاطمئنان على وضعهم الصحي، ثم أكد (٢٠,٩%) أن الزيارات تكون مرة في كل شهر بينما تراوحت النسب الأخرى بين من ذكروا أن الزيارات تكون مرة أسبوعياً أو مرة كل أسبوعين أو مرتين أسبوعياً.

الجدول (١١)

يوضح مصدر حصول المريض على العلاج بعد تشخيص الطبيب لمرضه

السؤال	التكرار	التسلسل المرتبي
بعد تشخيص الطبيب لمرضك فإنك تحصل على العلاج....؟:-		
من الجهات الطبية داخل السجن	١٠٣	الثاني
يرسلونك إلى المستشفى لتلقي العلاج	٢٢	الرابع
تشتريه من حسابك الخاص (أموالك الخاصة داخل السجن)	١٥٩	الأول
يقوم أهلك بشرائه لك	٤٤	الثالث

إذا ما عدنا إلى الجدول (٥) الذي يشير إلى من عانوا من أمراض داخل السجن سواءً قبل دخوله أو بعده، لوجدنا أن عدد التكرارات التي أجابت بالموافقة هي (٢١٢) نزيل من المجموع الكلي لأفراد العينة، ولكن أغلب المبحوثين قاموا باختيار أكثر من إجابة واحدة لذلك فقد استُخدِم التسلسل المرتبي لمعرفة تدرج العوامل التي تتحكم في حصول النزيل على فرصةٍ علاجيةٍ مناسبةٍ، وقد أشار التسلسل المرتبي الأول إلى أن النزلاء يضطرون إلى شراء الأدوية والعلاجات من حسابهم الخاص وأموالهم المودعة داخل السجن، فهناك علاجات نادرة وغير متوفرة في السجن يضطر النزلاء إلى شرائها سواءً ما تعلق منها بالأمراض البسيطة أو المزمنة أو ما شابهها، أما ثانياً فقد أشارت الإجابات أن النزلاء يحصلون على العلاج من الجهات الطبية الموجودة داخل السجن، بينما جاء ثالثاً أن أهالي النزلاء يقومون بتأمين العلاجات والأدوية المطلوبة لذويهم من المحتجزين داخل السجن، بينما أشارت الإجابات رابعاً وأخيراً إلى أن النزلاء يتم إرسالهم إلى المستشفى في حالة تشخيص الحالة المرضية التي يعانون منها وهذا يكون في الحالات الضرورية والطارئة فقط.

الجدول (١٢) يبين أسباب عدم حصول النزلاء على فرصة للعلاج من أمراضهم

السؤال	التكرار	التسلسل المرتبي
في حال عدم حصولك على فرصة للعلاج، فأين يكمن السبب..؟:–		
ندرة أو قلة العلاج داخل السجن	١٣٢	الأول
لعدم وجود اهتمام صحي بالنزلاء أساساً	٦٢	الثاني
لأن حالتك يصعب علاجها داخل السجن	٢٣	الرابع
لأن حالتك المرضية لا تتلاءم والاختصاصات الطبية للأطباء	٤١	الثالث

كما هو حال الجدول (١١)، أشار النزلاء في الجدول (١٢) وعددهم (٢١٢) إلى أكثر من إجابة واحدة، مما أعطى الأسباب في عدم حصول النزلاء على فرصة للعلاج تسلسلاً مرتبياً، وكان التسلسل المرتبي الأول يعود لندرة العلاج داخل السجن أو عدم توفره أساساً، مما يشير إلى احتمال تفاقم الحالة المرضية وتهديد حياة المريض ووجوده، أما التسلسل الثاني فقد أشار إلى ضعف الاهتمام الصحي بالنزلاء أو عدم وجود أي نوعٍ من الاهتمام بالصورة الأساس، سواءً وقائياً أو علاجياً، أما ثالثاً فقد أوضح أن هناك من الحالات المرضية ما لا يتلاءم مع اختصاصات الأطباء، فهناك على سبيل المثال لا الحصر أطباء باطنية يقع على عاتقهم معالجة حالات آلام الأسنان أو الفقرات والأمثلة والشواهد التي أشار إليها النزلاء ضمن هذا البديل متنوعة وقد يترك هذا الأمر قصوراً في التشخيص المتكامل للحالة المرضية للنزيل، في حين أشار النزلاء رابعاً إلى وجود من يصعب علاجهم داخل السجن وخاصةً الحالات الطارئة والمستعصية التي يجب نقلها إلى الأخصائيين في المستشفى.

٣ـ الصحة النفسية:ـ

الجدول (١٣)

يوضح مدى لجوء النزلاء للعلاجات المهدئة عند شعورهم بعدم الاطمئنان نفسياً

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل تلجأ إلى الحبوب والأدوية المهدئة عند شعورك بعدم الاطمئنان والراحة النفسية؟:-		
نعم	٢٣	%٧,٧
لا	٢٠١	%٦٧
أحياناً	٧٦	%٢٥,٣
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

يوضح الجدول (١٣) أن نسبة (٦٧%) من أفراد العينة لا يلجأون إلى الأدوية والحبوب المهدئة عند الشعور بالقلق والإحباط وعدم الاطمئنان نفسياً، بينما أوضح (٢٥,٣%) من النزلاء إلى لجوئهم للحبوب المهدئة أحياناً في حال شعورهم بالاضطرابات النفسية، بينما أكد (٧,٧%) فقط من النزلاء أنهم يلجأون دائماً إلى العلاجات المهدئة في حال شعورهم بالاضطرابات النفسية، ويمكن أن تعكس فكرة الجدول (١٣) نوعاً من خطورة الإدمان على المهدئات والمسكنات، واحتمالية تحول هذه الفكرة إلى سلوك معتمد لدى أصحاب الحالات النفسية، ليتحولون من مجرد مرضى يشعرون ببعض الاضطرابات والأعراض النفسية البسيطة إلى مدمنين على المهدئات والمسكنات لما لهذه الأدوية من تأثيرٍ إيجابيٍ في تسكين شدة المرض أو التقليل من ألمه، وهذا الحد من تكرارية تناول الأدوية والحبوب المهدئة قد يشكل خطراً جسيماً على حياة الفرد داخل السجن.

الجدول (١٤)

يبين مدى شعور أفراد العينة بأحد الأمراض أو الأعراض النفسية

السؤال	التكرار	التسلسل المرتبي
هل تشعر بأحد الأمراض أو الأعراض الآتية؟:-		
الكآبة	٤٩	الرابع
الإحباط	٦٢	الثالث
اليأس	٨٧	الأول
القلق	٨٥	الثاني
الخوف من المستقبل	٨٥	الثاني
الوسواس	٤٣	الخامس

أشار أفراد العينة في الجدول (١٤) إلى أكثر من إجابة واحدة، لذلك اعتمد الباحث تسلسلاً مرتبياً للأمراض النفسية التي يعاني منها النزلاء، وقد جاء اليأس بالتسلسل المرتبي الأول، فقد أشار العديد من النزلاء إلى أنهم يأسوا من فكرة الخروج من السجن وممارسة أدوارهم في حياتهم اليومية كأفرادٍ عاديين في المجتمع، بينما أشار التسلسل الثاني إلى (القلق، والخوف من المستقبل)، فالنزلاء وخاصةً المتزوجين منهم أشاروا إلى قلقهم تجاه عوائلهم، والوضع المعيشي لأفراد أُسرهم، ومسألة تربية الأولاد والبنات ومتابعتهم، والوضع الصحي لمن يقربون لهم من أب أم وأخوة وزوجة وما إلى ذلك، وكذلك جهلهم كيف هي صورة مستقبلهم، فضلاً عن العديد من التصورات التي انعكست في صورٍ شتى للقلق والخوف والتحسب، وقد جاء الإحباط بالتسلسل المرتبي الثالث بسبب شعور النزيل بأنه محبط مما يمر به من ظروف بين جدران السجن، أما شعور النزلاء بالكآبة والحزن فقد جاء رابعاً، في حين جاء بالتسلسل المرتبي الخامس والأخير لشعور النزيل بالوسواس القهري من حاضره وتجاه مستقبله.

الجدول (١٥) يشير إلى مدى توفر الوسائل الترفيهية للنزلاء داخل السجن

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل هناك وسائل ترفيهية داخل السجن؟:-		
نعم	١٣٣	%٤٤,٣
لا	١٦٧	%٥٥,٧
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

إن أكثر من نصف العينة ونسبتهم (٥٥,٧%) أشاروا إلى عدم وجود وسائل ترفيهية داخل السجن، وهذه الوسائل إن وُجِدَت فإنها وبحسب إشارتهم تُحَجَّم ولفترات طويلة في الظروف الاستثنائية التي تمر بها السجون والإصلاحيات من حوادث وأزمات، بينما أوضح (٤٤,٣%) من النزلاء إلى وجود وسائل ترفيهية داخل السجن ولكن أغلبهم أشار إلى أن هذه الوسائل تقتصر على التلفزيون وبعض الألعاب والنشاطات الرياضية البسيطة، وبالتالي فإن انعدام أو ندرة وجود الوسائل الترفيهية والترويحية داخل مكانٍ محاط بجدرانٍ عاليةٍ تعتليها الأسلاك الشائكة وتحيطها العوارض وما إلى ذلك، ينعكس سلباً على نفسيات وصحة الفرد داخل السجن كإنسان أولاً ثم كنزيل في مؤسسة إصلاحية ثانياً.

٤ـ الخدمات والنظافة:ـ

الجدول (١٦) يبين المسائل التي يعاني منها النزلاء في قاعات الاحتجاز

السؤال	التكرار	التسلسل المرتبي
هل تعاني قاعات السجن من؟:-		
قلة التدفئة شتاءً	١٠٧	السادس
قلة التبريد صيفاً	٩٣	السابع
قلة التعرض لأشعة الشمس (التشميس)	٢٤٣	الثاني
الرطوبة العالية	٢٧١	الأول
قلة التهوية	١٤٠	الخامس
ضيق القاعات والازدحام	٢٤٠	الثالث

كثرة التدخين وتلوث الجو	٢٤٠	الثالث
عدم توفر منام وأغطية مريحة ونظيفة	١٩٢	الرابع
عدم نظافة أماكن الاستحمام ودورات المياه	١٩٢	الرابع
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

أجاب أغلب المبحوثين بأكثر من إجابة واحدة في الجدول (١٦)، مما فرض على الباحث أن يُعطي تسلسلاً مرتبياً للمسائل التي يُعاني منها النزلاء داخل السجن والتي انقسمت إلى قسمين منها ما يتعلق بالظروف المناخية ومنا ما يتعلق بالأمور الإدارية وكيفية تعامل الإدارة مع النزلاء، وقد جاء بالتسلسل المرتبي الأول تأثير الرطوبة العالية على النزلاء، وقد يكون السبب الرئيس في الرطوبة هو وقوع السجن قريباً من نهر دجلة وكذلك سد بادوش، وجاء ثانياً قلة تعرض النزلاء لأشعة الشمس (التشميس) وهذا الأمر مرتبط بالسياسة الإدارية التي تتبعها إدارة السجن، مع عدم إغفال إشارة بعض المبحوثين أن سبب هذا الأمر هو الأزمات والمشاكل والحوادث التي وقعت في العديد من السجون العراقية ومنها (سجن بادوش–موضوع البحث)، أما التسلسل المرتبي الثالث فقد رَبَطَ بين ضيق القاعات والازدحام إلى جانب كثرة التدخين وتلوث الجو وبخاصة إذا ما كان أغلب النزلاء من المدخنين، وأشار التسلسل الرابع إلى المسائل المتعلقة بمعيار النظافة، سواءً ما تعلق منها بالأغطية أو الملابس أو أماكن الاستحمام ودورات المياه، أما التسلسل المرتبي الخامس فقد تركز في مسألة قلة التهوية ولعله ينعكس في قلة الفتحات والنوافذ الموجودة في قاعات الاحتجاز وجدران السجن، فضلاً عن الازدحام الموجود في هذه القاعات، واقتصر التسلسل السادس والسابع في قلة التدفئة شتاءً والتبريد صيفاً.

الجدول (١٧) يوضح مستوى وجبات الطعام التي تُقَدَّم للنزلاء داخل السجن

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
كيف هو مستوى وجبات الطعام المُقَدمة للنزلاء داخل السجن؟:–		
جيدة نوعياً	١٤٨	%٤٩,٣

متوسطة نوعياً	٩٧	%٣٢,٣
غير جيدة	٣٢	%١٠,٧
غير كافية لجميع المحتجزين في السجن	٢٣	%٧,٧
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

أوضحت أعلى النسب والبالغة (٤٩,٣%) أن مستوى وجبات الطعام المُقدَمَة للنزلاء جيدة نوعياً مما يعكس فائدة الجانب الغذائي على البنية الجسمانية للفرد وحالته الصحية، وأشارت نسبة (٣٢,٣%) من أفراد العينة أن مستواها متوسط نوعياً، فيما اقتصرت الإجابة التي تشير إلى أن مستوى الوجبات الغذائية المُقدَمَة للنزلاء غير جيدة على (١٠,٧%) فقط من المبحوثين، وأشار (٧,٧%) من أفراد العينة إلى أن وجبات الطعام غير كافية للنزلاء وعددهم الكبير داخل السجن وهذا الأمر مع قلة النسبة التي تشير إليه يعد مؤشراً سلبياً على تعامل الإدارة مع النزلاء فيما يخص هذا الجانب ويعكس تأثيره سلباً على صحتهم.

الجدول (١٨) يبين مدى حرص إدارة السجن على المتعلقات الصحية بالطعام وتناوله

السؤال	التكرار	التسلسل المرتبي
هل تحرص إدارة السجن على ...؟:-		
نظافة أواني الطبخ والطعام	١٨٩	الثاني
التنوع الغذائي	٢١٤	الأول
تخصيص أواني طعام لكل نزيل	٣٦	الثالث

كما حدث في بعض الجداول السابقة أختار بعض النزلاء أكثر من إجابة واحدة، فاعتمد الباحث التسلسل المرتبي بدلاً من النسبة المئوية للمفاضلة بين المسائل التي تحرص إدارة السجن على تقديمها للنزلاء فيما يخص الطعام وأواني الطبخ، فجاء بالتسلسل المرتبي الأول أن النزلاء يشعرون براحة تجاه نمط البرنامج الغذائي الذي تتبعه الإدارة تجاههم، إذ أنها أي: الإدارة تتبع أسلوب تنويع الغذاء خلال أيام الأسبوع، وهذه المسألة تعود بالأهمية والفائدة على الجانب الجسمي والصحي للنزلاء بخاصة إذا ما كانت أغلب الوجبات الغذائية تحتوي على

اللحوم (لحوم البقر والغنم والدجاج)، وجاء بالتسلسل المرتبي الثاني أن النزلاء أشاروا إلى نظافة الأواني التي يتم الطبخ فيها وكذلك الأواني التي يتناولون طعامهم فيها، فضلاً تخصيص أواني طعام خاصة لكل نزيل على حِدة لتجنب التلوث وانتقال العدوى وما شابه ذلك من أمور.

الجدول (١٩) يشير إلى عدد مرات استحمام النزلاء في السجن

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل يُسمح لك بالاستحمام في السجن ...؟:–		
أكثر من مرتين في الأسبوع	١٥	%٥
مرتين في الأسبوع	٨١	%٢٧
مرة أسبوعياً	١١٧	%٣٩
مرة كل أسبوعين	٧٢	%٢٤
مرة شهرياً	١٥	%٥
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

أجاب (٣٩%) من النزلاء أن الإدارة تسمح لهم بالاستحمام مرة واحدة أسبوعياً، بينما أوضح (٢٧%) منهم إلى أنهم كانوا يمكن أن يستحمون مرتين في الأسبوع، بينما أشار (٢٤%) منهم إلى أنهم يُسمح لهم بالاستحمام مرة كل أسبوعين، بينما تشابهت نسبة (٥%) من النزلاء بين من يُسمح لهم بالاستحمام أكثر من مرتين في الأسبوع، ومن يُسمح لهم بالاستحمام مرة واحدة شهرياً، وعند سؤال الموظفين العاملين ضمن الهرم الإداري في السجن[٥٤] أشار إلى أن مسألة الاستحمام والنظافة تكون مقترنة بالمناخ أي بالحرارة والبرودة فيمكن أن تُضاعف في الصيف، وتُحَجَّم في الشتاء حفاظاً على صحة النزلاء.

الجدول (٢٠) يبين مدى تنظيف قاعات احتجاز النزلاء يومياً والمواد المستخدمة في التنظيف

السؤال	التكرار	النسبة المئوية
هل يتم تنظيف قاعاتكم يومياً؟:–		
دائماً	٨٩	%٢٩,٧

أحياناً	١٨١	%٦٠,٣
نادراً	٣٠	%١٠
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**
إذا كان الجواب (دائماً) أو (أحياناً) فإن التنظيف يكون ..؟:-		
بالماء فقط	١٧٣	%٤٢,٣
بالمنظفات والمواد المعقِمة	١٢٧	%٥٧,٧
المجموع	**٣٠٠**	**%١٠٠**

أشار (٦٠,٣%) من أفراد العينة إلى أن القاعات التي يُحتجزون فيها يتم تنظيفها أحياناً، بينما (٢٩,٧%) منهم أوضح أنها دائماً ما يتم تنظيفها، وهذا دليل على الاهتمام بمعايير النظافة داخل قاعات الاحتجاز، وكان (١٠%) فقط من النزلاء قد أشاروا إلى أنه نادراً ما تتم عملية تنظيف القاعات، وعند سؤال النزلاء عن المواد المُستخدمة في التنظيف أوضح (٥٧,٧%) منهم أن التنظيف يتم بالماء فقط، فيما بَيَّنَ (٤٢,٣%) منهم أن التنظيف يتم بالماء والمواد المعقِمة والمطهِرة، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن النزلاء هم غالباً من تقع على عاتقهم مسؤولية تنظيف قاعاتهم.

المبحث الخامس/ نتائج البحث وتوصياته:-

أولاً: نتائج البحث:-

في ظل التحليل الذي أجراه الباحث في الجانب الميداني للبحث وفق إجابات أفراد العينة، ووقوفاً عند نوع دراستنا (التقويمية)، ارتأى الباحث تقسيم النتائج إلى جانبين إيجابي وسلبي وفقاً للمحاور التي تم تصنيفها في الجانب الميداني للبحث عند تحليل بيانات الجداول في المبحث الرابع، فكانت النتائج كما يأتي:-

١- الجانب الإيجابي:

أ- ففي محور الوضع الصحي للنزلاء أشارت نسبة (٨٥,٦%) من النزلاء إلى أن صحتهم جيدة نسبياً بالمجمل العام مع أنهم تعرضوا لبعض الأمراض والإصابات خلال فترات متقطعة داخل السجن، وأشار (٩٥,٧%) من المبحوثين إلى عدم وجود حالات تسمم يمكن أن تكون قد

حدثت داخل محيط السجن، وفي الحديث عن الأنشطة الرياضية أشار (٧٢,٧%) من أفراد العينة أن إدارة السجن تسمح لهم بممارسة الأنشطة والألعاب الرياضية سواءً الجسدية أو الذهنية، إذ أن ممارسة الألعاب يُشعِر النزيل بنوعٍ من الترويح والحيوية والنشاط البدني والنفسي، إلا أن هذه النشاطات تُحجَّم في الظروف الاستثنائية مثل (هروب السجناء، الأزمات السياسية للبلد، حالات العراك أو الشُجار بين النزلاء، وغيرها)، وأوضح (٥١,٣%) أنهم لا يتناولون أي حبوب أو علاجات خارج الاستشارات الطبية لأطباء المركز الصحي للسجن، حفاظاً على صحتهم من احتمالية انعكاس الآثار الجانبية لبعض العلاجات سلباً عليها.

ب– أما في محور العناية الطبية فقد تبين أن توفير العلاجات والأدوية وبعض الاختصاصات الطبية المهمة التي لا تتوفر في الكادر الصحي داخل الهرم الإداري للسجن هو ليس من صلاحية إدارة السجن حصراً، بل أنه مرتبط بوزارة العدل العراقية من جهة، ووزارة الصحة العراقية من جهةٍ أخرى، فقد تتأخر مثل هذه المسائل لحين مرورها بالقنوات الإدارية في وزارتي العدل والصحة، وهناك أمر آخر لا يمكن تجاهله هو أن بعض الأمور التي لا تخلو من أهمية كالتشميس: أي عرض النزلاء على الشمس يومياً لوقت معين، أو ممارسة الأنشطة الرياضية تكون مرتبطة غالباً بأوضاع السجون ككل وسجن بادوش بخاصة، فهذه الأنشطة تُمنع أو تحجّم في حالات هروب السجناء، والأزمات السياسية وغيرها، فضلاً عن أن إدارة السجن تتبع العديد من الخطوات المهمة التي من شأنها توفير الجوانب الإيجابية ذات العلاقة بالصحة ومنها تلك المشار إليها في محور الخدمات والنظافة.

ج– وفي مجال الصحة النفسية تبين أن (٦٧%) من أفراد العينة لا يلجأون إلى العلاجات والأدوية المخدِرة والمسكِنة والمسكِرة، مع إشارة أغلبهم إلى معاناتهم من اليأس والقلق والخوف من المستقبل والإحباط التي جاءت بالتسلسلات المرتبية الأولى والثانية والثالثة، ولا يمكن إغفال إشارة (٤٤,٣%) من النزلاء إلى وجود الوسائل الترفيهية داخل السجن وإن كانت بسيطة، فهذه نسبة قريبة من نصف العينة تقريباً.

د– وفيما يخص محور الخدمات والنظافة أشار (٤٩,٣%) من أفراد العينة في الجدول (١٧) أن مستوى وجبات الطعام المُقدَمة للنزلاء تكون جيدة من الناحية النوعية مما يعكس الفائدة الغذائية على الجانب الصحي للنزيل، وأكد أغلب النزلاء على ذلك في الجدول (١٨) حينما

أشاروا بأكثر من إجابة واحدة إلى أن الأمور التي تراعيها إدارة السجن في الجانب الغذائي والتي أخذت تسلسلاً مرتبياً متتالياً هي التنوع الغذائي، ونظافة أواني الطبخ وأواني الطعام، فضلاً عن تخصيص أواني طعام خاصة بكل نزيل، وفيما يخص استحمام النزلاء أشار (٣٩%) من النزلاء إلى أن إدارة السجن تسمح لهم بالاستحمام مرة واحدة أسبوعياً، بينما أوضح (٢٧%) منهم أنهم يستحمون مرتين أسبوعياً، وهذه واحدة من معايير النظافة المهمة التي تتبعها إدارة السجن، إلى جانب إشارة أغلب أفراد العينة أن قاعات احتجازهم تُنظف يومياً أو بين يومٍ وآخر سواءً بالماء أو المواد المعقِمة.

٢ـ الجانب السلبي:

أ- أما بالنسبة للجانب السلبي ففي محور الوضع الصحي للنزلاء أشارت نسبة (١٤,٣%) فقط من النزلاء إلى أن حالتهم الصحية كانت غير جيدة وأنهم يعانون من تفاقم حالتهم النفسية والصحية داخل السجن، وعندما رجعنا إلى العدد الكلي لأفراد العينة تبين أن (٧٠,٧%) منهم عانوا من أمراضٍ مختلفةٍ خلال فترة الحجز كما هو موضح في الجدول (٥)، سواءً في سجن بادوش المركزي أو مراكز التوقيف التي أتوا منها إلى السجن مما أوضح وجود نوع من عدم المصداقية عند بعض النزلاء في إجاباتهم وخاصة إذا ما عدنا إلى إشارة (٧٧,٤%) منهم إلى أنهم عانوا من هذه الأمراض بعد دخولهم سجن بادوش المركزي في نفس الجدول (٥)، بخِلاف إشارة (٢٢,٦%) من النزلاء الذين أوضحوا أنهم عانوا من هذه الأمراض قبل دخولهم السجن، أي في مراكز التوقيف التي جاءوا منها بفعل الظروف غير الملائمة صحياً في تلك المراكز بحسب إشارتهم ومنها انعدام النظافة وانتشار الروائح الكريهة والازدحام بفعل الأعداد الكبيرة للموقوفين التي لا تتلاءم وصغر حجم قاعات التوقيف، وكان من جملة الأمراض التي تعرض لها النزلاء كما أشاروا (أمراض المفاصل والأمراض الجلدية وآلام الأسنان والأنفلونزا ووجع الرأس والمغص وأمراض المعدة إلى جانب حالات القلق واليأس والإحباط) وغيرها من الأمراض الباطنية والنفسية وأمراض المفاصل والأسنان والجلدية.

ب- في محور العناية الطبية، أشار (٨٤,٧%) من المبحوثين، إلى أن الكادر الطبي المسؤول عن علاج أمراض وإصابات النزلاء في السجن لم يلتزم بإجراء فحوصات طبية دورية للنزلاء كإجراءات وقائية هدفها الحفاظ على صحتهم، وأشار (٧١,٣%) من النزلاء إلى عدم زيارة

الأطباء لهم للاطمئنان على وضعهم الصحي وهذه مسألة تعكس تقصير الكادر الطبي في السجن، وتقصير إدارة السجن التي يقع على عاتقها مسؤولية تأمين حقوق النزلاء وبضمنها الحقوق الطبية العلاجية والوقائية، وحتى النزلاء الذين أشاروا إلى أن هناك زيارات هدفها الاطمئنان على وضعهم الصحي ذكروا أنها غالباً ما تكون على فترات متقطعة، وقد أشار التسلسل المرتبي الأول في الجدول (١١) إلى أن النزلاء يضطرون إلى شراء الأدوية والعلاجات من حسابهم الخاص وأموالهم المودعة داخل السجن، بسبب ندرة بعض العلاجات (سواءً ما تعلق منها بالأمراض البسيطة أو المزمنة وما إلى ذلك) وعدم توفرها في السجن بحسب إشارة التسلسل المرتبي الأول في الجدول (١٢)، أما التسلسل الثاني في الجدول (١٢) فقد أشار إلى ضعف الاهتمام الصحي بالنزلاء أو عدم وجود أي نوعٍ من الاهتمام بهم سواءً وقائياً أو علاجياً، أما ثالثاً فقد أوضح أن هناك من الحالات المرضية ما لا يتلاءم مع اختصاصات الأطباء.

ج– وفي محور الصحة النفسية تبين أن هناك من النزلاء من يعانون من الأمراض النفسية كالقلق والإحباط واليأس والخوف من المستقبل وما إلى ذلك من أمراض ارتبطت بتناول نسبة من النزلاء للعلاجات والأدوية المهدئة والمسكِرة والمخدِرة، وخاصةً في ظل انعدام الوسائل الترفيهية داخل السجن، أو اقتصارها على بعض الوسائل الترفيهية البسيطة كالتلفزيون وبعض الأنشطة الرياضية المتواضعة والتي تُحجّم غالباً.

د– وفيما يخص محور الخدمات والنظافة تبين أن قاعات السجن تعاني من الرطوبة العالية وقلة تعرض النزلاء للشمس وضيق القاعات والازدحام فضلاً عن تلوث الجو بفعل التدخين وبعض الأمراض البسيطة، وهذا الأمر كان مرتبطاً بأعداد النزلاء الكثيرة قياساً بضيق قاعات الاحتجاز بحسب إشارة الجدول (١٦) إلى التسلسلات المرتبية الأولى والثانية والثالثة، مما انعكس سلباً على صحتهم.

ثانياً: توصيات البحث:-

١–يجب أن تكون هناك جهات أو لجان وزارية رقابية يقع على عاتقها توفير كل الحقوق الأساسية للنزلاء داخل محيط السجن وبضمنها الصحية.

٢- ضرورة وجود زيارات ميدانية للنزلاء للاطلاع على واقعهم الصحي عن كثب، وقد يكون من الممكن أن تتولى الإدارة المحلية أو مؤسسات المجتمع المدني ومؤسسات حقوق الإنسان مثل هذه المسائل.

٣- من الممكن أن تكون هناك محاضرات توعية يلقيها بعض الأطباء والمختصين والباحثين الاجتماعيين على النزلاء لغرض تعريفهم كيفية الحفاظ على الجوانب المرتبطة بأوضاعهم صحياً ونفسياً.

الهوامش:

(١) الانترنت، حمدان العمري، تعريف الصحة، موقع منظمة الصحة العالمية، الصفحة الرئيسية/ موسوعة مقالات صحية، ٣٠/ ٤/ ٢٠١٠،
http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=4f3b8442a5aa4cb4

(٢) الانترنت، إحسان عبد القادر، تعريف الصحة، منتديات برق، المنتديات الطبية، جدة، السعودية، ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٨، http://forum.brg8.com/t24079.html

(٣) الانترنت، المصدر نفسه.

(٤) الانترنت، المصدر نفسه.

(٥) الانترنت، سميرة أحمد، التنمية الاجتماعية والمصطلحات القريبة منها، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ٨/ ٢/ ٢٠٠٦،
http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=6263

(٦) محمد عبد الرحمن الجنيد جمل الليل، القواعد العامة للمحاكمة في إطار نظام الإجراءات الجزائية، لجنة رعاية السجناء والمفرج عنهم وأُسرهم بمحافظة جدة (تراحم)، بدون دار نشر، السعودية، ص٢.

(٧) الانترنت، أياد جرار، النزيل (الموقوف) ما له وما عليه وفق قانون مراكز الإصلاح والتأهيل الفلسطيني، شبكة أمين الإعلامية، صفحة قانون، فلسطين، ٢٩/ ٣/ ٢٠١٠،
http://blog.amin.org/eyad/page/11/

(٨) نجوى عبد الوهاب حافظ، رعاية الجمعيات الأهلية لنزلاء المؤسسات الإصلاحية، مطابع أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣، ص١١؛ الانترنت، مصطفى إبراهيم، حقوق نزلاء السجون ومراكز الإصلاح، المحاضرة الثالثة من دورة جسر الفجوات بين وسائل الإعلام والأجهزة الأمنية، موقع كان هناك، السعودية، ٢/ ٣/ ٢٠١١،
http://www.khaledsafi.com/2010/03

(٩) الانترنت، المصدر نفسه.

(١٠) عبد الله عبد الغني غانم، مجتمع السجن–دراسة انثروبولوجية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٥، ص١٤.

(١١) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(١٢) أحمد رضا، معجم متن اللغة، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٥٨، ص١٢.

(١٣) محمد بن مكرم أبن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث عشر، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٥٦، ص٢٠٣–٢٠٤.

(١٤) عبد الله البستاني، الوافي معجم وسيط للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٧٣.

(١٥) عبد الله بن محمد الناشئ الأكبر، مقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات، جمعها الصيفي أبو الفضائل أبن العسّال النصراني، تحقيق: يوسف فان آس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٧٠، ص١٠٢.

(١٦) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المجلد الثاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، مصر، ١٩٥٢، ص٢١٣.

(١٧) السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،المجلد الرابع، دار صادر،بيروت، لبنان، ١٩٦٦، ص١٢٤.

(١٨) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، المجلد السادس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢، ص٥٦.

(١٩) محمود نجيب حسني، السجون اللبنانية في ضوء النظريات الحديثة في معاملة السجناء، جامعة بيروت العربية، لبنان، ١٩٧٠، ص٣.

(٢٠) عبد الجبار عريم، الطرق العلمية الحديثة في إصلاح وتأهيل المجرمين والجانحين–بحث في نظرية الإصلاح المعاصرة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٥، ص٧.

(٢١) عبد الله عبد الغني غانم، مجتمع السجن–دراسة انثروبولوجية، مصدر سابق، ص١٣.

(٢٢) خالد أحمد زنيد، السجون في صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني، المجلد السادس عشر، ٢٠٠٠، ص٣.

(٢٣) نورة بنت بشير صنهات العتيبي، خدمات الرعاية الاجتماعية بسجن النساء بالرياض من منظور التخطيط والتطوير، مطابع جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩، ص٢٣.

(٢٤) عبد الجبار عريم، الطرق العلمية الحديثة في إصلاح وتأهيل المجرمين والجانحين–بحث في نظرية الإصلاح المعاصرة، مصدر سابق، ص١٠٥–١٠٨.

(٢٥) محمد سلمان العطار، الرعاية الاجتماعية ومعاملة المذنبين في ضوء المفاهيم الحديثة، دار التضامن للطباعة والنشر، بغداد، العراق، ١٩٦٦، ص١٢١.

(٢٦) المصدر نفسه، ص١٢١-١٢٤؛ محمود نجيب حسني، السجون اللبنانية في ضوء النظريات الحديثة في معاملة السجناء، بدون دار نشر، جامعة بيروت العربية، لبنان، ١٩٧٠، ص٩٨-١٠٣؛ ياسين محمد ناجي، دور المؤسسات العقابية في علاج وإصلاح وتأهيل المجرمين والجانحين، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، العراق، ١٩٩٠، ص٢٧٠-٢٧١.

(٢٧) نورة بنت بشير صنهات العتيبي، خدمات الرعاية الاجتماعية بسجن النساء بالرياض من منظور التخطيط والتطوير، مصدر سابق، ص٢٨٢-٣١٢.

(٢٨) محمود نجيب حسني، السجون اللبنانية في ضوء النظريات الحديثة في معاملة السجناء، مصدر سابق، ص٩٨-١٠١.

(٢٩) ياسين محمد ناجي، دور المؤسسات العقابية في علاج وإصلاح وتأهيل المجرمين والجانحين، مصدر سابق، ص٢٠٨، ٢٧٠-٢٧١.

(٣٠) عبد الله عبد الغني غانم، مجتمع السجن-دراسة انثروبولوجية، مصدر سابق، ص٥٣-٦٧.

(٣١) محمود نجيب حسني، السجون اللبنانية في ضوء النظريات الحديثة في معاملة السجناء، مصدر سابق، ص٩٩.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٩٩؛ محمد سلمان العطار، الرعاية الاجتماعية ومعاملة المذنبين في ضوء المفاهيم الحديثة، مصدر سابق، ص١٢١-١٢٢.

(٣٣) عبد الله عبد الغني غانم، مجتمع السجن-دراسة انثروبولوجية، مصدر سابق، ص٤٣.

(٣٤) محمود نجيب حسني، السجون اللبنانية في ضوء النظريات الحديثة في معاملة السجناء، مصدر سابق، ص١٠١.

(٣٥) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٣٦) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٣٧) المصدر نفسه، ص٩٩.

(٣٨) الانترنت، أحمد القطب، نقل نزلاء سجون حائل للمبنى الجديد، نسخة الكترونية من صحيفة الرياض اليومية عن مؤسسة اليمامة، العدد ١٤٤٦٤، السعودية، ٣٠/ ٢/ ٢٠٠٨، http://www.alriyadh.com/2008/01/30/article313198.html

(٣٩) محمد سلمان العطار، الرعاية الاجتماعية ومعاملة المذنبين في ضوء المفاهيم الحديثة، مصدر سابق، ص١٢٢.

(٤٠) نورة بنت بشير صنهات العتيبي، خدمات الرعاية الاجتماعية بسجن النساء بالرياض من منظور التخطيط والتطوير، مصدر سابق، ص٢٨٢.

(٤١) عبد الله عبد الغني غانم، سجن النساء–دراسة انثروبولوجية، المكتب الجامعي الحديث، محطة الرمل–الإسكندرية، مصر، ١٩٨٨، ص٧٨–٨٩.

(٤٢) فوزية عبد الستار، معاملة الأحداث: الأحكام القانونية والمعاملة العقابية، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٧٧–١٩٧٨، ص١٥٣، نقلاً عن ياسين محمد ناجي، دور المؤسسات العقابية في علاج وإصلاح وتأهيل المجرمين والجانحين، مصدر سابق، ص٢٧١.

(43) Turki Al-Turki, The Importance of Knowiedge of the Patient's cultural Background in the Practice of Psychiatry: A case Report (abstract), Journal of King Abdulaziz university, vol 11, 2003.

نقلاً عن الانترنت، المكتبة الافتراضية العلمية العراقية، www.ivsl.org.

(٤٤) محمود نجيب حسني، السجون اللبنانية في ضوء النظريات الحديثة في معاملة السجناء، مصدر سابق، ص١٠١.

(٤٥) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٤٦) المصدر نفسه، ص١٠٢.

(٤٧) محمد سلمان العطار، الرعاية الاجتماعية ومعاملة المذنبين في ضوء المفاهيم الحديثة، مصدر سابق، ص١٢٣.

(٤٨) المصدر نفسه، ص١٢٤.

(٤٩) الخبراء والمحكمين هم:–

١– د. حارث حازم أيوب/ رئيس قسم علم الاجتماع/ أستاذ مساعد/ جامعة الموصل.

٢– د. خليل محمد حسين/ أستاذ/ علم الاجتماع/ جامعة الموصل.

٣– د. عبد الفتاح محمد فتحي/ أستاذ مساعد/ علم الاجتماع/ جامعة الموصل.

٤– د. شلال حميد سليمان/ أستاذ مساعد/ علم الاجتماع/ جامعة الموصل.

٥– د. وعد إبراهيم خليل/ أستاذ مساعد/ علم الاجتماع/ جامعة الموصل.

٦– د. جمعة جاسم خلف/ أستاذ مساعد/ علم الاجتماع/ جامعة الموصل.

٧– د. حمدان رمضان/ أستاذ مساعد/ علم الاجتماع/ جامعة الموصل.

٨– د. حسن جاسم راشد/ مدرس/ علم الاجتماع/ جامعة الموصل.

(٥٠) إحسان محمد الحسن وعبد المنعم الحسني، طرق البحث الاجتماعي، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٢، ص٣٠.

(٥١) من المصادر ما ذكرت أن بادوش تبعد عن مدينة الموصل مسافة (٢٠) كيلو متراً، ومنها ما ذكرت أنها تبعد عن مدينة الموصل (٣٠) كيلو متراً، بينما أشارت بعض المصادر إلى أن المسافة التي تفصل بين بادوش

ومدينة الموصل هي (٤٠) كيلو متر تقريباً، لكن الأغلبية أشارت إلى أن المسافة الفاصلة بين بادوش ومدينة الموصل تقع بين (٢٠-٣٠) كيلو متراً تقريباً.

(٥٢) المعلومات عن سجن بادوش تم جمعها من مجموعة من مصادر المواقع الالكترونية المتفرقة ومنها ويكبيديا الموسوعة الحرة، فضلاً عن أن الجزء الأكبر من هذه المعلومات تم جمعها من خلال مقابلة الباحث لموظفين يعملون في سجن بادوش المركزي نفسه، وهذه المعلومات بحسب إشارة الموظفين موثقة في سجلات السجن، ولكن تعذر على الباحث الاطلاع عليها لضرورات أمنية أدعتها إدارة السجن.

(٥٣) مقابلة مع السيد ح. ن. ع.، في يوم الأربعاء الموافق ١٤/ ١١/ ٢٠١٢.

(٥٤) مقابلة مع السادة (ح. ن. ع.)، و(ي. ع. س.) في يوم الأربعاء الموافق ٢١/ ١١/ ٢٠١٢.

اختلالات العمل في المشاريع الصغيرة
ـدراسة ميدانية للمنطقة الصناعيةـ
الجانب الأيسر من مدينة الموصل أنموذجا

م. مرح مؤيد حسن•

تاريخ استلام البحث ٢٠١٣/١٢/٩
تاريخ قبول النشر ٢٠١٤/٣/٢

ملخص البحث

يتناول البحث المشاريع الصغيرة التجارية والصناعية والخدمية الموجودة في مدينة الموصل بالدراسة ويتعرف على واقع عملها، ويبرز الاختلالات الموجودة في هذه التنظيمات أثناء ممارسة العمل فيها، بوصف أن الخلل في العمل اتجاه سلبي في مجال التنمية يجب تلافيه، ضم البحث ثلاث مباحث الأول كان لتوضيح الإطار المنهجي للبحث، والثاني لتوضيح العوامل المؤثرة في عمل المشاريع الصغيرة أما المبحث الثالث فكان للجانب الميداني للبحث.

The disturbances of work in the small projects
A field study to industrial area at left side in city of Mosul

Lect. Marah . M. Hasan

Abstract

the research dealing with the commercial, industrial and services small projects in city of Mosul and identify it real work, Explain the trouble at this locations during time work because trouble of work that will reflected on the process of development negatively, the research included three point, firstly to explain the methodical side, secondly to explain the effective factory at work of small projects and third point focus on the field side of research

مقدمة

تفيد العديد من الدراسات العلمية الحديثة بأن النظريات التقليدية في مجال التنمية لم تتناول مفهوم العمل إلا في نطاق ضيق، إذ كانت تنظر للعمل على انه نشاط اقتصادي الهدف

• مدرس/ مركز دراسات الموصل

منه زيادة إنتاج المجتمع كما وكيفا في سبيل تحقيق الحاجات الاجتماعية والمادية للفرد والمجتمع، أما من وجهة نظر التنمية البشرية فان العمل فضلا عن ما سبق له خصائص وأبعاد إنسانية ومجتمعية تجعله من أهم العمليات الاجتماعية والإنسانية التي تساهم في تطور المجتمع إنتاجيا وفنيا وثقافيا، وبالتالي فأن النظرة إلى العمل قد تغيرت بشكل كبير عن ما كانت عليه في السابق.

وقد أصبح الاعتقاد السائد حاليا لدى الكثير من صانعي القرارات والسياسات بأهمية الدور الذي يؤديه العمل في المشاريع الصغيرة للتنمية في الدول الصناعية والنامية على حد سواء، هذا أدى إلى زيادة أعداد تلك المشاريع الصغيرة في كل أنحاء العالم، ففي العراق تشكل المشاريع الصغيرة ما نسبته ٩٩% من مجموع المشاريع الصغيرة والمتوسطة خلال المدة ١٩٨٨–٢٠٠١ ، وقد بلغ عدد المشاريع الصغيرة في العراق حوالي(١٧٩٢٩) مشروع عام ٢٠٠٣ يعمل فيها نحو(٥٠٢٠٧) عامل [١] وحسب الإحصاء المتوفر.

وتعاني تلك المشاريع الصغيرة من اختلالات في أدائها لعملها نتيجة لعوامل مختلفة داخل المشروع او خارجه تعيق الحصول على العمل بأبهى صورة وبالتالي يعد ذلك معوقا للتنمية، لذا جاءت فكرة البحث ليكشف عن تلك المعوقات والعوامل المؤثرة في حدوثها بغية تلافيها لتحقيق التنمية المنشودة.

ضم البحث (٣) مباحث تناول المبحث الأول الإطار المنهجي للبحث وتناول الثاني العوامل المؤثرة في عمل المشاريع الصغيرة، أما المبحث الثالث فخصص للجانب الميداني، تبعه عرض النتائج ومن ثم المقترحات والتوصيات.

المبحث الأول / الإطار المنهجي للبحث

تحديد مشكلة البحث

يمتاز العمل في القطاع الخاص وبخاصة في المشاريع الصغيرة بمزايا قد تؤدي بنا إلى وصفه محورا ضروريا لغرض تحقيق التنمية، وذلك إذا أحسن استخدام وتوجيه العوامل المؤثرة في إنجاح أي عمل او مشروع، والتي يكون مصدرها إما بيئة العمل نفسه او المحيط الخارجي، أما في حال الفشل في توجيه تلك العوامل او استثمارها بالشكل الصحيح فأن ذلك

سيؤدي حتما إلى حدوث اختلالات في مجال العمل لتلك المشاريع الصغيرة والتي تعد تنظيما اجتماعيا، وهذا بالتالي ينعكس بآثاره السلبية على التنمية.

إن فائدة العمل في المشاريع الصغيرة بالنسبة للتنمية تتمثل بقابلية تلك المشاريع المرنة وقدرتها على التكيف لمواجهة الظروف غير الطبيعية وخاصة في فترة الأزمات وهذا ما تعجز عنه المشاريع الكبيرة، كما آن العديد من المشاريع الصغيرة تعد ضرورة في السوق لتمكين المشاريع الكبيرة من انجاز أعمالها إذ تمدها بما تحتاج إليه من أدوات او مواد وسيطة في الإنتاج، هذا فضلا عن الإبداع و الأفكار الجديدة والابتكارات التي تكون وليدة العمل في المشاريع الصغيرة، كما أن للمشاريع الصغيرة دورا في التخفيف من حدة البطالة في المجتمع لما توفره من فرص عمل، وأخيرا إن انتظام الأفراد في الأعمال او المشاريع الأهلية الخاصة في اطر اجتماعية واقتصادية وثقافية مستقلة عن كيان الدولة يعني دخول المجتمع مرحلة الرشد[٢].

غير إن التغيرات المتسارعة وهي سمة العصر وقد تؤدي إلى حدوث اختلالات في العمل في تلك المشاريع تترك آثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية على العمال والعمل نفسه، منها على سبيل المثال التغيرات التقنية السريعة فبالرغم من أهميتها قد تكون سببا في اختلال العمل، فالآلة تؤدي إلى قتل ملكات الإنسان وتقضي على طاقاته وتدمر قدراته الإبداعية والفكرية واليدوية وقد تؤدي أيضا إلى البطالة فضلا عن اختلالات تتعلق بالتمويل فرغم وجود عدد كبير من المصارف ورغم البرامج التي تديرها المنظمات الحكومية وغير الحكومية لتوفير التمويل اللازم للمشاريع، إلا أن التمويل ما زال قاصرا ويقف حجر عثرة أمام نمو المشاريع الصغيرة.

لذا جاء هذا البحث ليتناول ما تتعرض له المشاريع الصغيرة في مجتمعنا الموصلي الصناعية والخدمية والتجارية من اختلالات في عملها والعوامل المؤثرة في ذلك، في منطقة تكثر فيها تلك المشاريع وهي المنطقة الصناعية في الجانب الأيسر من مدينة الموصل.

أهداف البحث

١- التعرف على واقع عمل المشاريع الصغيرة في مدينة الموصل

٢- تشخيص اختلالات العمل في تلك المشاريع وتقديم المقترحات لمعالجتها.

أهمية البحث

يعد البحث إضافة جديدة في حقل علم اجتماع التنمية لأنه يركز على مجال هام فيها وهو العمل ضمن تنظيم اجتماعي مترامي الأطراف إذ يهتم بدراسة العوامل المؤثرة على انجاز العمل من اجل تحسينه وتحريره من العوامل المعوقة حتى يتمكن من تحقيق الأهداف المنشودة للتنمية المستدامة بأعلى مستوى من الكفاءة والفاعلية.

كما تتجلى أهمية البحث في زيادة الاهتمام القطري والعالمي بالمشاريع الصغيرة والمتوسطة لكونها أكثر القطاعات قدرة على توفير فرص العمل، وتعمل على تشجيع المنافسة فضلا عن قدرتها على التكيف السريع مع السوق ومتطلباته لأنها تتميز بديناميكية عالية.

نوع البحث ومنهجيته

بعد البحث من البحوث الوصفية التحليلية استخدم فيه منهج المسح الاجتماعي عن طريق العينة فضلا عن المنهج المقارن.

العينة

تم اعتماد الأشخاص أصحاب المشاريع الصغيرة عينة للبحث بوصفهم الفئة الأكثر معرفة بمشاريعهم وبالاختلالات في العمل التي تعترض تلك المشاريع، ولغرض تحديد حجم العينة كان لابد من معرفة حجم مجتمع البحث، إلا أننا لم نستطع الحصول على العدد الفعلي للمشاريع الصغيرة المقامة في المنطقة الصناعية رغم الزيارات المتكررة لدائرة بيئة نينوى المسؤولة عن تسجيل تلك المشاريع ومنح موافقات الإنشاء، إذ امتنعت تلك المديرية عن الإدلاء بأي معلومة بحجة ضرورة اخذ الموافقات المسبقة من الوزارة، لذا استندت الباحثة إلى المخبرين من المنطقة الصناعية نفسها في تقدير تقريبي لأعداد المشاريع التجارية والصناعية والخدمية، وقد تم اعتماد ٢٥ مشروعا خدميا بوصفها الأوسع انتشارا و٢٠ مشروعا تجاريا و١٥ مشروعا صناعيا كعينة للبحث أي (٦٠) مشروع صغير بالإجمال.

أدوات البحث

كان الاستبيان إحدى أدوات البحث والذي وجه إلى أصحاب المشاريع للإجابة عليه وقد تم وضع الأسئلة التي عرضت على مجموعة من الخبراء *الذين ابدوا آرائهم وتصحيحاتهم لبعض فقراته، بعد ذلك تم توزيع الاستبيان على العينة بصورته النهائية، هذا فضلا عن

الاستعانة بالمقابلات التي أجريت مع عدد من أصحاب المشاريع الصغيرة للاطلاع على الواقع الفعلي في عملهم، كما استعان البحث بالمخبرين الذين يعملون في الميدان للحصول على بعض المعلومات، ولا ننسى الاستعانة بالأدبيات التي كتبت حول الموضوع.

مجالات البحث

المجال المكاني/ المشاريع الصغيرة في المنطقة الصناعية/ الجانب الأيسر من مدينة الموصل.

المجال البشري/ مالكي و أصحاب المشاريع الصغيرة

المجال الزماني/ الفترة المحصورة بين ٢٠١٣/٩/١- ٢٠١٣/١٢/١

الأساليب الإحصائية

$$\text{النسبة المئوية} = \frac{\text{الجزء}}{\text{الكل}} \times ١٠٠$$

$$\text{الوزن الرياضي} = \frac{\text{ك}_أ \times ٣ + \text{ك}_ن \times ٢ + \text{ك}_ل \times ١}{\text{ن} \times ٣} \times ١٠٠$$

ك د / تكرار فقرة دائماً ك أ / تكرار فقرة أحيانا ك ل / تكرار فقرة لم أتعرض

ن / حجم العينة

تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية

الاختلال disorders

هو مظاهر غير طبيعية تعمل على إحداث الضعف والوهن في التنظيم الاجتماعي تحرفه عن القيام بدوره وواجباته على الوجه الصحيح [٣] ، والتنظيم الاجتماعي الذي سيتم الكشف عن المظاهر غير الطبيعية فيه هو المشاريع الصغيرة في مدينة الموصل.

العمل labor

يعرف بأنه الجهد الإنساني المبذول في إنتاج وتوزيع السلع والخدمات من اجل تحقيق هدف اقتصادي والذي يستلم مقابله ثمن او تعويض [٤].وقد يكون العمل تطوعي ليس من وراءه هدف اقتصادي ولكنه يحقق أهدافا اجتماعية، إلا أن المقصود من العمل في بحثنا هو العمل في المشاريع الصغيرة التي تحقق أهدافا اقتصادية واجتماعية معا.

المشاريع الصغيرة small projects

تعرف بأنها مجموعة من الأنشطة الاستثمارية المرتبطة والتي تنفذ بطريقة منظمة ولها نقطة بداية واضحة ولها دورة حياة محددة لتحقيق بعض النتائج التي ترضي صاحب العمل وقد يكون المشروع تجاريا او خدميا او اجتماعيا[٥]، والمشاريع الصغيرة بشكل عام هي تلك المشاريع التي تستخدم عددا قليلا من العاملين وتدار من قبل المالكين وتخدم السوق المحلية [٦].

وهناك أيضا ما يُعرف بالمشاريع المتوسطة والمشاريع الكبيرة، ويتم تصنيف هذه المشاريع حسب معايير متعددة كمعيار عدد العمال(وهو الأكثر شيوعا) او معيار رأس المال او معيار الإنتاج او معيار حجم ونوعية الطاقة المستخدمة، وتختلف الدول فيما بينها في تصنيف المشاريع. فمنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية والبنك الدولي يريان أن عدد العاملين في المشاريع الصغيرة يتراوح ما بين(١٠–٥٠) عامل،[٧] في حين صنفت الأردن المشاريع الصغيرة بأنها تلك التي يعمل بها ما بين(٥–٢٤) شخص[٨]، أما في العراق فهي تلك التي تستخدم اقل من عشرة أشخاص، ويعزى هذا التباين إلى تباين إمكانات وقدرات الدول وظروفها الاقتصادية، فالمشاريع التي تعد صغيرة او متوسطة الحجم في الدول الصناعية تعد كبيرة في الدول النامية[٩]، إلا أن الجميع يتفق على أن المشاريع الصغيرة عادة ما تكون ضمن إطار القطاع الخاص بعكس المشاريع الكبيرة فهي من حصة حكومات الدول.

أما تعريفنا الإجرائي للمشاريع الصغيرة هي مجموعة منوعة من التنظيمات الاجتماعية يتم فيها مزاولة الإعمال الصناعية او الخدمية او التجارية او يمتلكها أصحابها ويشّغلون عمالة فيها بحدود ١٠ أشخاص او اقل لينتجوا سلعة او يقدموا خدمة في ورشة او مصنع او محل وبالتالي تعود بالنفع عليهم وعلى الآخرين.

المنطقة الصناعية industrial area

تتعدد استعمالات الأرض في المدينة لتشتمل على عدة مناطق سكنية وصناعية وتجارية وترفيهية و دينية [١٠]، و تعرف المنطقة الصناعية بأنها منطقة معينة من الأرض تقع ضمن النسيج الحضري مخصصة للصناعة تم تقسيمها او تخطيطها بشكل مناسب وفق خطة

شاملة تحقق التكامل في الهيكل الحضري وظيفيا وجماليا وتقدم كافة التسهيلات والخدمات التي تتطلبها المنطقة من اجل خلق بيئة صناعية مناسبة [١١]، وقد يطلق عليها أيضا المدينة الصناعية .والمنطقة الصناعية في مدينة الموصل تضم أيضا المشاريع التجارية المختلفة من محلات وكذلك معارض بيع السيارات ومشاريع خدمية كالورش والمطاعم وغيرها فضلا عن المعامل والورش الصناعية، لذا فأن تعريفنا الإجرائي للمنطقة الصناعية:-

هي مساحة من الأرض خصصتها الدولة لممارسة الأعمال ضمن مشاريع، وتضم في الأغلب المشاريع الصغيرة الصناعية (المعامل و ورش) ومشاريع خدمية كالورش والمطاعم و مشاريع تجارية (معارض و محلات متنوعة).

المبحث الثاني / العوامل المؤثرة في عمل المشاريع الصغيرة

إن نجاح او فشل العمل في أي مشروع تنموي صغير او كبير يعتمد أساسا على مجموعة من العوامل المترابطة فيما بينها، إذ قد تعد هذه العوامل صمام الأمان الذي يدفع بالمشروع إلى الأمام ويحقق أهدافه التنموية المنشودة بالنسبة للفرد والمجتمع إذا استخدمت بصورة صحيحة، وفي حال عدم التمكن من التعامل مع تلك العوامل بموضوعية وحكمة فأن هذا بالطبع سيعود بالضرر على تلك المشاريع ويخل بنظامها ويفقدها قدرتها على أداء عملها كما هو مخطط له،ا كما يؤدي إلى عدم الرضا عن العمل وقلة الإنتاج والشعور بالاغتراب وهذا ما نسميه باختلال العمل على سبيل المثال وجود نقص واضح في قواعد البيانات الاجتماعية والاقتصادية والسلوكية لكثير من الدول، اذ ان ما توفر تحتكره الجهات الحكومية بدافع عدم اجازة نشرها[١٢]. وفيما يلي إيضاح لأهم العوامل المؤثرة في عمل أي مشروع وتوجهاته الايجابية والسلبية.

١-اليد العاملة/ من بين العوامل المؤثرة على عمل المشاريع الصغيرة هو العمالة من حيث أعدادها ونوعها والخبرة التي تمتلكها والخلفية الثقافية والفروق الاجتماعية فيما بينها والعلاقات الإنسانية التي تتعامل بها.

فمن حيث عدد العمال لابد من توفر عدد كاف من اليد العاملة يتناسب مع حجم العمل، هذا العدد يُحدد من قبل صاحب المشروع، إلا أن هناك اختلالا في هذا المجال يتمثل بغياب العمال، فالغياب ظاهرة مرضية تعاني منها المشاريع او أي عمل يستخدم عددا من الأفراد،

فهو قصور من جانب العمال في الحضور للعمل في الوقت الذي يجب أن يكونوا فيه مما يخلق مشكلة إذ يُعرقل الإنتاج ويفقد التناسق(١٣)، وقد يحدث العكس أي زيادة في أعداد العاملين عن الحاجة الفعلية مما يؤدي إلى ما يعرف بظاهرة البطالة المقنعة إذ تذهب كثير من القابليات والإمكانات سدى دون استثمار حقيقي لها، وهذا معوق تنموي واختلال في مجال العمل، ويمكن رؤية هذه الحقيقة في الدول التي تكثر فيها العمالة الوافدة مثل دول الخليج(١٤).

إن العمل في المشاريع الصغيرة لا يقتصر بالضرورة على العمل الصناعي فقد يكون مشروع زراعي او خدمي او مشروع تجاري او صحي إلى آخره، وان العمل في أي مجال مهني يحتاج إلى توفر عمالة من (٣) فئات هي فئة المتخصصين وهي تحتاج إلى تأهيل وإعداد على مستوى عال في الجامعات كالمهندسين، وفئة الفنيين التقنيين ويتم إعدادهم في المعاهد والمدارس المهنية مثل مساعدو المهندسين ومراقبوا العمل، وفئة العمال ويتم إعدادهم ضمن برامج خاصة للتعليم والتدريب المهني بعد التعليم الإلزامي مثل العامل الماهر وشبه الماهر(١٥).

و من اختلالات العمل في المشاريع الصغيرة والمؤثرة في التنمية هو عدم تلاؤم المخرجات التعليمية مع الحاجة في سوق العمل فلا يوجد اهتمام من الدولة في توفير الكوادر الفنية الوسيطة التي تخدم القطاع الخدمي والتجاري والصناعي، على سبيل المثال عدم تقديم الحوافز والدعم للمدارس المهنية لتخريج كوادر فنية مؤهلة، فضلا عن انه بعد التطور الحاصل في المجال التكنولوجي يجب الاهتمام بالتدريب المهني والفني وخاصة في المجال الصناعي الذي يعتمد على استخدام التقنية الحديثة كاستخدام الحاسوب في طرق الإنتاج الحديث(١٦).

إن اختيار العمالة الصالحة للعمل على أساس الاستعدادات والقدرات ليس كافيا فهي تحتاج إلى التدريب والتوجيه، فللتدريب فوائده المتعددة ليس فقط زيادة الكفاءة الإنتاجية فهو يقضي او يحد من حدوث بعض المشكلات مثل كثرة إصابات العمل وكثرة التلف وسوء الاستخدام ويقلل من النفقات، وعن طريق التدريب يتم تعلم الطرق السليمة للعمل والاطلاع على احدث ما وصل إليه العلم وهو مطلب تنموي(١٧).

أما العلاقات الإنسانية بين العاملين في أي مشروع فان لها تأثيرها المباشر على نجاح او اختلال العمل، ونعني بالعلاقات الإنسانية كافة الروابط والصلات التي تقوم بين إدارة المشروع والعاملين فيه وبين العاملين مع بعضهم وبينهم وبين العمل نفسه[١٨]، فنمو المشروع وازدهاره يعتمد على نشاط العاملين فيه ومدى شعورهم بالترابط والانتماء، وقد أظهرت نتائج بعض الدراسات مدى أهمية العلاقات الإنسانية، فالجماعات غير الرسمية التي تكون علاقات فيما بينها تمارس تأثيرا واسعا على سلوك وإنتاجية العمال فقد تلجأ هذه الجماعة إلى تقييد العمل من اجل المحافظة على وحدة الجماعة وتماسكها،فالعمل نشاط جماعي وان الحاجة إلى التقدير والأمن والشعور بالانتماء له أهمية كبيرة في إشباع الحاجات وتحقيق الرضا عن العمل[١٩]ونجاحه.

وفي هذا الاتجاه يدخل التصادم الثقافي بين العاملين في المشاريع معيقا لعمل وتنمية تلك المشاريع فقد تتباين الخلفيات الطبقية او الدينية او المذهبية او القومية بين العاملين مما يؤدي إلى تكوين جماعات فرعية داخل المشروع تنعزل اجتماعيا عن الجماعة الأخرى على الرغم من قيامها بعمل واحد مما يؤدي إلى الخلل في العمل.

ويأتي عمر العامل أيضا عاملا مهما من لعوامل المؤثرة في عمل المشاريع الصغيرة إذ يعد عمل العامل الصغير السن خللا واضحا سوف نقوم بإيضاحه مفصلا في فقرة الرقابة والتشريعات.

٢ـ التقنية الحديثة

تعد التقنية الحديثة روح التغير الاجتماعي المرتقب لكل مجتمع، وحسب تقرير اليونسكو **تعد التقنية ثقافة. فاستعمال آلة معينة والقدرة على صيانتها والتحكم في إنتاجها بحيث يخضع للمواصفات التي صممت الآلة بها هي كلها أمور لا تقتضي فقط مستوى محدد من التعليم والمعرفة في فروع التخصص بل تتطلب أيضا قبل ذلك أن يحمل المرء المتعامل مع الآلة مجموعة من الأفكار والقيم التي تنتمي إلى المناخ الفكري والثقافي المحيط بتلك الآلة أصلا[٢٠] ، لذا وحتى يؤدي عامل التقنية مهامه في العمل بنجاح وخاصة في مجتمعنا الذي يستورد التقنية من الدول المصنعة لها يجب مراعاة انتقاء التقنية المناسبة لبيئتنا والمتجاوبة مع أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية وتطوير تلك التقنية بما يناسبنا بعيد عن التقليد الأعمى[٢١]،**

بخاصة أن مجتمعنا العراقي ونتيجة لما مر به من ظروف حصار وحروب قد تأخر تقنيا وأصبحت آلات المعامل والورش قديمة حتى أن ما نسبته ٨٠% من المنشئات الصناعية قد توقفت عن العمل حتى عام ٢٠٠٣، اذ وجد الشارع العراقي نفسه أمام تدفق هائل من السلع الواردة من الخارج والتي تتمتع بميزات تنافسية أفضل من السلع المحلية وتباع بفارق سعري كبير، الأمر الذي أدى إلى تهميش الصناعات المحلية لاسيما أن المنتج المستورد مدعوم من قبل الدولة المصدرة له، وهذا بالطبع أحدث خللا في عمل تلك المشاريع[٢٢]، هذا فضلا عن الصعوبات المصاحبة لاستيراد التقنية الحديثة والأجهزة او استيراد المواد الأولية الداخلة في الصناعة او الخدمة المقدمة للفرد من فرض ضرائب ورسوم كمركية إلى مشكلات النقل وارتفاع التكاليف إلى آخره مما يؤدي بأصحاب المشاريع إلى اللجوء إلى الآلات المستهلكة وإعادة صيانتها واستخدامها او تدوير وإعادة تصنيع بعض المواد الأولية مما يؤثر على الجودة بالطبع وهذا خلل في العمل أيضا ومعوق للتطور.

٣ـ الاستقرار الأمني والسياسي

يعد الاستقرار الأمني والسياسي لأي بلد من الركائز المهمة في تطور المجتمعات ونجاح مشاريعها الاستثمارية ، وحدوث أي اضطراب في احد الجوانب السياسية او الأمنية للبلد تؤدي إلى حدوث خلل في أداء تلك المشاريع، ففي فلسطين على سبيل المثال أكدت دراسة أن ما نسبته ١٠٠% من المستثمرين يجمعون على أن التبعية الكبيرة لإسرائيل والإغلاق المتكررة للمعابر هي من أهم المعوقات التي تواجه الاستثمار[٢٣]. وفي العراق الذي شهد تقلبات سياسية كثيرة وضعف امني ترك بآثاره السلبية على كل مفاصل الحياة ومنها المشاريع الصغيرة، فهناك الانسدادات العديدة للطرق وكثرة السيطرات التي تؤخر وتعيق الوصول إلى العمل في الوقت المناسب كما تعيق وتعرقل الحصول على السلعة والخدمة التي تنتجها تلك المشاريع، وكذلك الحال بالنسبة للحصول على المواد الأولية، هذا فضلا عن ما يتعرض له أصحاب المشاريع من عمليات الابتزاز من جماعات إرهابية وكثرة عمليات النصب والاحتيال، آن تلك الأمور بمجموعها تشكل خللا وظيفيا في عمل المشاريع الصغيرة.

٤ـ طرق المواصلات والبنية التحتية

بما أن معظم المشاريع الصغيرة تتركز في المنطقة الصناعية، لذا لابد أن تقوم الدولة بتوفير خدمات البنية التحتية لكي تستطيع تلك المشاريع أداء عملها بنجاح وتقليل التكاليف على صاحب المشروع، ومن بين تلك الخدمات الإمدادات الكهربائية عالية الطاقة وخاصة للمعامل وإمدادات المياه كبيرة الحجم وخطوط غاز كبيرة السعة وخدمات رفع النفايات[٢٤]، إن عدم توفير خدمات البنية التحتية للمنطقة الصناعية يشكل عائق وخلل للعمل وتؤثر على كلفة الخدمة والمنتج فعدم توفر الكهرباء الوطني المستمر على سبيل المثال يؤدي إلى الاستعانة بالمولدات الكهربائية مما يرفع من الكلفة المالية للمشروع.

أما بخصوص طرق المواصلات ووسائل النقل، وبما أن المناطق الصناعية تقع ضمن مساحة من الأرض بعيدة عن المناطق السكنية، فلا بد من توفير طرق مواصلات جيدة مؤدية إليها إذ أن للنقل أهميته للمشاريع لنقل الأفراد او السلع التي يجب أن تنقل بأقل تكلفة وبأسرع وقت ومن دون أن تتعرض للتلف، لذا قد يلجا أصحاب المشاريع إلى النقل الخاص او النقل العام، ومن وسائل النقل المعتمدة الشاحنات والنقل الجوي وهي الأكثر تكلفة، والموانئ والسكك الحديدية وهي اقل تكلفة[٢٥].

٥ـ الرقابة والتشريعات

تؤثر السياسة العامة للدولة على عمل المشروعات الصغيرة ويظهر تأثيرها بأسلوبين الأول الدعم والمساعدات الحكومية لتشجيع المشاريع الصغيرة، والثاني القوانين والأنظمة للرقابة على عمل تلك المشاريع، ويشارك في هذا الدور الرقابي كل من وزارة البيئة ووزارة الصحة و وزارة العمل والهيئات الشعبية المسؤولة عن البيئة والبلدية[٢٦].

ويمثل الجهاز الرقابي العمود الفقري لإدارة العمل إذ منحه المشرع حق دخول المشروع بحرية تامة والحصول على المعلومات واستجواب العمال وأصحاب العمل مجتمعين او منفردين والاطلاع على كل ما أوجبه قانون العمل، وترك له حرية إبداء النصح والمشورة او تحرير العقوبات، لقد اهتمت الدول على اختلاف أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية بهذا الجهاز وركزت عليه منظمة العمل الدولية، ومن مهامه أيضا مراقبة ظروف الوقاية والسلامة ومراقبة السجلات والعلامات والاتصال بالنقابات، كما له جانب وقائي هو العمل على الوقاية

من حوادث العمل والأمراض المهنية وحل النزاعات بين العمال [٢٧]، وتعمل الأجهزة الرقابية على مراقبة المخلفات السائلة والصلبة للمشاريع مثال ذلك عدم السماح بتصريف أي مادة قابلة للاشتعال وعدم السماح بتصريف الزيوت والشحوم غير القابلة للذوبان في الماء إذ يجب أن تعالج معالجة خاصة قبل طرحها في أنابيب الصرف الصحي، ومن الأعمال الرقابية أيضا التأكد من مطابقة المنتج للمواصفات القياسية[٢٨]، إذ تزايد أعداد المصانع غير المرخصة والتي تنتج بدون مواصفات وسيطرة نوعية بسبب انحسار دور الدولة الذي أدى إلى الإضرار بسمعة المنتج العراقي وبالتالي أدى إلى عزوف الناس عن البضائع المحلية، وهذا اختلال في عمل المشاريع وبالتالي خلل تنموي.

وفي اتجاه آخر يعد الاهتمام بالأطفال وإعدادهم لتحمل أعباء الحياة من أساسيات ومتطلبات التنمية وأكد ميثاق حقوق الطفل العربي على حق الطفل في رعاية الدولة وحمايتها له من الاستغلال والإهمال الجسماني والروحي، وان تنظم عمالته بحيث لا تبدأ إلا في سن مناسبة بحيث لا يتولى عملا او حرفة يضر بصحته او يعرضه للمخاطر او تعرقل تعليمه او تحجب نموه العقلي والبدني[٢٩]. ومن مخاطر نزول الأطفال إلى العمل تسرب كثير من الأطفال عن الدراسة وتركهم لها واللجوء إلى العمل إضافة إلى استغلال نسبة كبيرة منهم ووجود انعكاسات نفسية على الطفل عندما يجد أقرانه في المدارس وتحت رعاية اسر تحميهم ويجد نفسه في الشارع يعمل، وفي العراق حدد قانون العمل رقم٦١ لسنة١٩٨٧سن العمل للأطفال ب١٥ عاما وشرع فصلا كاملا لعمالة الأطفال حدد فيه أوقات عملهم واستراحتهم ويمنع امتهان حقوقهم، واليوم في العراق ما يقارب من مليون وثلاثمائة ألف طفل يعمل في أعمال مختلفة في الورش والمعامل وهذا خلل آخر في العمل[٣٠]، لذا تقوم وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بتشكيل فرق للرقابة والتفتيش وتقوم بزيارات ميدانية الى المشاريع وورش العمل للتحري عن أي مخالفات في قانون العمل[٣١].

٦ـطرق دعم المشاريع

ويعد من أهم العوامل الداخلة في نجاح او فشل العمل في المشاريع الصغيرة ، إن دعم المشاريع الصغيرة غالبا ما تقع على عاتق الدولة، ومن ضمن المساعدات التي تقدمها منح

مساحات معينة من الأراضي لإقامة المشاريع الصناعية والزراعية والتجارية عليها او قد تأخذ شكل إعفاء ضريبي لعدة سنوات او تتعاقد الحكومة مع بعض المشاريع لإنتاج السلع والخدمات(٣٢)، واخبرا تأخذ تلك المساعدات طريق تقديم القروض والمنح.

قد يواجه أصحاب المشاريع الصغيرة عدة مشكلات منها الرسوم الكمركية على المواد مما يؤدي إلى ارتفاع تكاليف الإنتاج، فضلا عن ارتفاع تكاليف الإنشاء والتشغيل والتخزين والتوزيع والصيانة فيدفعهم هذا إلى طلب الدعم المالي من الدولة إذ أن الأموال الشخصية في الغالب تكون غير كافية، وتكون مساهمة الدولة في تمويل المشالريع عن طريق مؤسسات تمويلية مملوكة كليا او جزئيا للدولة، ويمكن أن تصنف إلى مؤسسات متخصصة بالتمويل، البنوك التجارية، مؤسسات أخرى مثل التأمين والضمان الاجتماعي(٣٣)، ويكون التمويل قصير او متوسط او طويل الأمد.

إن التمويل عامل هام في نجاح العمل في المشاريع الصغيرة والقضاء على الخلل الناتج من عدم الكفاية المالية كما أنها مطلب تنموي، إذ تعمل المؤسسات التمويلية على حشد وتجميع المدخرات ثم توجيهها إلى الاستثمار في المشاريع المختلفة، كما أن التمويل يساهم في القضاء على البطالة إذ تعمل على خلق مشاريع جديدة أي فرص عمل جديدة، إذ أن معظم الداخلين على عالم العمل الحر لا يملكون المال الكافي لتمويل مشاريعهم (٣٤)، وقد أكدت دراسات أن توفر رأس المال من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج.

وفي العراق تأسست الشركة العراقية لتمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة عام ٢٠٠٩، تهدف إلى تحويل المنح التي تحصل عليها إلى رأس مال للإقراض يقدم إلى المصارف المساهمة التي يوجد فيها وحدات الإقراض للمشاريع الصغيرة او المتوسطة، إذ هناك ما يقارب مئة الف مشروع صغير ومتوسط في العراق، ولكن بفائدة تبلغ ١٠% ويتراوح المبلغ من ثلاثمائة الف دينار عراقي الى ستة ملايين (٣٥).

المبحث الثالث/ الجانب الميداني للبحث

موقع ونوع المشاريع الصغيرة في مدينة الموصل

عند اختيار الموقع لإقامة أي مشروع صغير أم متوسط أم كبير يجب النظر إلى جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية منها بعد المشروع عن السوق والمواد الأولية

والأيدي العاملة وخدمات النقل وطبيعة المناخ إلى آخره، وغالبا ما تتجمع المشاريع الصغيرة والمتوسطة وخاصة في الدول النامية في مكان محدد داخل المدينة تحدده بلدية المدينة ودائرة التخطيط العمراني فيها، وذلك لكونها مشاريع خفيفة تلبي الحاجات الاستهلاكية للسكان وترتبط مع السوق مباشرة وبالتالي فأنها تتداخل مع الاستعمالات الأخرى التجارية والخدمية في بعض الأحيان، على عكس الصناعات الثقيلة التي يكون موقعها خارج المدينة[٣٦].

إن الفائدة من تجميع المشاريع في مكان واحد هو لتوفير البنى التحتية التي تحتاجها تلك المشاريع كما يساعد ذلك على إنشاء مصانع وورش بمواصفات جيدة، كما إن تجمعها يسهل من توفير الحماية لها من قبل أجهزة الشرطة والأمن، كما أن تجمعها يحفز أصحاب رؤوس الأموال على العمل بمبدأ المناولة او العقد بالباطن وهو اشتراك عدة مشاريع او ورش في إنتاج منتج معين، هذا فضلا عن بعدها عن المناطق السكنية.

وفي مدينة الموصل منطقتان صناعيتان احداهما في الجانب الأيمن من المدينة والأخرى في الجانب الأيسر(عينة البحث) وهذه تكون محصورة من نهاية شارع باب شمس حتى بداية شارع الكرامة من جهة ومن نهاية حي الميثاق إلى بداية منطقة كوكجلي من جهة أخرى.

تضم المنطقة الصناعية للجانب الأيسر من المدينة عددا من المشاريع الصغيرة الصناعية والتجارية والخدمية، فالمشاريع الصناعية تتمثل بالمعامل وتضم معامل أنتاج الاجباس والعصائر والسكاكر والملح ومعامل التعبئة والتعليب لبعض المواد الغذائية ومعامل إنتاج الثلج والمياه المعدنية ومعامل المناديل الورقية، أما المشاريع الخدمية فتضم ورش تصليح السيارات بمختلف تخصصاتها من تصليح محركات السيارات إلى حدادي السيارات إلى كهربائية السيارات وورش تصليح تبريد السيارات وورش صبغ السيارات هذا إلى جانب ورش عمل الأبواب والشبابيك وكراجات غسل وتشحيم السيارات ومحلات تبديل زيوت السيارات فضلا عن وجود المقاهي والمطاعم،أما المشاريع التجارية فتتمثل بمحلات بيع المواد الاحتياطية و معارض بيع وشراء السيارات.

عرض الاستمارة الاستبيانية و تحليلها

جدول (١) البيانات العامة

نوع المشروع	تجاري	صناعي	خدمي	المجموع
العدد	٢٠	١٥	٢٥	٦٠
%	٣٣،٤	٢٥	٤١،٦	١٠٠

مدة إقامة المشروع بالسنوات	١-٣	٤-٦	٧-٩	١٠ فأكثر	المجموع
العدد	١١	٩	١٨	٢٢	٦٠
%	١٨،٣	١٥	٣٠	٣٦،٧	١٠٠

التحصيل الدراسي لصاحب المشروع	دراسات عليا	كلية او معهد	ثانوية	ابتدائية	أمي	المجموع
العدد	٢	١٠	١٩	٢٧	٢	٦٠
%	٣،٣	١٦،٧	٣١،٧	٤٥	٣،٣	١٠٠

ملكية المشروع	لشخص واحد	مجموعة شركاء	المجموع
العدد	١٧	٤٣	٦٠
%	٢٨،٣	٧١،٧	١٠٠

بالنسبة لما يتعلق بعدد المشاريع التجارية والخدمية والصناعية فقد سبق أن أوضحنا عند حديثنا عن العينة كيفية احتسابها، إذ كانت المشاريع الخدمية بما تمثله من ورش تصليح لأغراض متعددة فضلا عن المطاعم والمقاهي هي الأكثر انتشارا مقارنة بالمشاريع الأخرى، تلتها المشاريع التجارية بما تمثله من محلات بيع الأدوات الاحتياطية ومعارض السيارات وما شابه، وكانت حصة المشاريع الصناعية هي الأقل وهذا يعكس ضعف الجانب الصناعي بالرغم

من كون المشاريع صغيرة وقد يعود سبب ذلك إلى حاجة تلك المشاريع الى الإمكانات المادية العالية او الخبرة المتخصصة في العمل مقارنة بالمشاريع التجارية والخدمية الموجودة.

كما يمكن ملاحظة أن اغلب تلك المشاريع قد مضى على تأسيسها سنوات عديدة، فالنسبة الأكبر قد مضى على تأسيسها أكثر من ١٠ سنوات، والنسبة التي تلتها كانت للمشاريع التي مضى على تأسيسها (٧–٩) سنوات أي بعد الاحتلال وانهيار بعض المؤسسات الرسمية مما أدى إلى اتجاه البعض للأعمال الحرة.

وعند النظر إلى التحصيل الدراسي لأصحاب تلك المشاريع نلحظ انخفاض التحصيل العلمي عند الأغلبية، وهذا يرجع إلى أن معظم هؤلاء قد بدأوا حياتهم المهنية وهم صغار السن ثم أكملوا مشوارهم المهني بفتح مشاريع خاصة بهم بعد أن كانوا يعملون عند الغير، أما النسبة الأقل كانت لمن يحمل شهادة جامعية او معهد او من أصحاب الشهادات العليا التي اضطرتهم ظروف الحياة وكسب الرزق وعدم توفر فرص العمل الحكومية إلى الالتجاء لإقامة مشاريع صغيرة لهم.

وبالنظر إلى الجدول السابق نلاحظ أن معظم أصحاب تلك المشاريع لم تكن لهم القدرة المالية او الخبرة الكافية على فتح تلك المشاريع لوحدهم بل استعانوا بآخرين شاركوهم بالمال والخبرة والعمل لفتح تلك المشاريع.

بعد هذا العرض الإجمالي عن المشاريع الصغيرة وأصحابها في المنطقة الصناعية /الجانب الأيسر لابد من الدخول إلى تفاصيل عمل تلك المشاريع و الاختلالات التي تعاني منها من زوايا متعددة، وفيما يلي تفصيل بذلك:–

أولاـ فيما يتعلق بأختلالات اليد العاملة والخبرة في ميدان العمل

جدول (٢) التحصيل الدراسي للعاملين في المشاريع

نوع المشروع / التحصيل الدراسي	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	ت.م	ك	ت.م	ك	تا.م
معهد او جامعة	٨	٢	١	٥	٢	٥
مدارس مهنية	٢	٥	٢	٤	٦	٤

متوسطة او إعدادية	٩	١	٥	٣	٨	٣
ابتدائية	٥	٣	١٣	١	١٩	١
من دون شهادة	٣	٤	١٠	٢	١٧	٢

في أي مشروع صغير او كبير نحتاج إلى أشخاص يملكون الخبرة والمعرفة العلمية لتشغيل تلك المشاريع، وقد تتكون الخبرة أما عن طريق الممارسة او عن طريق المعلومات العلمية التي يحصل عليها الشخص من دراسته، وعدم توفر عاملين يمتلكون قدرا كافيا من التعليم يعد خللا في اليد العاملة قد يؤثر على عمل بعض المشاريع وبالتالي يشكل خللا تنمويا، ومن ملاحظة الجدول السابق يتبين انخفاض المستويات التعليمية وخاصة للعاملين في المشاريع الصناعية والخدمية، إذ احتلوا المواقع المتقدمة من التسلسل المرتبي في حين احتل التعليم الجامعي المرتبة الأخيرة، كما نلاحظ تحسنا نسبيا في المستوى التعليمي للعاملين في المشاريع التجارية مقارنة بالمشاريع الخدمية والصناعية.

جدول (٣) الحاجة إلى اليد العاملة المتخصصة في العمل

نوع المشروع / وجود متخصصين	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	٤	٢٠	٢	١٣،٤	٧	٢٨
لا	١٦	٨٠	١٣	٨٦،٦	١٨	٧٢
المجموع	٢٠	١٠٠	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠

مثلما تعد الحاجة إلى مستوى تعليمي جيد مطلبا تنمويا وانخفاضه يعد خللا في عمل المشاريع ،فأن الحاجة إلى متخصصين في العمل من أصحاب المشاريع او العاملين فيها مطلبا آخر، فالمدارس المهنية على سبيل المثال ترفد المجتمع بأشخاص متخصصين في العمل التجاري والصناعي وأعمال الميكانيك والكهرباء وما شابه يمكن الاستفادة من تخصصاتهم وإمكاناتهم العلمية والعملية في المشاريع على اختلاف أنواعها، ولغرض التعرف إن كانت مشاريعنا تمتلك تلك اليد العاملة المتخصصة أم لا قمنا بسؤال المبحوثين عن توفر تلك التخصصات في مشاريعهم وكانت الإجابة بأن الأنواع الثلاثة من المشاريع النسبة الأكبر من

العاملين فيها من غير ذوي الاختصاص وهذا يؤثر سلبا على الإنتاج ونوعية الخدمة المقدمة، فعدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب يعد خللا في ميدان العمل.

جدول (٤)

كفاية اليد العاملة في المشاريع

نوع المشروع / كفاية اليد العاملة	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	٢٠	١٠٠	٩	٦٠	١٨	٧٢
لا	–	–	٦	٤٠	٧	٢٨
المجموع	٢٠	١٠٠	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠

أسباب عدم كفاية اليد العاملة	ك	تسلسل مرتبي
كثرة التغيب عن العمل	٨	٢
قلة العاملين بسبب الانتظام بالدراسة	١٢	١
المطالبة بأجور مرتفعة	٥	٣
نوع العمل متعب ومرهق	٣	٥
طول ساعات العمل	٤	٤

إن وجود الأيدي العاملة الكافية في أي مشروع خدمي أم صناعي أم تجاري يساعد على السرعة في إنتاج العمل او تأدية الخدمة وعدم توفر العاملين لأي سبب كان قد يؤدي إلى عرقلة العمل او توقفه خاصة إذا كان العامل من أصحاب الخبرة والدراية في العمل، وفي عينتنا لم نلاحظ ظهور مشكلة نقص الأيدي العاملة نهائيا في المشاريع التجارية ربما يرجع ذلك إلى سهولة العمل فيها، ونجده بنسبة بسيطة في الأعمال الخدمية وترتفع هذه النسبة أكثر في المشاريع الصناعية التي تحتاج إلى أعداد اكبر من العاملين ، وعند سؤال ال ١٣ مبحوث الذين أجابوا بوجود النقص لديهم عن سبب النقص في توفر الأيدي العاملة كان السبب الأول هو انتظام العاملين في الدراسة وهذا ما يحدث للعاملين الذين يعملون في فترة العطلة الصيفية ويكون هناك اعتماد عليهم في العمل وعند حلول الموسم الدراسي الجديد يتركون العمل

ويلتحقون بالدراسة وهذا نجده واضحا في المشاريع الصناعية، وكان السبب الثاني هو كثـــرة التغيب لأسباب تتعلق بالعامل نفسه او لأسباب خارجة عن إرادته مثل غلق الطريق وما شـــابه تليها الأسباب الأخرى التي يمكن متابعتها من الجدول السابق.

جدول (٥) العلاقات بين العاملين

نوع المشروع / العلاقات بين العاملين	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	%	ك	%	ك	%
تعاونية	١١	٥٥	٤	٢٦،٧	٥	٢٠
تنافسية	٧	٣٥	٩	٦٠	١٤	٥٦
عدائية	٢	١٠	٢	١٣،٣	٦	٢٤
المجموع	٢٠	١٠٠	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠

إن نوع العلاقات التي تربط العاملين مع بعضهم البعض ذات اثر كبير على سير العمل داخل أي مشروع، فان صلحت تلك العلاقات وكانت مبنية على الاحترام المتبادل والتعاون فـــي العمل أدى ذلك إلى حسن سير العمل ، أما إذا حدث العكس وكانت العلاقات عدائيـــة و تحـــدث فيها المشاحنات والتكتلات بين العاملين لاختلافات مذهبية او لاختلافات في مستوى التعلـــيم او في المهارة إلى آخره فانه بالطبع يعد خللا ينعكس بآثاره على عمل تلك المشاريع، غيـــر أن العلاقات التنافسية في مجال العمل وليست العدائية لا تخلو من بعض الايجابيات في العمـــل، إذ إنها تحفز العامل على تحسين العمل الذي يقدمه كما ونوعا من اجل إرضاء صاحب العمـــل او لزيادة الأجر، وهذا ما نلاحظه فعلا في اغلب العلاقات بين العاملين في المـــشاريع الـــصناعية والخدمية إذ تكثر فيها المنافسة لوجود عدد من اليد العاملة مقارنة بالمشاريع التجارية التـــي ترتفع فيها نسبة العلاقات التعاونية لقلة الأعداد العاملة في كل مشروع، وهذه النتائج ايجابيـــة فيما يتعلق بالعلاقات بين العاملين في المشاريع فنسبة العلاقات العدائية منخفضة قياسا بالنسب الأخرى.

جدول (٦) العمل على تطوير الخبرة

نوع المشروع / تطوير الخبرة في العمل	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	١٠	٥٠	١٢	٨٠	١٦	٦٤
لا	١٠	٥٠	٣	٢٠	٩	٣٦
المجموع	٢٠	١٠٠	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠

طرق تطوير الخبرة	ك	تسلسل مرتبي
الاطلاع على احدث ما توصل إليه العلم في ميدان العمل	٥	٣
تدريب الكادر العامل في المشروع من قبل متخصص او ذو خبرة	١٤	٢
الاستفادة من خبرات المشاريع المشابهة	٢٩	١

يلاحظ في الجدول السابق أن النسبة الأعلى من أصحاب المشاريع تعمل على تطوير مشاريعها وزيادة خبرة العاملين فيها للوصول إلى أفضل منتج او خدمة وهو مطلب تنموي في ميدان العمل، وتبدو الرغبة في مجال التطوير واضحة في المشاريع الصناعية إذ تحتاج تلك المشاريع إلى التقنية في العمل والمكائن والمعدات المختلفة، فعلى صاحب العمل أن يعمل على الاستمرار بتطوير عمله ورفده بأحدث الأجهزة وتدريب العاملين عليها وإلا فان مشروعه يكون عرضة للخسارة إذ تشتد روح المنافسة بين تلك المشاريع في الإنتاج من حيث جودته وكميته، وكذلك الحال بالنسبة للمشاريع الخدمية والتجارية فان المنافسة هي الدافع الأكبر وراء الرغبة في التطوير، ومن بين ال ٣٨ صاحب مشروع أجابوا بأنهم يعملون على تطوير مشاريعهم أي بنسبة ٦٣،٤% كان أسلوبهم في تطوير عملهم هو الاستفادة والاطلاع على خبرات المشاريع المشابهة ثم تطبيقها في مشاريعهم، إذ حصلت تلك الطريقة على التسلسل المرتبي الأول وهذا ابسط طريق لهم ويؤكد ما ذكرناه من وجود المنافسة في العمل بين العاملين داخل المشروع وبين أصحاب المشاريع المتشابهة، تلاه تدريب الكادر من قبل متخصص او ذو خبرة وهذه الطريقة يمكن ملاحظتها في المشاريع الخدمية والصناعية إذ يستعان عادة بمن له خبرة طويلة في العمل في تدريب العاملين قليلي الخبرة كما يستعان

بذوي الخبرة في تعليم العاملين في المشاريع الصناعية. مثلا كيفية تشغيل او صيانة آلة او ماكنة إلى آخره، أما الاطلاع على احدث ما توصل إليه العلم فجاء بالتسلسل الأخير إذ أن هذا الاطلاع يحتاج إلى التواصل الاجتماعي مع العالم الخارجي عن طريق السفر او الانترنت وهذا غير متوفر لدى عينتنا.

ثانيا.فيما يتعلق بأختلالات التقنية و مدخلات ومخرجات العمل

جدول (٧) منشأ الأدوات و المواد العينية المستخدمة في المشروع*

نوع المشروع / المنشأ	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	%	ك	%	ك	%
محلي	٤	٢٠	٧	٤٦،٧	٩	٣٦
مستورد	٢٠	١٠٠	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠

* لان المبحوثين أجابوا على أكثر من خيار لذا تم إلغاء حقل المجموع

في مجال التقنية والأدوات والمواد الداخلة في أي مشروع صناعي أم تجاري أم خدمي كان الاعتماد الأساس على المواد المستوردة سواء أكانت مكائن أم أدوات عمل أم مواد أولية داخلة في الإنتاج وبنسبة ١٠٠% يقابلها اعتماد جزئي على بعض الإنتاج المحلي كبعض أجزاء من ماكنة او بعض قطع الغيار التي يمكن أن تصنع حسب طلب الزبون من قبل عامل الخراطة (التورنا) وغالبا ما يكون المنتج المحلي اقل جودة وأغلى ثمنا لأنه يعتمد على خامات مستعملة أصلا ثم تعاد صناعتها من جديد، وهذا بالطبع يمثل خللا في مجال العمل إذ يواجه صاحب العمل صعوبات تتعلق باستيراد التقنية او تتعلق بالصيانة إلى آخره، مما يعطي انطباعا عن ضعف التنمية التقنية والصناعية في بلدنا فإذا كان هذا حال المشاريع الصغيرة فكيف هو حال المشاريع الكبيرة؟.

وبعد أن عرفنا أن معظم التقنية او الآلات الداخلة في عمل المشاريع الصغيرة مستوردة أردنا أن نعرف هل يعاني أصحاب المشاريع من مشكلات متعلقة بتلك التقنية أم لا وكانت إجابات أصحاب معظم المشاريع الصناعية والتجارية كما في الجدول(٨) بأنهم يعانون من وجود مشكلات، وبنسبة اقل تصل إلى نصف حجم العينة تقريبا بالنسبة لاصطحاب المشاريع الخدمية ووجود نسبة كبيرة كما في الجدول يعني خللا في عمل المشاريع، أما عن

أكثر المشكلات انتشارا فهي تأخير وصول التقنية او المواد، فعادة ما يتم استيراد تلك المواد من مناشئ مختلفة وتدخل إلى القطر عن طريق دول الجوار ونتيجة لعدم الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة اثر ذلك على وصول البضاعة، فقد تخضع لعمليات الفحص والشحن والتفريغ مثل استيراد السيارات او المواد الأولية الداخلة في عمل معامل الاجباس على سبيل المثال، وتأتي مشكلة الصعوبات المالية بالدرجة الثانية من التسلسل فالاستيراد يكون بكميات كبيرة عادة وتحتاج إلى رأس مال عالي، وتأتي عدم القدرة على تشغيل او صيانة تلك التقنية بالمرتبة الأخيرة، وهذه المشكلة تتواجد أكثر في المشاريع الصناعية إذ أن حداثة الآلات المستوردة تحتاج إلى خبرة متجددة في كيفية التعامل معها وتشغيلها وصيانتها، وعدم توفر تلك الخبرة تعد عائقا ومشكلة يعاني منها صاحب المشروع.

جدول (٨) مدى وجود مشكلات تتعلق بالتقنية او الآلات المستخدمة في العمل

نوع المشروع / وجود المشكلات	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	١٩	٩٥	١٣	٨٦،٧	١٣	٥٢
لا	١	٥	٢	١٣،٣	١٢	٤٨
المجموع	٢٠	١٠٠	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠

المشكلات	التكرار	التسلسل المرتبي
صعوبة مالية في عملية استيراد التقنية	٣٨	٢
تأخير في وصول التقنية او المواد	٤٤	١
لا أجد من يجيد تشغيل او صيانة تلك التقنية	٢٣	٣

ثالثا.فيما يتعلق بأختلالات الاستقرار الأمني والسياسي

جدول (٩) مدى التعرض لصعوبات تتعلق بالاستقرار الأمني والسياسي

نوع المشروع / التعرض للصعوبة	تجاري				صناعي				خدمي			
	دائما	أحيانا	لم أتعرض	*و.ر	دائما	أحيانا	لم أتعرض	و.ر	دائما	أحيانا	لم أتعرض	و.ر
تأخرك او تأخر العاملين في الوصول إلى العمل بسبب انقطاع الطرق وكثرة السيطرات	٥	١٥	–	٧٥	٤	١٠	١	٧٣،٣	٨	١٣	٤	٧٢
صعوبة وصول الزبائن إلى مكان العمل بسبب انقطاع الطرق وكثرة السيطرات	٩	٦	٥	٧٣،٣	٣	٧	٥	٦٢،٢	٤	١٧	٤	٦٦،٦
صعوبة توزيع المنتج او الحصول على المادة اللازمة للعمل بسبب انقطاع الطرق وكثرة السيطرات	–	٢	١٨	٣٦،٦	١٢	٣	–	٩٣،٣	٣	٦	١٦	٤٩،٣
تعرض بعض العاملين للاعتقال والمداهمات والتفتيش المستمر للمنطقة الصناعية	٤	٨	٨	٦٠	٣	٩	٣	٦٦،٦	٦	١٤	٥	٦٨

*** و.ر تعني الوزن الرياضي**

وفيما يتعلق بالاستقرار الأمني والسياسي اتضح أن ابرز صعوبة تكمن عند أصحاب المشاريع الصغيرة الصناعية متمثلة بصعوبة توزيع المنتج او الحصول على المواد اللازمة للعمل بسبب انقطاع الطرق وكثرة السيطرات، آذ حصلت على وزن رياضي بلغ ٩٣،٣ بينما حصلت تلك النقطة على أوطأ الأوزان في المشاريع الخدمية والتجارية والسبب في ذلك أن المشاريع الصناعية عبارة عن معامل إنتاجية لسلعة تنتج المادة بكميات كبيرة ثم تقوم بتوزيعها على الأسواق المنتشرة في المدينة او حتى إلى خارج حدود مدينة الموصل في بعض الأحيان أي إلى القرى والنواحي، وهذا التوزيع يكاد يكون يوميا مما يضطرهم إلى كثرة التعامل مع الشارع الذي يُقطع فجأة او بصورة مستمرة مما يضطر السائق إلى تغيير الطريق في أحيان او لا يستطيع الوصول في أحيان أخرى مما يربك العمل ويرفع تكاليف الإنتاج وهذا خلل تنموي، أما المشاريع الأخرى فلا تمتلك هذه الخصوصية في العمل لذا لا تظهر عندها تلك

الصعوبة واضحة، أما الصعوبات الأخرى من تأخر وصول العاملين او الزبـــائن او التعـــرض للاعتقال والمداهمة فهي صعوبات موجودة عند أنواع المشاريع الثلاثـــة وبـــأوزان رياضـــية متقاربة يمكن ملاحظتها من الجدول (٩).

رابعاـقيما يتعلق بأختلالات البنية التحتية ووسائل النقل

جدول (١٠) الخدمات غير المتوفرة للمشاريع

نوع المشروع / عدم توفر الخدمة	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	تسلسل مرتبي	ك	تسلسل مرتبي	ك	تسلسل مرتبي
أنابيب مياه صالحة للشرب	–	–	–	–	–	–
أنابيب للصرف الصحي	–	–	–	–	٤	٣
كهرباء وطني مستمر طـــول فترة العمل	–	–	–	–	–	–
خدمات بلدية لرفع النفايات	٥	١	١١	٢	١٨	٢
وقود كاف من غاز او نفط	٣	٢	١٥	١	٢١	١

وفيما يتعلق بالاختلالات المتعلقة بالبنية التحتية المتمثلة بتوفر المياه الصالحة للشرب وتوفر الكهرباء الوطني لم نلحظ وجود أي خلل ، إذ تتوفر المياه النقية كما يتوفر الكهربـــاء الوطني بصورة مستمرة منذ الصباح حتى الثالثة عصرا وبعدها يمكن الاعتماد على المولـــدات الأهلية، بينما ظهر لنا خلل واضح في خدمات البلدية المتعلقة برفع النفايات إذ يعاني أصـــحاب المشاريع من قلة تواجد سيارات رفع النفايات على الرغم من كثرة مخلفات تلك المنطقة، رغم انه من الضروري أن تجرى عمليات معينة على بعض المخلفات قبل رميهـــا مثـــل الـــشحوم والزيوت الداخلة في عمل بعض المشاريع الخدمية لكي لا تؤدي إلى تلوث البيئة، كما انه مـــن الضروري أن تقوم الدولة بتوفير ما تحتاجه المشاريع وخاصة الصناعية والخدمية من وقـــود

كالنفط او الغاز وهذا الأمر غير متوفر إذ يقوم أصحاب المشاريع بشراء ما يحتاجوه بأسعار تجارية.

جدول (١١) مدى وجود مشاكل في النقل

نوع المشروع / وجود مشاكل النقل	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	٩	٤٥	١٤	٩٣،٣	٨	٣٢
لا	١١	٥٥	١	٦،٧	١٧	٦٨
المجموع	٢٠	١٠٠	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠

نوع المشكلة	التكرار	تسلسل مرتبي
صعوبة الحصول على وسيلة نقل مناسبة	٦	٣
ارتفاع تكاليف النقل	١٦	٢
تأخير في عملية النقل	٢٥	١

أن لموضوع النقل أهميته في عمل المشاريع وذلك للحاجة إليه في نقل المنتجات والمواد الأولية والآلات وما شابه، وأي مشكلة في عملية النقل تعد خللا في العمل، ومن ملاحظة الجدول (١١) ظهر إن هناك خللا واضحا في النقل وبخاصة في المشاريع الصناعية التي تكون في حاجة متواصلة إلى وسائل النقل الصغيرة والكبيرة (سيارات الحمل والشاحنات) من والى مصانعهم، إذ بلغت نسبة من يعاني منهم من مشاكل النقل ٩٣% واكبر مشكلة تواجه أصحاب المشاريع المختلفة هي مشكلة التأخير في عملية النقل، فأزدحام الطرق ووجود السيطرات وغلق الطرق أمام الشاحنات وعدم السماح لهم بالسير إلا بعد الساعة الثانية ظهرا من أسباب ذلك، هذه المشكلة دفعت بالسواق إلى رفع أجرتهم مما ولد مشكلة ارتفاع أجرة النقل عند أصحاب المشاريع، أما المشكلة الأخيرة في التسلسل هي صعوبة الحصول على وسيلة نقل مناسبة.

خامساً فيما يتعلق بأختلالات الرقابة والتشريعات

جدول (١٢) الجهة الرقابية التي تزور المشروع

نوع المشروع / الجهة الرقابية	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	ت.م	ك	ت.م	ك	ت.م
دائرة صحة نينوى	–	–	١٥	١	١٦	٢
مديرية بيئة نينوى	–	–	١٠	٣	١٩	١
بلدية الموصل	٦	١	١١	٢	١٥	٣

تظهر أهمية الرقابة في كونها تشخص الخلل الموجود في العمل وتعمل على ازالته، وبالنسبة للجهات الرقابية التي لها علاقة بالمشاريع هي دائرة صحة نينوى ومديرية بيئة نينوى وبلدية الموصل، ويبدو أن المشاريع الصناعية هي صاحبة النصيب الأكبر من الرقابة وبالدرجة الأولى من دائرة صحة نينوى (قسم الرقابة الصحية) هذا القسم مسؤول عن زيارة المشاريع الصناعية وخاصة الغذائية منها والمطاعم، إذ تقوم بفحص المنتج دوريا للتأكد من سلامته وفحص العمال والتأكد من ارتدائهم لزي العمل المناسب كما تمنح الإجازة الصحية، أما مديرية بيئة نينوى فهي المسؤولة عن منح موافقات لإنشاء المشاريع في المواقع المختلفة وهل هي ملائمة للبيئة آم لا وتضع شروط للمحافظة على البيئة يجب مراعاتها، فضلا عن دور دائرة التنمية الصناعية في بغداد التي تمنح شهادات التأسيس، أما دور بلدية الموصل فيكمن في أن اغلب الأراضي التي تقام عليها المشاريع هي ملك للدولة ممثلة بالبلدية التي تمنح الأراضي إلى أصحاب المشاريع عن طريق تأجيرها لهم بعقد طويل الأجل ودورها الرقابي يتمثل في توجيه الإنذارات في حالة عدم دفع بدلات الإيجار المستحقة، أما العقوبات التي توجهها الأجهزة الرقابية إلى المشاريع المخالفة فتتراوح بين الغرامة التي قد تصل إلى مائة مليون حسب مقابلة أجريت مع احد موظفي مديرية بيئة نينوى او توجيه الإنذارات او غلق المشاريع في حال تكرار المخالفة.

سادساـ فيما يتعلق بأختلالات التمويل

جدول (١٣) مدى الاستفادة من القروض المصرفية

نوع المشروع / الاستفادة من القروض	تجاري		صناعي		خدمي	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	١	٥	٣	٢٠	١	٤
لا	١٩	٩٥	١٢	٨٠	٢٤	٩٦
المجموع	٢٠	١٠٠	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠

أسباب عدم الاستفادة	التكرار	تسلسل مرتبي
لدي قدرة شخصية على تمويل مشروعي	٢٣	٣
مبلغ الفائدة المطلوب كبير	٤٥	٢
لا أتعامل مع المصارف الربوية	٥٥	١
صعوبة الإجراءات المصرفية	١٦	٤
المبلغ الذي يعطيه المصرف غير كاف	٧	٥

لرأس المال أهمية في نجاح او فشل المشروع أيا كان نوعه لهذا من واجب الدولة أن تقوم بدعم أصحاب المشاريع الصغيرة برأس مال كاف يكون معينا لهم على بدأ مشاريعهم وهو مطلب تنموي، وبالفعل قامت الدولة بتقديم عروض عبر البنوك بصيغة قروض تعطى لأصحاب المشاريع، إلا أن نسبة الاستفادة منها ضئيل جدا إذ لا يتجاوز عدد المستفيدين ٥ من ٦٠ صاحب مشروع رغم الحاجة الماسة إلى رأس المال لتنمية المشاريع، وأهم سبب في امتناع هؤلاء من اخذ مبلغ القرض هو أن البنوك المانحة للقروض هي بنوك تتعامل بالفائدة أي تضع لها نسبة من الأرباح والتعامل بالفائدة محرم في ديننا الإسلامي فضلا عن ارتفاع نسبة الفائدة الذي اعتبر سببا تاليا في التسلسل، كما أن الإجراءات المصرفية للحصول على القرض فيها بعض الصعوبة إذ تحتاج إلى كفالة عقار او ماشابه، مما شكل خللا تنمويا لعمل المشاريع.

استنتاجات البحث

تعاني مشاريعنا الصغيرة من جملة من الاختلالات في عملها مما يؤثر على نجاحها سلبا ويعيق تقدمها وتطورها وبالتالي يعيق تحقيق التنمية المنشودة في مجال العمل، وفيما يلي بيان ابرز الاختلالات التي تعاني منها المشاريع الصغيرة في المنطقة الصناعية/ الجانب الأيسر من مدينة الموصل أنموذجا

١–انخفاض نسبة الأيدي العاملة التي تمتلك قدرا كافيا من التعليم وخاصة في المشاريع الصناعية والخدمية.

٢– انخفاض نسبة الأيدي العاملة التي تمتلك تخصصا فنيا او علميا في مجال العمل لجميع المشاريع الصناعية والتجارية والخدمية.

٣–نسبة قليلة من أصحاب المشاريع تعاني من عدم كفاية الأيدي العاملة والسبب الأكثر انتشارا لذلك هو انتظام العاملين في الدراسة عند حلول الموسم الدراسي الجديد.

٤– نسبة قليلة من أصحاب المشاريع تعاني من وجود علاقات عدائية بين العاملين في مشاريعها، إذ العلاقات التعاونية والتنافسية هي السائدة.

٥–وجود نسبة من أصحاب المشاريع لا يعملون على تطوير خبراتهم وخبرات العاملين في مشاريعهم، تتدرج النسبة في ارتفاعها إذ تبلغ أعلاها عند أصحاب المشاريع التجارية، ثم الخدمية ثم الصناعية التي على العكس تبذل جهدا في تطوير خبرتها.

٦–الاعتماد الكلي للمشاريع بأنواعها الصناعية والتجارية والخدمية على المادة الأولية والتقنية والبضاعة المستوردة وعدم الاعتماد على الإنتاج المحلي.

٧– معاناة معظم المشاريع التجارية والصناعية التي تعتمد على المادة المستوردة من تأخير الوصول.

٨–يعاني أصحاب المشاريع من صعوبة توزيع المنتج او الحصول على المادة الأولية، وتظهر هذه المعاناة بوضوح عند أصحاب المشاريع الصناعية وذلك بسبب انقطاع الطرق وكثرة السيطرات.

٩-تعاني المشاريع الصغيرة بأنواعها الثلاثة من قلة توفر الخدمات البلدية لرفع النفايات التي هي من ضمن خدمات البنية التحتية.

١٠- لا يتوفر لدى المشاريع الثلاثة الوقود(غاز، نفط) مدعوم من قبل الدولة بل يعتمدون على السوق التجارية

١١-يعاني أصحاب المشاريع الصناعية بالأخص من مشكلة النقل من حيث تأخيره وارتفاع كلفته.

١٢- ضعف دور الدولة في تقديم تسهيلات مالية لغرض إنشاء او تطوير المشاريع على اختلاف أنواعها واعتماد الدولة على القروض ذات الفائدة المرفوضة من قبل معظم الناس.

التوصيات والمقترحات

١- ضرورة قيام الدولة بتقديم تسهيلات مادية وغير مادية الى فئة الفنيين وخريجي المدارس المهنية عند رغبتهم بإقامة مشاريع للاستفادة من تعليمهم وخبرتهم وتخصصهم في العمل.

٢- العمل على رفع الفائدة من القروض المصرفية وتقليل الروتين المصاحب لها لكي يتمكن صاحب المشروع من الاستفادة الفعلية من القروض.

٣- عدم تقييد سيارات النقل بالسير في أوقات محددة بل السماح لهم بالسير حسب ظروف العمل والوقت الملائم لصاحب المشروع.

٤- ضرورة قيام وزارة النفط بدعم المشاريع بما يحتاجوه من الوقود بأسعار مدعومة أسوة بأصحاب المولدات

٥- ضرورة قيام بلدية الموصل بالاهتمام بالجانب الجمالي والصحي في المنطقة الصناعية بالعمل على الرفع اليومي للنفايات وتنظيف الشوارع العامة والفرعية.

٦- العمل على إيجاد جهة منسقة تعمل على تنسيق العمل بين المشاريع الصغيرة والمتوسطة والكبيرة بحيث توفر المشاريع الصغيرة ما تحتاجه المشاريع الأكبر وهذا يؤدي إلى تقليل الجهد والكلفة.

٧– حماية المنتجات المحلية من الإنتاج المستورد من خلال وضع تعرفة كمركية مرتفعة ووضع رقابة صارمة على المنتجات والمواد الداخلة في مدى مطابقتها للمواصفات العالمية مع تشجيع وتطوير الإنتاج المحلي.

الهوامش

الخبراء

* **خليل محمد الخالدي/ أستاذ/ قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل**
  عبد الفتاح محمد فتحي/ أستاذ مساعد/ قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل
  حارث حازم أيوب/ أستاذ مساعد/ قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل
  إيمان عبد الوهاب موسى/ مدرس/ قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل

(١) نبيل جعفر عبد الرضا، المشاريع الصغيرة في العراق
www.ahewar.org/debat/showw.art.asp?aid=307005

(٢) محمد محفوظ، "العمل الأهلي والتنمية الثقافية رؤية في المهام والآفاق"، مجلة الكلمة، عدد٢، بيروت، ١٩٩٤، ص١١.

(٣) نور يحي يوسف. الاختلالات في التنظيم الاجتماعي للمجتمع العراقي، دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل، رسالة ماجستير في علم الاجتماع غير منشورة، كلية الآداب/ جامعة الموصل،٢٠١١، ص٧.

(٤) حمدان رمضان محمد خليل، المشكلات الاجتماعية للعمال في المجال الصناعي، دراسة ميدانية في مدينة الموصل، رسالة ماجستير في علم الاجتماع غير منشورة، كلية الآداب/ جامعة الموصل. ١٩٩٩، ص١٧.

(٥) سيد كاسب وجمال كمال الدين، المشروعات الصغيرة الفرص والتحديات، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث، كلية الهندسة/ جامعة القاهرة، ٢٠٠٧، ص٧.

(٦) ماجدة العطية، إدارة المشروعات الصغيرة، ط٤، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص ١٥.

(٧) نبيل جعفر عبد الرضا، المشاريع الصغيرة في العراق، مصدر سابق.

(٨) ماجد بدر، "دور الصناعة الصغيرة والمتوسطة في الاقتصاد الأردني"، مجلة العمل، عدد٣٧، وزارة العمل والتنمية الاجتماعية، الأردن، ١٩٨٧، ص٣٧.

(٩) نبيل جعفر عبد الرضا، مصدر سابق.

(١٠) محمد صالح ربيع العجيلي، جغرافية المدن ، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٠، ص٩١.

(١١) محمد محمود إبراهيم الدين، المستعمرات الصناعية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣، ص٩.

(12) OMAR BAGOUR, 'Work Papers Topics and Recommendations of the Fourth Saudi_Businessmen Conference',_Journal of King Abdulaziz University : Economics and. Administration Volume: 2 Issue: 1,1989 Pages: 331

نقلا عن المكتبة الافتراضية العراقية على الموقعwww.ivsl.org

(١٣) صباح احمد النجار، "ظاهرة التغيب في المنطقة الصناعية، دراسة ميدانية في مصانع السمنت في نينوى"، مجلة آداب الرافدين، عدد٣١، كلية الآداب/ جامعة الموصل، كانون الأول ١٩٩٨، ص٣٥٨.

(١٤) سوق العمل الخليجي ٢٠١١/٨/١٢ www.alanba.com.kw/ar/kuait-news/402411

(١٥) منذر المصري، التطور التكنولوجي والاحتياجات التدريبية، مجلة العمل، عدد٣٧، وزارة العمل والشؤون للاجتماعية، الأردن، ١٩٨٧،ص٤٣.

(١٦) سوق العمل الخليجي، مصدر سابق.

(١٧) محمد عثمان نجاتي، "التدريب الصناعي"، مجلة كلية الآداب، ج٢، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٢، ص١١٩-١٢٢.

(١٨) ربحي محمد الحسن، " العلاقات الإنسانية في العمل"، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد١، كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة الكويت، نيسان ١٩٧٦، ص٢٤.

(١٩) فايز المجالي،" اثر بيئة العمل الاجتماعية على الرضا عن العمل"، مجلة مؤته، عدد ٨، مج١٤، الاردن، ١٩٩٩، ص٢١١،٢٠٨.

(٢٠) بثينة سعد، "التصادم الثقافي في العمل الصناعي"، مجلة العلوم الإنسانية، عدد١١، جامعة منتوري/ قسنطينة، ١٩٩٩، ص١١٣.

(٢١) الطاهر جغيم،"بعض أساليب التنظيم والتسيير ومشكلاته في المؤسسة الصناعية بالجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، عدد١٢، جامعة منتوري/ قسنطينة،١٩٩٢، ص٤٨.

(٢٢) حسين الدبوس، الصناعات العراقية والتحديات الراهنة٢٠٠٩/١٢/٨

www.shafaaq.com/sh2/index.php/..../8541

(٢٣) محمد مصطفى محمود القدرة، اثر الاستثمار في المدن الصناعية في فلسطين على توفير فرص العمل، رسالة ماجستير في المحاسبة والتمويل، كلية التجارة/ الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٧، ص ١٣٥ Library.iugaza.edu.ps/thesis73700pdf

(٢٤) المنطقة الصناعية ar.wikipedia.org/wki

(٢٥) نجلة يونس محمد و بثينة لقمان احمد، " النقل وأثره في مستوى الخدمة المقدمة للوكلاء"، مجلة تنمية الرافدين، عدد٧٢، مج٢٥، كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص٣٠.

(٢٦) هاشم عبود الموسوي و توفيق عناد الجبوري، مقومات بيئة المدن الصناعية الجديدة في العراق ٢٠١١ /١/١٢ www.tellskuf.com/index.php?option=com_comtent

(٢٧) صالح فارس الطراونة، "تفتيش العمل"، مجلة العمل، عدد٣٧، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، الأردن، ١٩٨٧، ص٥٢–٥٤.
(٢٨) هاشم عبود الموسوي، مصدر سابق.
(٢٩) مفيد الشامي و ختام أبو عطية، " عمالة الأطفال في فلسطين، دراسة تحليلية"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج١٦، نابلس/ فلسطين، حزيران ٢٠٠٢، ص١٥٢.
(٣٠) سارة علي، عمالة الأطفال في العراق ٢٠١٠/٤/١٩ Almoslim.net/node127041
(٣١) خالد الطائي، العراق يتخذ خطوات للحد من عمالة الأطفال ٢٠١٣/٦/٢٨
Mawtami-al-shorfa.com
(٣٢) ماجدة العطية، مصدر سابق، ص٢٠١–٢٠٥.
(٣٣) محمد مصطفى محمود القدرة، مصدر سابق، ص٢١.
(٣٤) نبيل جعفر عبد الرضا، مصدر سابق.
(٣٥) المصدر نفسه.
(٣٦) محمد صالح ربيع العجيلي، مصدر سابق، ص١١٠.

التكيف الاجتماعي لدى طالبات الاقسام الداخلية
دراسة ميدانية في جامعة الموصل

م.م. داليا طارق عبد الفتاح*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٣/١١/١١ تاريخ قبول النشر ٢٠١٤/٣/٢

ملخص البحث:

يدور موضوع البحث حول ظاهرة التكيف الاجتماعي بوصفها ظاهرة اجتماعية مهمة ذات أبعاد متشابكة يمثل وجودها احد معالم الواقع الإنساني، فالإنسان مخلوق اجتماعي أعطي القدرة على التعامل مع الظروف المختلفة ومن هذه الظروف ما يطرحها السكن في القسم الداخلي، اذ أن هذا السكن يجمع طالبات من بيئات اجتماعية وأنماط اجتماعية وثقافية مختلفة وبذلك يتكون نمط جديد من العيش يحتم على الطالب التكيف مع ما يوجد من ظروف لكي يحفظ توازنه ويعيش بطريقة مقبولة اجتماعياً تمكنه من النجاح وإكمال دراسته. ويهدف البحث إلى الكشف عن مدى التكيف الاجتماعي للطالبات الساكنات في الأقسام الداخلية.

ولتحقيق ذلك قسم البحث إلى مباحث متمثلة بالإطار المنهجي والإطار النظري فضلا عن الدراسة الميدانية باستخدام وسيلة الاستبيان وتوزيعها على عينة من الطالبات الساكنات في القسم الداخلي وتوصل البحث إلى نتائج أهمها:

أن هناك تكيف اجتماعي مختلف في المستوى في الأقسام الداخلية للبنات.

Social accommodation in the dormitories field study in the the University of Mosul

Assist. Lect. Dalia tariq abid alfatah

The research deals with social accommodation as a significant phenomenon of interrelated scope that represents one of the important aspects that concerns human existence. Man is a social creature who is

* مدرس مساعد/ قسم الاجتماع/ كلية الاداب/ جامعة الموصل.

endowed with the ability to deal with different conditions including living in dormitory. This residence gather individuals of various social and cultural environments.A new style of life is established in dormitory that necessitates accommodation to surrounding conditions and to lead a balanced and socially agreeable life while the student completes her studies.The research aims at detecting the range of social accommodation in dormitories. To achieve this aim, the research was divided methodologically and theoretically into equal parts in addition to a field study that used a questionnaire given to female students. The research came up with the following results: Social accommodation usually has different levels in females' dormitories.

المقدمة Introduction

ان الإنسان لديه القدرة على الاستجابة لمستجدات الحياة وما تحفل به من متغيرات اجتماعية وطبيعية، إذ أن الفرد عندما ينتقل من بيئة إلى بيئة أخرى تختلف العادات والتقاليد والقيم وأسس بناء العلاقات الاجتماعية التي ينبغي عليه فهمها والتعامل معها. وبذلك يتعرض لعدد من المشكلات والضغوط الاجتماعية التي تجعل الفرد يتكيف معها ليحفظ توازنه ويعيش بطريقة مقبولة في الوسط الاجتماعي الجديد.

ونظراً لأهمية ذلك بدت الحاجة ملحة إلى فهم صحيح لهذه الظاهرة حيث أنه قد يوجد التكيف ولكنه لا يكون واضحاً بل مستتراً ولهذا فأن طبيعة التكيف وعوامله تختلف من فرد لآخر، فهنالك عوامل كثيرة تؤثر في عملية التكيف الاجتماعي لدى الفرد.

وهذا التكيف هو موضوع البحث ومادته حيث أن هذا البحث يتبنى وجهة نظر ترى أن الطبيعة المعقدة للتكيف ترجع إلى اختلاف البيئات والظروف التي يعيش فيها الفرد وأحتوى البحث قسمين الأول الجانب النظري الذي تضمن الإطار المنهجي للبحث، تحديد مشكلة البحث وأهدافه وتحديد المفاهيم الأساسية، كما تم عرض طبيعة التكيف الاجتماعي وعوامله، أما القسم الثاني فتناول الجانب الميداني الذي شمل الإجراءات المنهجية للبحث وعرض لبيانات ونتائج البحث وتوصياته.

الفصل الأول: المبحث الأول:
الإطار النظري للبحث

أولاً: مشكلة البحث Problem Research

التكيف ظاهرة عامة تظهر في مختلف مجالات الحياة ويمكن ملاحظتها في جميع المؤسسات الاجتماعية المكونة للنسق الاجتماعي وبمستويات مختلفة حيث يختلف تأثيرها باختلاف الظروف.

إذ يمكن ملاحظة التكيف الاجتماعي بمستويات مختلفة بوصفه واحدا من العمليات الاجتماعية التي تمثل المحرك الدينامي للعلاقات. ويظهر التكيف بأوجه متعددة تختلف بحسب الأسباب والأشخاص مما يؤكد أن التكيف الاجتماعي حقيقة قائمة وهو ليس حكراً على جماعة أو مجتمع معين فحسب إذ لا وجود لمجتمع إنساني يخلو من عملية التكيف الاجتماعي فطبيعة وحركية الحياة البشرية تنتج التكيف ذاتيا.

والأقسام الداخلية تمثل احد من التنظيمات الاجتماعية للمؤسسة التعليمية فهي بيئة توفر الاستقرار والأمان ويمكن الطلبة من أكمال الدراسة إذ يكون القسم الداخلي بمثابة المكان الامن للطالبات اجتماعياً وأخلاقياً وفي حماية الجامعة إذ يوفر السكن والأمن الاجتماعي للطالبات لذلك فأن عملية التكيف داخل القسم تنعكس على الحياة التعليمية وعلى نفسية الأفراد من خلال ما يحدده التكيف من مستوى تفاعل الطالبات مع بعضهن البعض ومع البيئة داخل القسم الداخلي ومستوى التحصيل العلمي للطالبات ولهذا جاء بحثنا ليحاول تسليط الضوء على موضوع التكيف الاجتماعي.

ثانياً: أهمية البحث Importance of the Research

إن إجراء هذا البحث مهم لسببين الأول أكاديمي ونظري ويتضمن إلقاء الضوء على ظاهرة لها أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية وفي جميع المجتمعات. والسبب الثاني على الصعيد الميداني فأن النتائج التي سيسفر عنها البحث يمكن أن تستفيد منها المؤسسات المختصة.

ثالثاً: أهداف البحث Research Goals

تتجلى أهداف البحث في النقاط الآتية:

١. معرفة طبيعة التكيف الاجتماعي.

٢. الكشف عن مستوى التكيف الاجتماعي بين الطالبات.

٣. وضع بعض التوصيات المتعلقة بالظاهرة.

رابعاً: تحديد مفاهيم البحث Concepts of the Research

التكيف Accommodation

(هو عملية التغير وفقاً للظروف التي تحيط بالمرء أو تبعاً لمتطلبات البيئة الطبيعية ويشير التكيف إلى تغيير عضوي في شكل الجسم أو وظائفه بحيث يصبح قادر على البقاء والاستمرار)[١] ويعرف بأنه (أي تغيير في الكائن الحي في الوظيفة أو الشكل ييسر له الاحتفاظ ببقائه كفرد أو نوع، أو تلك العمليات التي يتوافق بواسطتها الكائن الحي مع بيئته الطبيعية والمادية[٢].

أما التكيف الاجتماعي Social Accommodation فيعرف بأنه (الطريقة التي بواسطتها تتكيف الجماعة الصغيرة كالعائلة أو المنظمة الكبيرة أو المجتمع الكبير لبيئته وظروفه الاجتماعية والطبيعية لكي تستطيع تحقيق أهدافها الإنسانية[٣].

وفي تعريف آخر للتكيف الاجتماعي (هو عملية تعديل سلوك الفرد واتجاهاته حسب السلوكيات والاتجاهات العامة لدى الجماعة التي تعيش في داخلها الأمر الذي يجعل هذه العملية قائمة على أساس الاسترضاء والتفاهم والاستجابة)[٤].

أي أن (تفاعل الفرد، أو الجماعة مع الوسط الاجتماعي، تستوعب فيه معايير هذا الوسط وقيمه، ويحور فيه الوسط بما يتوافق مع الظروف والأهداف المستجدة للنشاط)[٥].

وبذلك فهو (العملية التي يتمكن بها الفرد من مجاراة الظروف المحيطة به)[٦].

واعتماداً على ما سبق يمكننا تعريف التكيف الاجتماعي لأغراض هذا البحث (بأنه التمكن من مجاراة الواقع والبيئة الاجتماعية الجديدة والمؤقتة بقصد إقامة علاقات مرضية مع الآخرين والعيش باستقرار).

المبحث الثاني: التكيف الاجتماعي وعوامله

أولاً: طبيعة التكيف الاجتماعي

يدخل الفرد في علاقات تحت ظروف مختلفة إذ أن الكيان الشخصي والاجتماعي للفرد يبدأ من اكتساب الطابع الاجتماعي السائد في المجتمع على الوجه الذي يحقق للفرد قدراً من التكيف الشخصي والاجتماعي إذ يتصرفون وفق مجموعة من النظم والتقاليد والعادات والقيم التي يخضعون لها للوصول إلى حل مشاكلهم الحيوية لاستمرار بقائهم بطريقة صحيحة نفسياً واجتماعياً[٧]. وبذلك تظهر قدرة الإنسان على التكيف حينما ينتقل إلى بيئة اجتماعية تختلف عن بيئته في بعض أنماطها الثقافية حيث يشعر في بادئ الأمر بمقاومة داخلية وصراع عنيف...الى ان يتوافق مع البيئة الجديدة

يعد التكيف من العمليات الاجتماعية التي تساعد على اندماج الفرد وارتباطه بالبيئة الاجتماعية بحيث يصبح منسجماً مع أوضاعها ونظمها. فالإنسان يحاول دائماً أن يطور بيئته ويعدل منها بما يجعلها ملائمة له[٨].

ويتكيف الإنسان مع ظروف بيئته الاجتماعية وهذا التكيف يتطلب من الإنسان أن يختار بين أمرين أما البحث عن البيئة التي تلائمه، أوايجاد مثل هذه البيئة وبذلك نرى الإنسان يعدل باستمرار من بيئته[٩] وهذا يتطلب قدرة على الاحتمال وهو وسيلة من وسائل التكيف لتجنب العداء وتحقيق الموائمة. وبهذا تقوم عملية التكيف الاجتماعي على التسامح والتضحية والتحمل حيث يتنازل كل طرف من الأطراف عن جزء من آرائه واتجاهاته لتحقيق الصالح العام[١٠].

على الرغم من أن الأفراد يعتقدون أن ما يحملونه من أفكار وطرائق السلوك هو الأفضل من ذلك إلا أنهم تعودوا عليها وألفوها ولا تعني بكلمة (أفضل) هنا أن البرهان العلمي يؤكد نسبة الأفضلية ولكن تعني فقط توافقاً مع اتجاهات الرأي العام[١١].

فعندما يؤثر الأفراد بعضهم بالبعض الآخر باعتبارهم كائنات حية عندئذ يستخدم كل فرد المصادر الضرورية ويطورها للمحافظة على حياته فأنه يؤثر في الآخرين وعندما يتصرف الأفراد مع بعضهم البعض كأفراد لهم عقول أي لهم دوافعهم ومعتقداتهم ورغباتهم وحاجاتهم فهذا يعتبر تفاعل سلوكي أي يتكيف الفرد مع الوضعية التي يواجهها[١٢].

ويمكن القول أن البيئة التي يتفاعل معها الفرد ويتكيف معها هي ثلاثة أنواع:

١. البيئة الطبيعية: وهي العالم الخارجي وكل ما يحيط بالفرد من أشياء حيوية وطبيعية كالملبس والمسكن والطعام[١٣]، فالإنسان يتكيف مع متغيرات البيئة الطبيعية[١٤] وتتضمن عملية التكيف مع البيئة الطبيعية التعديلات الفيزيقية للطبيعة ويدخل في ذلك المساكن والمدن ووسائل النقل والمواصلات.

٢. البيئة الاجتماعية والثقافية: ويهدف التكيف هنا إلى التوفيق بين الأفراد والجماعات أي أن كل طرف يتفهم الطرف الآخر وما يحمله من أفكار ومشاعر واتجاهات ليحدث بينها تقارب يؤدي إلى تحقيق مصلحة مشتركة[١٥] وتمثل هذه الأطراف بتفاعل الفرد مع الأسرة والنادي والمدرسة والزملاء والأصدقاء والجانب الآخر في عمله التكيف هو الجانب المعنوي الذي يمثل بالقيم والمبادئ والعادات والتقاليد والأعراف والفلسفات السياسية والاجتماعية والخلقية. وقد يكون التكيف تكيفاً مهنياً بمعنى أن يتلاءم الفرد مع الظروف الموجودة في عمله أو مهنته وشعر بالرضا عنه والسعادة في أداء عمله ويتطلب ذلك أن تكون هذه المهنة متفقة مع ما لديه من ذكاء وقدرات واستعدادات وميول فالبيئة بأبعادها الاجتماعية والثقافية تؤثر في حياة الفرد. وذلك من خلال تعديل السلوك وفقاً لمتغيرات جديدة.

٣. البيئة النفسية أو الشخصية: والتكيف هنا انفعالي حيث يصبح الفرد متكيفاً من الناحية الوجدانية ويعني ذلك أن يكون الفرد خالياً من الصراعات والأزمات والأمراض النفسية ويتضمن التكيف الشخصي جوانب ايجابية مثل شعور الفرد بالأمان الانفعالي والشعور بالتوافق الشخصي والشعور بالنجاح والشعور بالسعادة[١٦].

وبذلك فالتكيف هو ظاهرة تشمل على تكوين علاقات مرضية بين الفرد وبيئته وتشمل البيئة كل المؤثرات أو الإمكانيات والقوة المحيطة بالفرد التي يمكنها أن تؤثر على جهوده للحصول على الاستقرار.

فالوسط يلعب الدور الرئيسي في عملية التكيف سواء كان هذا الوسط طبيعياً أو مناخياً أو ثقافياً فالوسط يصقل الأفراد ويلائم بمرور السنين بين أمزجتهم وأخلاقهم[١٧].

علماً أن عملية التكيف تكون بمثابة اتفاقية تبين واجبات وحقوق كل من أطراف النزاع أو الاتفاق على إحداث تغييرات داخل الجماعة أو عن طريق إتباع البعض لطريق حياة جديدة(١٨).

ولابد من القول أن الإنسان يولد ولديه غريزة التجمع والتوق إلى المصاحبة بصنوفها ومعها النزعة إلى التقليد والمحاكاة وبهذا فأن ما يترتب على هذا هو انتماء الفرد إلى الآخرين من بني نوعه لتكوين جماعات اجتماعية يتأثر ويؤثر بها حيث يتبنى عادات وتقاليد الآخرين ويتكيف معها(١٩).

فالتكيف عملية تتم بإرادة الفرد ورغبته وذلك بتعديل بعض سلوكياته أو تغيير أهدافه وتعديلها وهي عملية مستمرة باقية مع حياة الإنسان، وتزداد عملية التكيف كلما كانت العوائق والعقبات شديدة أو جديدة(٢٠).

ويجب أن نلاحظ أن عملية التكيف تعتمد كثيراً على عمليات التنشئة والتربية لما لها دور واهمية فتجعله مستعداً لتقبل ما في الحياة من ظروف ويواجهها.

وبما أن الطبيعة الإنسانية من خصائصها المطاوعة والتكيف والتشكيل ولذلك فللتنشئة الاجتماعية دوراً كبيراً في تحديد قدرة الفرد على التكيف. حيث تهدف إلى تغيير العلاقات المتوترة بين الأشخاص والجماعات لتجنب الصراع أو تقلله أو تزيله، وتحل التفاهم معتمده في تغيير النمط السلوكي على التعلم الاجتماعي Social Learning والثقافة الاجتماعية(٢١).

ثانياً: عوامل التكيف الاجتماعي

يظهر التكيف نتيجة لعوامل عدة منها إشباع الحاجات العضوية أو الفسيولوجية كالحاجة إلى الطعام والنوم والمأوى حيث يعتبر إشباع هذه الحاجات أمراً ضرورياً إذ بدونها يتعرض المرء للهلاك(٢٢).

بالإضافة إلى الحاجات الشخصية والاجتماعية والنفسية فإن إشباع هذه الحاجات يعد من العوامل الهامة لحدوث عملية التكيف ومن أهم هذه الحاجات الحاجة إلى الحنان والنجاح والاستقرار والحاجة إلى الانتماء. واذا لم تشبع هذه الحاجات عضوية كانت أم نفسية فأنها تخلق جنوحاً إلى محاولة إشباعها بأي وسيلة وقد تكون مدة الوسيلة غير سوية ومنها تكون الأساس في التكيف يقوم على أمرين :الأول أن يكون الشخص قادراً على توجيه حياته توجيهاً

ناجحاً بحيث يشبع حاجاته المختلفة فتكون لدى الفرد العادات والمهارات التي تسير إلى إشباع حاجته الملحة والأمر الثاني هو أن يشبع حاجاته بطريقة لا تعوق إشباع الحاجات المشروعة للآخرين(٢٣). وبما أن الحاجات الإنسانية تتنوع فأن هذا يقتضي تنوعاً من حيث الإشباع بمعنى أن جماعة واحدة لا يمكنها أن تحقق إشباعاً معقولاً للحاجات المتعددة لأعضائها، ومن هنا كان انتماء الأعضاء لأكثر من جماعة أمراً حيوياً ليحقق الإشباع من خلال التفاعل الاجتماعي بين مختلف أعضاء الجماعات(٢٤).

ولابد من توفر شرط أساس لحصول التكيف الاجتماعي ألا وهو المرونة أي مدى استجابة الفرد للمؤثرات الجديدة استجابة ملائمة فالشخص الجامد غير المرن لا يتقبل أي تغيير يطرأ على حياته ومن ثم فأن تكيفه وعلاقته بالآخرين تضطرب إذ ما انتقل إلى بيئة جديدة مغايرة في أسلوب الحياة، أما الشخص المرن فأنه يستجيب للبيئة الجديدة استجابات ملائمة لتحقق التكيف بينه وبين البيئة(٢٥).

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أن التكيف عملية مستمرة لا يكاد تخلو لحظة من حياتنا منها بل نستطيع أن نقول أن أي سلوك يصدر ما هو إلا نوع من التكيف مع البيئة المادية والاجتماعية وهو أيضاً عملية تتصف بالديناميكية يهدف منها الفرد إلى تغيير سلوكه لغرض أحداث ملائمة بينه وبين بيئته، فهي إذن ظاهرة سببية تختلف من شخص إلى آخر وأيضاً تختلف باختلاف البيئات الاجتماعية(٢٦).

الفصل الثاني: الجانب الميداني

المبحث الأول: منهجية البحث

١. نوع البحث

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التحليلية الذي يهدف إلى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة أو موقف معين مع محاولة تفسير هذه الحقائق وهذا ما توخى البحث القيام به.

٢. منهج البحث

يعد البحث طريقة منظمة أو فحصاً استفسارياً منظماً لاكتشاف حقائق جديدة والتثبت من حقائق قديمة والعلاقات التي تربط فيما بينها أو القوانين التي تحكمها وهو أسلوب خاضع

لقواعد علمية تحكمه أسس موضوعية معتمدة على مناهج خاصة تستخدم وفق طبيعة كل بحث[٢٧].

لذلك اقتضت طبيعة البحث استخدام منهج المسح الاجتماعي وهو تحليل ودراسة أي موقف أو مشكلة اجتماعية باستخدام طريقة علمية منظمة من أجل تحقيق أهداف معينة[٢٨] وهذا المنهج يستخدم لأخذ معلومات مباشرة وتفسر المعلومات الناتجة أو المستخرجة عن طريق وسائل التحليل الإحصائي[٢٩].

أما أدوات جمع البيانات والمعلومات فكانت الاستبيان الذي يعتمد أساساً على استمارة تتكون من مجموعة من الأسئلة بعضها مفتوحة وبعضها مغلقة وبعضها يتعلق بالحقائق وبعضها يتعلق بأسرار ومواقف[٣٠]. وبعد إعداد الاستبيان وفقراته بصيغته النهائية قام الباحث بعرضه على مجموعة من الخبراء والمحكمين لاستخراج صدقه.

٣. عينة البحث

كانت عينة البحث عشوائية إذ اختارت الباحثة (٥٠) طالبة من الساكنات في الأقسام الداخلية بصورة عشوائية.

٤. الوسائل الإحصائية المستخدمة في البحث

١. النسبة المئوية.

٥. مجالات البحث

المجال المكاني: الأقسام الداخلية للبنات في جامعة الموصل.

المجال الزماني: من ٢٠١٣/٢/١٥ ولغاية ٢٠١٣/٤/١.

المجال البشري: أنحصر المجال البشري بعينة من الطالبات الساكنات في الأقسام الداخلية.

المبحث الثاني: عرض وتحليل بيانات الاستمارة الاستبيانية

الجدول(١)يبين توزيع أفراد العينة تبعا لمتغير الخلفية الاجتماعية

الخلفية الاجتماعية	ك	%
ريفية	٧	%١٤
حضرية	٤٣	%٨٦
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

يشير الجدول أعلاه إلى أن نسبة (٦٨%) من أفراد العينة من أصول حضرية ونسبة(١٤%) من العينة من أصول ريفية ويمكن تفسير ذلك بالعادات والتقاليد السائدة في الريف التي لا تشجع على إكمال التعليم الجامعي للإناث وذهاب الفتاة بعيدا عن سلطة الأهل فضلاً عن تزويجها في سن مبكرة.

الجدول(٢)يبين المحافظة أو القضاء الذي يسكنه المبحوثين

المحافظة أو القضاء	ك	%
الانبار	٣	%٦
ديالى	١٥	%٣٠
كركوك	١٦	%٣٢
بغداد	٢	%٤
تلعفر	٨	%١٦
ربيعة	٢	%٤
سنجار	٤	%٨
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

تشير نتائج الجدول أعلاه إلى أن نسبة(٣٢%)من أفراد العينة هم من محافظة كركوك و(٣٠%)من أفراد العينة من محافظة ديالى و(٨%) من قضاء تلعفر ونفس النسبة المذكورة هم من قضاء سنجار ونسبة(٦%)من العينة من محافظة الانبار أما نسبة(٤%)من ناحية ربيعة.

ويمكن أن نستنتج مما سبق أن غالبية العينة من محافظة كركوك وذلك بسبب القرب وكذلكً العادات والتقاليد المنفتحة في هذه المحافظة التي تسمح للأنثى إكمال التعليم الجامعي بعيدا عن الأهل على العكس من نواحي محافظة نينوى وذلك ربما يعود إلى قلة الوعي الاجتماعي والثقافي بخصوص تعليم الإناث.

الجدول(٣)يبين توزيع المبحوثين تبعا لنوع الكلية

الكلية	ك	%
إنسانية	١٦	%٣٢
علمية	٣٤	%٦٨
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

تشير معطيات الجدول أعلاه أن(٦٨%) من مجموع العينة يدرسون في كليات علمية في حين أن(٣٢%) من العينة يدرسون في كليات إنسانية.

الجدول(٤)يبين هل أن الطالبات يجدن صعوبة في تقبل سلوك الأخريات

الإجابة	ك	%
نعم	٢٠	%٤٠
لا	٣٠	%٦٠
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

يبين الجدول أعلاه أن(٦٠%) من عينة البحث لا يجدن صعوبة في تقبل سلوكيات الأخريات بينما(٤٠%)من العينة يجدن صعوبة في تقبل سلوكيات الأخريات ويمكن تفسير ذلك بان اغلب الطالبات يرغبن في التكيف مع ما يوجد من سلوكيات وان كانت مغايرة لسلوكياتهن للعيش سوية.

الجدول(٥)يبين هل أن الفتاة تشعر بالوحدة بسبب البعد عن الأهل

الإجابة	ك	%
نعم	٣٥	%٧٠
لا	١٥	%٣٠
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

تشير معطيات الجدول أعلاه أن نسبة(٧٠%) من العينة يشعرن بالوحدة بسبب البعد عن الأهل في حين(٣٠%)فقط من أفراد العينة لا يشعرن بالوحدة بسبب البعد عن الأهل وذلك لاندماجهن مع اقرانهن من الطالبات وانشغالهن بدروسهن وتعليمهن.

الجدول(٦) يمثل الأخذ بنظر الاعتبار وجود الأخريات عند القيام بسلوك معين

الإجابة	ك	%
نعم	٣٥	%٧٠
لا	١٥	%٣٠
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

تشير البيانات في الجدول أعلاه أن نسبة(٧٠%) من العينة يأخذن بنظر الاعتبار الأخريات عند القيام بسلوك معين بينما (٣٠%) فقط من العينة لا ياخذن بنظر الاعتبار وجود الأخريات عند القيام بالسلوك ويمكن أن يشير هذا التفاوت علي وجود نوع من التكيف مع الفتيات الساكنات معا.

الجدول(٧) يبين هل تحصل مشاجرات بين الفتيات داخل القسم ام لا

الإجابة	ك	%
نعم	٣٠	%٦٠
لا	٢٠	%٤٠
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

تشير معطيات الجدول أعلاه أن(٦٠%) من مجموع العينة أجابوا ب(نعم) في حين جاءت إجابة(٤٠%) من العينة ب(لا).

الجدول (٨) يبين إلى أسباب المشاجرات

الإجابة	ك	%
عدم القدرة على القراءة	١٨	%٦٠
تنظيف الغرفة	١٠	%٣٣
أسباب أخرى	٢	%٦
المجموع الكلي	٣٠	%٩٩

لمعرفة أهم الأسباب المؤدية إلى المشاجرات والخلافات تشير نتائج تحليل البيانات الواردة في البحث والموضحة أعلاه أن عدم القدرة على القراءة يعد من أهم أسباب المشاجرات وقد شكلت نسبة(٦٠%) حيث أن السكن المشترك لا يوفر الهدوء بالإضافة إلى اختلاف العادات

بين الفتيات وجاء في المرتبة الثانية تنظيف الغرفة وبنسبة(٣٣%) بالإضافة إلى أسباب أخرى مثل سوء التفاهم بين الفتيات والمنافسات .

الجدول(٩) يبين هل أن السكن في القسم الداخلي يكسب خبرات ومهارات جديدة

الإجابة	ك	%
نعم	٤٥	%٩٠
لا	٥	%١٠
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

يتبين من الجدول أعلاه أن غالبية أفراد العينة اكتسبوا خبرات ومهارات جديدة عند عيشهن في القسم الداخلي بنسبة(٩٠%) من العينة في حين أن(١٠%) فقط وهي نسبة قليلة لم يكتسبن خبرات ومهارات جديدة.

الجدول(١٠) يوضح ما نوع الخبرات والمهارات المكتسبة

الإجابة	ك	%
القدرة على التحمل	١٠	%٢٢
طريقة عيش جديدة	٨	%١٧
الشجاعة	٥	%١١
الاعتماد على النفس	١٥	%٣٣
قوة الشخصية	٧	%١٥
المجموع الكلي	٤٥	%٩٨

يرتبط هذا الجدول بالجدول الذي سبقه إذ جاء يوضح نوع الخبرات والمهارات المكتسبة فقد جاء بالمرتبة الأولى الاعتماد على النفس بنسبة(٣٣%) وجاء بالمرتبة الثانية القدرة على التحمل وبنسبة(٢٢%) وجاء بالمرتبة الثالثة طريقة عيش جديدة وبعد ذلك جاءت قوة الشخصية وبنسبة (١٥%) وجاء بالمرتبة الأخيرة الشجاعة وبنسبة(١١%) ويمكن أن نفسر هذا بان السكن المشترك والبعد عن الأهل يجعل الفتاة تعتمد على نفسها وتتحمل الغربة وتتحمل أطباع الآخرين وهذا يساعد على التكيف حيث نستطيع أن نقول أن هذه المهارات هي مهارات تكيفية.

الجدول (١١) يبين هل أن السكن مع الأخريات يؤثر على التحصيل الدراسي

الإجابة	ك	%
نعم	٣٠	%٦٠
لا	٢٠	%٤٠
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

يتبين من الجدول أعلاه أن غالبية العينة ترى أن السكن مع الأخريات يؤثر على التحصيل الدراسي وبنسبة (٦٠%) أما باقي العينة وهن(٤٠%) يرون أن السكن مع الأخريات لا يؤثر على التحصيل الدراسي ويمكن ارجاع ذلك الى عدم توفر الهدوء بالاضافة الى عدم توفر المتطلبات الازمة للمطالعة.

الجدول (١٢) يبين هل أن البقاء في القسم الداخلي يقيد الحرية

الإجابة	ك	%
نعم	٣٨	%٧٦
لا	١٢	%٢٤
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

تشير معطيات الجدول أعلاه أن غالبية العينة يرون أن البقاء في القسم الداخلي يقيد الحرية ويمكن إرجاع ذلك بان القسم الداخلي يحتوي على قوانين تحد من حرية الفتاة مما يدل على عدم توفر مطاعم أو أندية أو قاعات للمهمات الاجتماعية.

الجدول (١٣) يبين هل أن الانعزال أفضل من الاختلاط في القسم الداخلي

الإجابة	ك	%
نعم	٢١	%٤٢
لا	٢٩	%٥٨
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

يتبين من الجدول أعلاه أن نسبة (٥٨%) من العينة لا يفضلن الانعزال في حين أن (٤٢%) من أفراد العينة يفضلن الانعزال بدلا من الاختلاط ويمكن إرجاع هذا التفاوت في

النسب إلى طبيعة شخصية الفتاة إذا كانت تتكيف وتنسجم اجتماعيا مع زميلاتها أو إن شخصية الفتاة قد تكون انعزالية.

الجدول (١٤) يوضح هل أن الظروف البيئية جيدة داخل القسم الداخلي ام لا

الإجابة	ك	%
نعم	١٣	%٢٦
لا	٣٧	%٧٤
المجموع الكلي	٥٠	%١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن غالبية أفراد العينة يرون أن الظروف البيئية من الخدمات الصحية والنظافة والوقود وعدم وجود مطعم وقاعة للدلراسة غير جيدة في القسم الداخلي حيث بلغت نسبتهم (٧٤%) من مجموع العينة.

الجدول (١٥) يوضح آثار الظروف البيئية غير الجيدة على الطالبة

الإجابة	ك	%
أثرت على دراستك	١٩	%٥١
أثرت على نفسيتك	١٣	%٢١
أثرت على صحتك	٥	%١٣
المجموع الكلي	٣٧	%٨٥

يرتبط هذا الجدول بالجدول الذي سبقه حيث أن(٥١%) من الذين يرون أن الظروف البيئية غير جيدة أثرت هذه الظروف على الدراسة و(٢١%) أثرت على نفسية الفتاة أما (١٣%) فقد أثرت هذه الظروف على الصحة وهذا يوضح أهمية الظروف البيئية لإحداث عملية التكيف.

ملخص نتائج البحث

١. أوضح البحث أن مستوى التكيف الاجتماعي مختلف بين الطالبات في الأقسام الداخلية للبنات ومن أهم مؤشرات التكيف ما يلي:

أ. أن غالبية الطالبات الساكنات في القسم الداخلي لا يجدن صعوبة في تقبل سلوك الأخريات.

ب. إن غالبية الطالبات الساكنات في القسم الداخلي يأخذن بنظر الاعتبار وجود الأخريات عند القيام بسلوك معين.

٢. إن اغلب المشاجرات بين الساكنات في القسم الداخلي تحصل بسبب عدم الاستطاعة على القراءة بالدرجة الأولى بالإضافة إلى حدوث مشاجرات سببها سوء التفاهم والمنافسات بين الطالبات

٣. إن السكن المشترك او(الداخلي) يحقق للطالبات جوانب ايجابية تتمثل باكتساب خبرات ومهارات أهمها:

أ.الاعتماد على النفس.

ب. القدرة على التحمل

ج. طريقة عيش جديدة.

وهذه المهارات تساعد على التكيف الاجتماعي.

التوصيات

١. على الجامعة زيادة الاهتمام بالأقسام الداخلية وتقديم كافة أنواع الدعم للطالبات للتخفيف من الضغوط التي يتعرضن لها مما قد يؤثر على تكيفهن الاجتماعي.

٢. تطوير مستوى الخدمات وتهيئة المناخ الجيد الذي يشبع احتياجات الفتاة داخل القسم الداخلي.

٣. تنظيم سفرات ترفيهية لطالبات الأقسام الداخلية وذلك لغرض تقوية العلاقة بين الطالبات.

٤. تفعيل دور الباحث الاجتماعي في الأقسام الداخلية لغرض التعرف على طبيعة العلاقات ومدى التكيف والانسجام بين الساكنات في القسم الداخلي.

٥. ضرورة إجراء المزيد من البحوث والدراسات حول التكيف الاجتماعي والأقسام الداخلية.

٦. توفير الخدمات المكتبية والعلمية وقاعة للمطالعة فضلاعن قاعات المطاعم والجلوس.

الهوامش:

(١) عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار أسامة، عمان– الأردن، ٢٠١٠، ص١٣٩.

(٢) إبراهيم مدكور، معجم علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٥، ص١٧٧.

(٣) إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩، ص١٥٩.
(٤) سمير سعيد حجازي، معجم مصطلحات العلوم الإنسانية ونظرية الثقافة، مكتبة أبن سيبا، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٠.
(٥) ناتاليا يفرموفا، معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، بيروت، ١٩٩٢، ص٨٣.
(٦) طلعت إبراهيم لطفي، مبادئ علم الاجتماع، مطبعة الملك سعود، ط٢، السعودية، ١٩٩٧، ص١٤٨-١٤٩.
(7) http://vb.gllg.com/showthread.php?t=729895.
(٨) فادية عمر الجولاني، مبادئ علم الاجتماع، مؤسسة سيماء الجامعية، ١٩٩٣، س٣٣٧.
(٩) مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر ١٩٧٧.
(١٠) عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع، مكتبة غريب، ط٢، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٩٣.
(١١) محمد بدوي، مبادئ علم الاجتماع، دار المعارف، مصر، ١٩٨١، ص٣٠٩.
(١٢) قيس النوري، النظريات الاجتماعية، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٤٥.
(١٣) معتز الصابوني، علم الاجتماع التربوي، دار أسامة ودار المشرق، عمان- الأردن، ٢٠٠٦، ص١٤٦.
(١٤) عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص١٩٤.
(١٥) عبد الله زاهي الرشدان، التربية والتنشئة الاجتماعية، دار وائل للنشر، عمان- الأردن، ٢٠٠٥، ص٢٣٢.
(١٦) معتز الصابوني، المصدر السابق نفسه، ص١٤٧.
(١٧) حسن شحاته سعفان، أسس علم الاجتماع، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٢٠.
(١٨) إبراهيم عيسى عثمان، الأصول في علم الاجتماع، شركة كاظمة للنشر والترجمة، الكويت، ١٩٨٣، ص٧٦.
(١٩) كريم عكله حسين، الاتجاهات النفسية للفرد، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٩٨٥، ص٥٤-٥٥.
(٢٠) ليلى قاسم المالكي، التكيف الاجتماعي في مزرعة نساء العراق، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص٢٦.
(٢١) ليلى قاسم المالكي، المصدر السابق نفسه، ص٢٧.
(٢٢) هوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ط٢، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٧، ص٥١٦.
(٢٣) معتز الصابوني، علم الاجتماع التربوي، مصدر سابق، ص١٤٥.
(٢٤) صلاح الفوال، علم الاجتماع المفهوم والموضوع والمنهج، دار عطوة للطباعة، الكويت، ١٩٨٢، ص٨٩.
(٢٥) معتز الصابوني، المصدر السابق نفسه، ص١٤٩.

(٢٦)معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للطباعة، عمان– الأردن، ٢٠٠٠، ص٤٠٦.
(٢٧)فوزي غرايبة وآخرون، أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، دار وائل للنشر والتوزيع، ط٣، عمان ٢٠٠٢، ص١١.
(٢٨)زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، ط٣، المكتبات الكبرى، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٥٩.
(٢٩)عمر، معن خليل، مصدر سابق، ص.
(٣٠)إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤، ص٦٥.

Mosuli Studies Magazine

Seasonal and academic Magazine Issued by

Mosul Studies Centre

Concerned with

Mosuli Academic Researches in humanities

- **Assist. Prof. Dr. Yousif Jirjees Jebbo :Ninevah kura and its division during Islamic period analytic study of its architecture:1-29**
- **Lect. Dr. Huda Yaseen Al-Dabbagh : Administrative and Economic Aspects in Mosul Through the Book (Qala'id Al-juman) by Ibn AL-Sha'ar Al-Mausili: 31-52.**
- **Assist. Prof. Dr. Nabhan hassoon Alsa'doon :The fictional rhythm in the "Hurrricane andminaret" Novel An analytical study: 53-73.**
- **Lect. Dr. Ekhlas Mahmoud Abdulla : Hawajes Al –That and Sua'al Al-Buka'a : 75-96.**
- **Lect.Abdul Razaq Salih Mahood: The Health Situation of inmates of Badush Central Prison in Mosul An Assessment Study: 97-133.**
- **Lect. Marah . M. Hasan :The disturbances of work in the small projects A field study to industrial area at left side in city of Mosul: 135-166.**
- **Assist. Lect. Dalia tariq abid alfatah : Social accommodation in the dormitories field study in the the University of Mosul:167-184.**

Conditions of the Publication

1-The magazine is concerned with publishing the academic scientific researches which focus on Mosuli affairs in its different aspects.

2-The research must be done in according to the Conditions of academic scientific research. Revenue sources, references and document in the margins, with attention to language and print.

3-The research must be unpublished or present to publication in another magazine and the editing staff unobligated to back the researchs to its Owners in case they are unaccepted for publication.

4-The printed pages of the research shouldn't be more than (20) in three copies loaded on disc (CD).

5-The research is presented to experts who determine its appropriateness to be published or not.

6-The magazine is issued periodically. The researcher has the right to obtain a copy of the published research.

ISSN 1815-8854
No. (44)
Year (13)
2014 A.D/ 1435 A.H

Letters addressed
to Editor- in- Chief

Address
Mosul Studies Centre
University of Mosul
P.O. Box 11348
Tel. 812246

E-Mail : admin.smo@uomosul.edu.iq

The Published Researches express the researchers' opinion and don't necessarily reflect the opinion of the Magazine

Researches Arranged In Methodical Way

Printed by
Computer Unit In Mosul Studies Centre

The deposit number
In the House of Books and Documents in Baghdad is (727)
In 2001

Mosuli Studies Magazine
Seasonal and academic Magazine Issued by Mosul Studies Centre

Concerned with Mosuli academic researches in humanities

Editing-in-Chief
Prof . Dr. Thanoon. Y. Al.Taee

Editing Manager

- Prof.Dr.Khalil M.Alkhalidee/Sociology Department /College of Art
- Assist. Prof. Batoul. H. Al-Bustani / Arabic Language Department/ College of Education
- Asist.Prof. Dr.Yousif J. Jaboo / History Department/ College of Education Alhamdaniah
- Asist.Prof. Dr. Husain D. Hamood / The Ancient Civilizations/ Archeology College.
- Asist.Prof. Dr. Maysoon. Alabayachi / historical And sociological Department.
- Asist Prof.Dr.Ahmed.j.yassean / Arabic Language Department / College of Education
- Asist.Prof. Dr. Ahmad Q.Younis /Editing Secretary / Mosul Studies Center

Consultative Board

- Prof.Dr.Emad Al-Deen-Khaleel/experienced Prof./History Department/College of Arts.
- Prof. Dr. Ahmed K. Aljumaa/experienced Prof./History Department/College of Arts.
- Prof.Dr.Hashem Y. Al Malah/experienced Prof./History Department/College of Arts.
- Prof. Dr. Ghanim M. Alhafoo/experienced Prof./History Department/College of Education
- Prof. Dr. Salah H. Al janabee/Gegraphic Department/College of Education
- Prof. Dr. Ali K. Al fahadi/Arabic Language Department/College of Arts.
- Prof. Dr. Dauood S. Ajaj/Geographic Department/College of Education